الأسرة

ونظامها في الإسلام

الخطيب الشيخ حسين العصاريان

انصاريان، حسين، ١٣٢٣ -
الاسرة ونظامها في الاسلام/ حسين انصاريان.- قم: انصاريان، ١٣٨٥.
٤٦٣ص.
ISBN: 964-438-579-9
١. اسلام وخانواده. ٢. زناشوئی (اسلام). الف. عنوان.
BP٢٣٠/١٧/الف٨٥٦٠٤٣ ٢٩٧/٤٨٣١

الأسرة ونظامها في الإسلام

المؤلف: المحقق الاستاذ حسين أنصاريان
اعداد وتنظيم: دار العرفان
الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
الطبعة الأولى ١٣٨٣ - ٢٠٠٤ - ١٤٢٥
الطبعة الثانية ١٣٨٥ - ٢٠٠٦ - ١٤٢٧
المطبعة: نگين
الكمية: ٢٠٠٠ نسخة
عدد الصفحات: ٤٦٤ ص.
حجم الغلاف: كبير
رقم الإيداع الدولي: ٩-٥٧٩-٤٣٨-٩٦٤ (ISBN)

جميع حقوق الطبع محفوظة ومسجلة للناشر

مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم - شارع الشهداء — فرع ٢٢
ص.ب ١٨٧
هاتف :٧٧٤١٧٤٤ (٢٥١) (٩٨) فاكس: ٧٧٤٢٦٤٧
البريد الالكتروني: ansarian@noornet.net
www.ansariyan.org & www.ansariyan.net

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله الّذي رفع السماء العلم وزينها ببروجها للناظرين، وعلق عليها قناديل الأنوار بشموس النبوة وأقمار الامامة لمن أراد سلوك مسالك اليقين حمداً دائماً سرمداً فنشكره على نعمه التي لا تُحصىٰ وأفضل صلواته وسلامه على رسوله وعلى آله آل الله الذين هم ائمة الأنام ومفاتيح الكلام وغيوث الانعام الذين جسدوا أوامر رسول الله ﷺ.

لا شك في ان الأسرة تمثل حجر الاساس في المجتمع البشري، ومن المعتذر الحصول على مجتمع صالح دون اصلاح واقع الأُسرة، يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

إنَّ المجتمع الاسلامي مثل أعلىٰ لجميع الأمم وعليه أن يكون قدوةً ونموذجاً يحتذىٰ به في جميع المجالات لا سيما فيما يتعلق بالأسرة والزواج وما قد يطرأ بعد ذلك من طلاق وانفصال، إذ ينبغي أن تنعدم فيه هذه الظاهرة أو تنخفض إلى ادنى المعدلات، وهذا لا يتيسر إلّا من خلال ادراك الازواج لمسؤولياتهم المتقابلة ومسؤولياتهم ازاء أبنائهم وكذلك ادراك الأبناء لمسؤولياتهم تجاه الوالدين.

وكثيراً ما نشاهد ان اغلب المشاكل التي تعاني منها الأُسر والتى قد تؤدي إلىٰ الطلاق، سببها جهل الناس لواجبات الحياة الزوجيّة والذي من شأنه أن يؤدّي إلىٰ القيل والقال أو التدخل غير المبرر من قبل الاقارب والآخرين.

---

١ ـ الرعد: ١١.

بناءً على ذلك وشعوراً بالمسؤولية، فقد توجه مسؤول مؤسسة أم أبيها إلىٰ طهران برفقة عدد من طلبة الحوزة العلمية بقم خلال أيام شهادة الصديقة الكبرىٰ فاطمة الزهراء عليها السلام وذلك للقاء سماحة العالم المدقق والمحقق الأستاذ حسين أنصاريان لاستئذانه في تحرير محاضراته المسجّلة على الأشرطة والتي كان قد ألقاها على مدى ثلاثين درساً تناول فيها نظام الأُسرة في المنظور الاسلامي بأسلوب جذّاب وبليغ ينم عن الحرص وجمعها في كتاب ليكون في متناول أيدي الجميع.

وافق الأستاذ علىٰ ذلك وباشر بتحرير ما تحتويه الأشرطة على الورق فاستغرقت عملية تدوين المواضيع والفهارس مدة أربعة أشهر وبالرغم ممّا كان يعانيه من ضيق الوقت حيث الانشغال بالمحاضرات والتدريس والمقابلات والتصنيف إلّا أنّه استقبل ذلك برحابة صدر ووجه بشوش وراجع ما قد تمّ انجازه ومن ثمّ أعاده بغية طبعه.

وفي الختام نرى لزاماً علينا أن نتقدم بوافر الشكر والامتنان للاخوة العاملين في مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر لا سيما سماحة السيّد المسؤول محمد تقي أنصاريان لما بذلوه من جهود في هذا المجال.

دار العرفان

مقدّمة المؤلّف

نظراً لما لمسته من حاجة في المجتمع فقد باشرت في العام ١٣٦٣ وخلال مجالس شهري محرم وصفر وكذلك شهر رمضان المبارك بالقاء محاضرات حول نظام الأُسرة في الاسلام في ضوء الآيات القرآنية والروايات والأخبار الواردة في الكتب المعتبرة.

وكان اقبال الناس على تلك المجالس ـ وحسب شهاداتهم ـ منقطع النظير لا سيّما من قبل الشباب، ولم يكن ذلك الاقبال الاّ تجلياً لفضل الله ورحمته إذ انّه قد تكفل بحفظ هذا الدين وأحكام الشريعة الاسلامية.

فانتشرت اشرطة هذه المحاضرات التي بلغت ما يناهز الثلاثين بسرعة في جميع انحاء البلاد، كما نُشرت مواضيعها في احدىٰ صحف طهران المسائية وبنفس الاسلوب الذي القيت به وأصبحت في متناول أيدي القرّاء، فكان لها ابلغ الأثر لدى العوائل، وهذا ما كنا نتوقعه لأن مضامينها كانت نابعة من القرآن الكريم وعلوم أهل البيت (عليهم السلام)، الذين يتسقان مع فطرة الانسان ويلبيان حاجاته على كافة الاصعدة المادية والمعنوية.

وقد اقترح عليَّ الاخوة الأعزاء ان اطبع هذه المحاضرات في كتاب كي ينتفع به أبناء الشعب الايراني المقدام أكثر فأكثر، الاّ ان تصنيف كتاب العرفان في الاسلام باثني عشر جزءً الذي استغرق سبع سنوات، وشرح الصحيفة السجادية الذي جاء تحت عنوان ديار العاشقين واستغرق خمساً من السنين، وتأليف بعض الكراسات، وكتابة المقالات للصحف، كل ذلك لم يمهلني كي أنجز هذا العمل،

بالاضافة إلى ان الاسفار المتعددة من أجل التبليغ في جميع مناطق البلاد قد أخذت جانباً من وقتي، الآن اصرار الاصدقاء بقي على حاله.

وخلال أيام شهادة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ـ وهي أسمى مثلٍ للزوجة والأمام على امتداد التاريخ البشري وسيرتها العائلية تعد المثل الأعلى لنظام الأُسرة في الاسلام ـ حضر إلى طهران الأخ الفاضل رضا كلهر صاحب مؤسسة للطباعة والنشر وهو شاب مؤمن مهذب يتصف بالحيوية ويعمل في الحوزة العلمية بقم المقدسة ـ وأنا أحد طلبتها ـ فطلب مني الاذن لتحرير هذه الاشرطة وطبعها، فوجدت في اقتراحه ما يحق طموحي القديم وطموح اصدقائي، فطلبت منه تولي هذه المهمة حيث لا زلت حينها اعاني من ضيق الوقت، فجرى تحرير ثلاثين شريطاً بجهود خاصة من الأخ كلهر، وقام بتحقيق مصادر الروايات الواردة في المحاضرات بشكل دقيق وراجع كافة المصادر الواردة في الهوامش.

ثم سلّمني ما حُرر من الاشرطة، وأثناء مطالعتي لها رأيت من الضروري القيام بعملية حذفٍ واضافة وتبديل لبعض العبارات، واستغرقت عملية مراجعة النصوص المحررة ما يربو على الشهرين حتى خرج هذا الكتاب الذي بين أيديكم، فتبين ان تصنيف كتاب أهون بكثير من تحرير المحاضرات من الاشرطة.

ان ما في هذا الكتاب من جمال انما يكمن في آيات القرآن الكريم والروايات والقصص التي تتناول حياة الأولياء، وما فيه من نقص فهو يعود إلى تعبيري وما سطره قلمي، فتقبلوا جماله باحسن القبول، واصفحوا عن قبيحه بلطفكم، آملا منكم تنبيهي على كل زلل صدر مني وذلك من خلال الاتصال بمؤسسة أُم أبيها للنشر وعنوانها:

قم ـ ص. ب ٣٧١٨٥/٩١٣

على أمل أن يكون هذا الكتاب نافعاً ومفيداً لجميع العوائل لا سيّما الشباب من كلا الجنسين الذين دخلوا عش الزوجيّة حديثاً، أو في نيتهم ذلك ويتمكنوا من تسيير حياتهم العائلية وفقاً لما يريده الباري تعالى كي ينالوا السعادة في الدنيا والآخرة.

وقد القيت المحاضرات وفق نسقٍ يتضمن الحياة منذ انطلاقتها وحتى نهايتها على أساس النظام الخاص بها، واختير ثلاثون عنواناً لنصوص المحاضرات ستقرؤوها في فهرست الكتاب.

وبوسعكم تقديم الكتاب هدية لمن دخلوا القفص الذهبي تواً بدلاً عن باقة الورد التي تذبل بعد سويعات وتذهب هدراً، كي تتجلى آثار رحمة الباري عزوجل في حياتهم، ويكون سبباً في حصولكم على الأجر العظيم.

حسين انصاريان

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

الذاريات / ٤٩

١

سنّة التزاوج في النظام الكوني

الاتحاد والتزاوج عند الجمادات

لقد خلق الله سبحانه من كل شيء زوجين في نظام متقنٍ لهذا الكون الواسع الفسيح، وعلى امتداد هذا العالم فإن الزوجيّة في كل شيء انما هي حقيقة لا استثناء فيها؛ وقد أخبر عنها القرآن الكريم قبل أن يتوصل لها العلم البشري والدراسات العلمية وذلك في آيات عديدة منها الآية التاسعة والاربعون من سورة الذاريات مؤكداً ان هذه الحقيقة تشمل كائنات هذا العالم جميعاً سواءً الجمادات أو الحيوانات أو الانسان.

ونظراً إلى ان هذا الإخبار العظيم والتصريح العلمي وهذا البيان الجلي فيما يخص الكائنات التي تعتاش في هذا العالم وهذه الارض يعود إلى قرون متطاولة سبقت النهضة العلمية، ونزل في منطقة ـ مكة والمدينة ـ كانت تخلو ممن يعرف القراءة والكتابة والكتب والمدارس فإنّه يعد من معاجز القرآن الكريم ودليلاً قاطعاً على اصالته وبرهاناً دامغاً على علميته وحجةً بالغة على صدق نبوة خاتم الأنبياء (ﷺ).

وفي القرآن الكريم ثمة آيات تتناول غير ذلك من شؤون الخلق تقف أمامها العقول البشرية المعاصرة حائرة مندهشة يلفّها الذهول، ولا تدع لأحدٍ من بني الانسان وأياً كان مستواه ومنزلته مجالاً بان يشك في احقيتها وكونها نبراساً لهداية البشر. يقول تعالى:

﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[1].

لقد أودع الباري تعالى برحمته وفضله في صلب الأزواج ومن كل جنسٍ التجاذب وعلاقة من الود والتقارب المتبادل، كي يؤول ذلك وفي ظل نظام خاصٍ وظروف معينة سواءً في الجانب التكويني أو التشريعي إلى التزاوج والتناسل والتكاثر النوعي، ومن خلال ذلك يحافظ نظام الخلق على بقائه وتنال جميع المخلوقات ـ ومن كل الأجناس ـ السعادة والهنا في حياتها وتتمتع بوجودها ووجود الآخرين.

ان علاقة التكاثر والتناسل في عالم الجماد وبايٍّ نحو كانت تتم بصورة اتحاد عنصر مع عنصر آخر وفي النتيجة ينتج عنصر ثالث، كما في اتحاد الاوكسجين مع الهيدروجين، فاحدهما يشتعل والآخر يساعد الى الاشتعال، فتكون نتيجة اتحادهما ماءً بارداً تتوقف عليه الحياة والنشاط، أو يحدث ذلك بشكل جاذبية تتبعها نتائج جمّة، أو على هيئة تيارين احدهما موجب والآخر سالب ينتج عنهما ما لا يُعد ولا يُحصىٰ من العجائب الكونية وتدرّبه رحمة الله على الناس.

والعلاقة بين عنصرين أو عدة عناصر وحالة الميل المتبادل، وباختصار حالة العشق السائدة بين الجمادات هي التي تؤدي إلى التكاثر في النسل والاستمرار بالنوع، واقامة النظام الشامخ لعالم الخلق واضفاء الجمال على عالم الوجود.

أيُّ قدرة جبارة وارادة عظيمة هذه التي تقيم مثل هذا التآلف والانشداد وحالة العشق بين عنصرين احدهما يشتعل والآخر يساعد على الاشتعال حيث

---

١ ـ البقرة: ١ ـ ٢.

ينتج عن ذلك التزاوج ماء فرات يشكل انهاراً جارفة وبحاراً متلاطمة ومحيطات شاسعة ويتكون منه المطر اللطيف ؟ ! !

أيُّ قوة عجيبة هذه التي تؤدي إلى ان تتحد عناصر متعددة مع بعضها بين ثنايا الارض اليابسة وفي جوف الصخور الصماء واعماق طبقات القير التي تفوق في سوادها ظلمة الليل البهيم فيخرج من ذلك معدن الالماس ؟ !

وأي ارادة قاهرة تلك التي تُخرج لنا من اتحاد عدة مواد من معادن اليمن عقيقاً احمراً، ومن طيات التراب في نيشابور الفيروز الازرق، وتهب لنا آلاف المواد التي يحتاجها البشر وذلك من خلال امتزاج التراب مع فضلات الحيوانات ؟ !

وأي رحمة تلك التي تمنحنا محصولاً نافعاً مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد من خلال اتحاد الاحجار مع التراب ومواد اخرى مع الحجر ؟ !

أي ارادة وحكمة هذه التي تهب عبادالله كل هذه النعم بواسطة اتحاد وتزاوج العناصر فيما بينها ؟ وأي ارادة وحكمة هذه التي أودعت كل هذا التآلف والوئام والانسجام بين الشمس وعناصرها الملتهبة وبين الأرض حيث ينتج عن اتحاد عناصر الشمس وعناصر الأرض وتزاوجهما نِعمٌ نعجز عن أحصائها كما أكد ذلك القرآن الكريم حين قال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾.

إنّه ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1].

---

١ ـ ابراهيم: ٣٢ ـ ٣٤.

ان مستوى الجاذبية بين العناصر وايجابيتها أو سلبيتها والعلاقة الحميمة القائمة بينها لغرض التكاثر والتناسل كل ذلك يقوم على أساس نظام محددٍ وقوانين ومقررات عادلة، والجاذبية هذه خارجة عن نطاق الافراط والتفريط، وهذه العلاقة لا يعتريها الفتور ابداً ولا معنى للجفاء والتخاصم والاختلاف في هذا العالم الجميل الوادع ولا وجود للانفصال بعد هذه التزاوج الروحي.

فلو كان وجود للاختلاف والجفاء والانفصال في هذا العالم فلا شك في ان الفساد والافساد سيلقي بظلاله ويعقّد الأُمور ويضرب باطنابه في أساس هذا العالم.

ان للعناصر المكونة لعالم الجماد حجماً ووزناً معينان وفواصل محددة ونمواً يتناسب مع وضعها، واتحاد كل منهما مع الآخر يقوم على أساس الكفاءة، فلا تتمرد العناصر على النظام المحدد لها ولا تبادر إلى المشاكسة والتخاصم فيما بينها، بل تحافظ على القانون وحدود وجودها اينما كانت في هذا النظام.

﴿لاَ ٱلشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلاَ ٱللَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1].

وفي تقدير وزن الاجرام في الفضاء الخارجي وحجمها وطولها وعرضها وعمقها ولونها ومواصفاتها والمسافات التي تفصل بينها ـ ومنها المسافة بين الشمس والكرة الارضية التي تناهز (١٥٠/٠٠٠/٠٠٠) كم ولا تتغير هذه المسافة على الاطلاق حيث ان زيادتها تعني تجمد كافة الكائنات على وجه الارض، ونقصانها يعني احتراق ما على الارض ـ لا يُري شيء سوى علم الله سبحانه وحكمته الازلية التي تقوم على أساس ارادته ومشيئته في جميع

١ ـ يس: ٤٠.

الكائنات، ومتى ما نظر اهل البصائر والمنصفون واصحاب الضمائر الحيّة والصالحون إلى نظام الكون ببصائرهم وبقلوب واعية حينذاك ستخشع قلوبهم لذكر مبدع هذا الخلق والكون ويرددون من اعماقهم:

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً ﴾(١).

نعم، ان النظام والقانون والحقيقة تتجلي في ظاهر وباطن عناصر عالم الوجود قاطبة، واسماء الله وصفاته تعلو كافة الكائنات، وان صورتها وايحاءاتها من الوضوح بحيث تتيسر قراءتها وادراكها لكل بسيط واميٍّ من البشر، والأعجب من ذلك كله ان هذه المخلوقات جميعاً تسير سيراً حثيثاً بنظام خاص من أجل الوصول إلى محبوبها ومرادها وهو رب العالمين، وهذا ما يؤيده قوله تعالى:

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾(٢).

نظام التعايش بين النباتات

ان طريقة التزاوج أو بعبارة اخرى التلاقح والتكاثر والتناسل بين النباتات يحدث بنحوٍ يدفع كل من يشاهدها ويتأملها فيه ان يغوص في بحرٍ من الدهشة والانبهار، والمجال لا يتسع هنا لشرح تفاصيل هذه العملية وتوضيحها.

وسوف اعرض لكم بايجاز تفاصيل هذه العملية العجيبة التي تقترن بظروف خاصة وطريقة عجيبة وابين لكم طريقتها التي تسير بانتظام ودقةٍ خارقةٍ.

لو تفحصتم الزهرة لوجدتم في وسطها خيوطاً وسيقان رفيعة تسمى الاسدية يتفاوت عددها من زهرة إلى اخرى وفي نفس الوقت فهي تخضع لبرنامج

١ ـ آل عمران: ١٩١.

٢ ـ النجم: ٤٢.

خاص، وفي أعلى هذه الخيوط ثمة نتوءٍ صغير اصفر اللون وفي وسطه كيس صغير يطلق عليه المتك فيه اربع بؤرٍ تستقر فيها حبوب اللقاح التي لا تُرى بالعين المجردة لها شبهٌ بنطفة الحيوانات إلى حدٍ بعيد!!

وبعد حصول عملية التلقيح بين الجهازين الانثوي والذكري تتكون البيوض، وحبوب اللقاح رغم صغرها فإن تركيبها الداخلي وفعالياتها من الدقة ما يثير العجب، وفيها مقدار من المواد البروتينية والدهنية والسكرية والنشوية والآزوتية، وفي وسط كلٍّ منها نواتان واحدة صغيرة والاخرى اكبر منها، فالكبيرة تسمى نواة النمو والصغيرة نواة التوليد ستعرفون عملها لا حقاً.

الجهاز الانثوي: وهو القسم الذي يستقر أعلى مركز الزهرة، ويعلوه نتوء يسمى الميسم تغطيه مادة لزجة يتلخص عملها في استقطاب الحبوب الذكرية والمحافظة عليها والمساعدة على تنميتها.

وفي أسفل الجهاز الانثوي الذي يتصل بالقسم الاسفل من الزهرة هنالك جسم منتفخ يسمى المبيض تشاهد فيه بويضات صغيرة لكلٍّ منها خيط خاص يتصل بجدار المبيض ومن خلاله تمتص الماء والمواد الغذائية الضرورية، والبويضات بدورها لها تركيب ملفت للانتباه.

طريقة التلقيح: بعد أن تتمزق أكياس حبوب اللقاح وتستقر حبوب اللقاح على المبيض فانها تبدأ بالنمو، وهنا لا بدّ من التذكير بأن هنالك طرقاً مختلفة لوصول حبوب اللقاح إلى القسم الانثوي تثير الدهشة لدى المتأمِّ في عالم الخلق.

من ذلك، ان حشراتٍ مختلفة تؤدي هذه المهمة دون علمٍ منها، أي انها تطير نحو الازهار وتقف عليها لما فيها من لونٍ ورائحة جذابةٍ ولوجود المواد السكرية وسط الازهار، وبذلك فانها تحمل حبوب اللقاح بارجلها وتنقلها من مكان إلى

آخر، وهذا العمل مهمٌ جداً لا سيما بالنسبة للازهار التي ينفصل فيها الجهاز الانثوي عن الذكري ويستقر كلٌ منهما على ساقٍ منفصل.

وكما اسلفنا فإن حبوب اللقاح حينما تستقر على القسم الانثوي تبدأ حينذاك بالنمو والتكامل وتزامناً مع نموها تنمو النواة الكبيرة فتمتد نحو المبيض وتنتهي كلياً على مقربةٍ منه وتنقرض تماماً، الا ان النواة الصغيرة وهي نواة التوليد تنفذ من خلال هذا الانبوب الدقيق وتدخل إلى المبيض وتتحد مع البويضات فتحدث عملية التزاوج في ظل ذلك الجو المظلم السّري، فتنعقد نطفة الزهرة وتتكون البيضة الاصلية.

في عالم النبات كما هو الحال في الجمادات تأخذ قوانين التزاوج واسباب الاتحاد والتكاثر والتناسل طريقها وفقاً لارادة الحق تعالى بعيداً عن الاختلاف والاجحاف والنزاع والانفصال، وعبر هذا الطريق تمتلىء موائد الكائنات الحية لاسيّما البشر بانواع الثمار والحبوب والفواكه!!

التزاوج والتكاثر والتناسل عند الحيوانات

ان ميل الذكر نحو الانثى وميل الانثى نحو الذكر عند الحيوانات وعلاقة المحبة التي تجمعها من اجل التلذذ بالحياة والتكاثر والتناسل والمحافظة على النسل تعتبر من العجائب التي يعجز عنها الوصف.

فارادة الحيوانات وشعورها واهتمامها بهذه القضية الحساسة، والتنظيم والانضباط السائد في عملية التزاوج والتعايش فيما بينها مما يذهل المتأمل فيها ويبهره.

ان حالة التعاون بين الذكر والانثى في بناء الاوكار والبيوت والمحافظة على الاسرار واختيار المكان والزمان والأهم من ذلك اجراء عملية التلقيح والاهتمام

بالفراخ وتوفير الغذاء لها وتلقينها الأُمور الضرورية والمحافظة عليها من الحوادث والاخطار وسائر الاحوال التي تسود عالم الحيوان، انما هي في الحقيقة تجسيد لارادة الحق تعالى ويتعين اعتبارها في عداد عجائب عالم الوجود.

ان عالم اللبائن والزواحف المليء بالاسرار وطريقتها في التلقيح والولادة والمحافظة على البيوض أو الاجنّة والفراخ كل ذلك مما يحير المرء ويثير لديه الدهشة، وظروف التزاوج والتكاثر والتناسل لدى الحيوانات هي ظروف متجانسة ومنبثقة من القوانين الالهية، يقول تعالى:

﴿ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذُ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1].

فليس هنالك حيوان ينزو على انثى من غير جنسه رغم امتلائه بالشهوة الجنسية، فالذكر لا يلوث شهوته بعملٍ خبيثٍ وقبيح ولا ينحرف عن الصراط المستقيم، وليس هنالك انحرافٌ لدى الحيوانات في مجال الغريزة الجنسية، فنطفة الذكر من الحيوانات تختص بانثاه وهو لا يلتفت إلى غيرها، ولا وجود بينها لنظرة السوء والاعتداء على الآخرين، والتجاوز على انثى تخضع لذكرٍ آخر، ولا فرق في هذا المجال بين الزواحف واللبائن.

ان قصة النظام والانضباط الذي يتحكم في كافة مفاصل الحياة لا سيما التوالد والتكاثر عند الطيور والزواحف والوحوش والحيوانات البحرية انما هي قصة عجيبة تثير الدهشة لدى أهل التأمل والتفكير، وطريقة حياة الحيوانات المقترنة بالقوانين التي تحكمها تعد درساً بليغاً لمن نأوا بأنفسهم عن اجواء الهداية الربانية، وانعزلوا عن مصدر النفحات المعنوية والنورانية، فالحيوانات

---

١ ـ هود: ٥٦.

شأنها شأن الجمادات وسائر عناصر الكون كالشمس والقمر والسماء والارض، ومثلها مثل النباتات في التنظيم والانضباط.

الانسان والزواج

ان عملية التزاوج والتوالد والتناسل في عوالم الجماد والنبات والحيوان تسير وفقاً للقوانين التكوينية والتوجيه الصحيح للغرائز. بيد ان هذه العملية المهمة وهذه السنّة الطبيعية السامية يجب ان تأخذ مجراها في عالم الانسان على ضوء القوانين والأحكام الشرعية والاوامر الالهية الواردة في القرآن الكريم والروايات الواردة عن الأنبياء والأئمة الطاهرين (عليهم السلام).

فقد اودعت بذور هذه النزعة في نفس الرجل والمرأة على شكل غريزة ورغبة ومحبة ورحمة، بناء على ما اقتضته ارادة الحق عزوجل، يقول تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

ويقول أيضاً:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾[2].

ان اختيار الزوج في نظر الثقافة الاسلامية يعد بحد ذاته امراً مستحباً ومحبذاً للغاية وعملاً حسناً، الا ان ما يترتب على المرء إذا ما بقي اعزباً أن لا يلوث الحياة بالمعصية والرذيلة والفحشاء والمنكرات، وفي غير ذلك يصبح الزواج امراً ضرورياً ومسؤولية لا مفر منها.

وهنا لا مناص من تنفيذ الاوامر الالهية بشأن الزواج بكل ما اوتي المرء من

١ـ الروم: ٢١.

٢ـ الفرقان: ٥٤.

قوة وان لا يدع الخوف من المستقبل يتسرب إلى نفسه لا سيّما فيما يتعلق بالأُمور المادية وتكاليف الحياة فإن ذلك من احابيل الشيطان وناشيء عن وهنٍ في النفس وفقدان الثقة بباريء الكون ومدبره.

وفي الآية التالية من سورة النور تلمسون الامر الالهي بشأن الزواج وتكفله بتأمين تكاليف الحياة الزوجيّة، إذ يقول تعالى:

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

و﴿ وَأَنكِحُوا ﴾ من الناحية النحوية فعل أمرٍ، وهذا الأمر موجه إلى ابناء المجتمع فرداً فرداً رجالاً ونساءً، ويستفاد من هذه الآية الكريمة وجوب الزواج لمن هم بحاجة له ولا يتسنى لهم المحافظة على سلامتهم وطهارتهم الاّ من خلال هذه الطريق، هذا من جهة، ومن جهة اخرى ضرورة مبادرة العوائل لا سيما الوالدين ومَنْ تتوفر لديهم القدرة المالية إلى تسخير امكانياتهم في هذا المجال من اجل بناء الحياة الزوجيّة لابنائهم وبناتهم.

لا تتشددوا في الزواج

ان حاجة الرجل للمرأة وحاجة المرأة للرجل لا سيّما أوان تفتح براعم الغرائز والشهوة، واشتدادها وتصاعد قوتها حين الحاجة إلى الزواج، هي من الأُمور الطبيعية والانسانية المهمة ولا يمكن لأي انسان انكارها.

فالآمال والرغبات والتطلعات المشروعة الكامنة في نفوس الشباب ذكوراً كانوا أم اناثاً ازاء المستقبل وفي مقدمتها بناء الحياة الزوجيّة، هي من الحقائق

١ ـ النور: ٣٢.

الواضحة للجميع كوضوح الشمس في رابعة النهار لا سيّما الوالدين ممن لديهم ابناء وبنات في سن الزواج.

والأهم من ذلك كلّه، ان السبيل الامثل والمنهج الاسمى للحد من الموبقات، واقوى تدبير لصيانة المجتمع من الانحدار في مستنقع الفحشاء والمنكرات هو تزويج الابناء والبنات في الوقت المناسب لحاجتهم إلى ذلك، وهذه حقيقة لا يتوقع انكارها الاّ من قبل الحمقى والجهلة وفاقدي الشعور.

بناءً على ذلك فإن المسؤولية تقع في بداية الأمر على الوالدين والاقربين ومن لهم دور في مسألة زواج أبناء الأُسرة وبناتها، وذلك يتمثل في تيسير مقدمات هذه السنّة الالهية وتوفير الارضية الملائمة للزواج بأيسر السبل واحسن الطرق، ومن ثم يأتي دور الابناء والبنات ممن توفرت لديهم الرغبة في الزواج، إذ يتعين عليهم تجنب الطموحات غير المبررة وفرض الشروط المرهقة، كي تأخذ الرغبات والغرائز والطموحات طريقها الطبيعي بيسر وسهولة، ويوضع حجر الاساس للحياة السعيدة، ويُشيّد البناء الذي يُرتجى منه خير الدنيا والآخرة.

مما لا شك فيه واستناداً للآيات القرآنية والروايات والاخبار ان الله سبحانه سيتسامح مع الذين يتسامحون في شؤون الحياة لا سيما قضية زواج ابنائهم وبناتهم، وييسر أُمورهم في الدنيا والآخرة وبالذات عند الحساب وتطاير الكتب والميزان في عرصات يوم المحشر، وان الغضب الالهي في الدنيا والآخرة وسوء الحساب وعذاب جهنم سيحيق بالمتزمتين والمعرقلين لهذا الأمر ويتسببون في ان يئن ابناؤهم وبناتهم تحت وطأة الغرائز والشهوات، ويبتلون بالامراض العصبية والنفسية، وتسوء اخلاقهم ويتلوثون بالمعاصي والموبقات، ومن ثم تذهب امالهم وطموحاتهم ادراج الرياح.

ان التدقيق الزائد في مسألة الزواج يجر الانسان إلى التشدد دون علمٍ منه،

فالتزاوج بين اثنين في النظام الكوني يجري بسهولة بالغة، فلو كان التزاوج في عالم الحيوان صعباً وعسيراً لفقد النظام القائم حالياً رونقه وصورته المشرقة.

فيا ايها الاباء والامهات، وايها الابناء والبنات! لا تتشددوا في تمهيد مقدمات هذه السُنّة الالهية، من قبيل فرض المهر واقامة المراسيم واجراء احتفال عقد القران والزفاف والتمسك بالعادات والتقاليد، ولا تفرضوا ما هو خارج عن طاقة اسرتي العريسين كي يجري الزواج بسهولة ويمن عليكم الباري تعالى بتيسير أُموركم في الدنيا والآخرة.

تعالوا واقتدوا بمنهاج اهل التقى، وخذوا من منابع الخير والبركة تلك درساً وعبرةً وشيّدوا حياتكم على أساس سيرة اولئك الأولياء، إذ ان السعادة والهناء وبلوغ خير الدنيا والآخرة، والحصول على الشرف والكرامة، كل ذلك انما يتأتى في ظل الاستلهام من اولئك الذين عشقوا الجمال الازلي، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) واصفاً المتقين:

«أنفسهم عفيفة، وحاجاتهم خفيفة، وخيراتهم مأمولة، وشرورهم مأمونة»[1].

على اية حال، الحري بالقائمين على أمر الزواج أن يتجنبوا الطموحات غير المبررة وفرض الشروط المرهقة، واتباع الهوى والميول النفسية، والتمسك بالتقاليد والاعراف الخاطئة، وتقليد الآخرين والتشدد في شؤون الزواج، وعليهم اقامة بناء الزوجيّة منذ الوهلة الاولى على أساس التقوى والخير والصلاح وتيسير الأُمور وان يجعلوا غايتهم نيل رضى الباري تعالى.

بعد ان تنتهي مراسيم الزفاف يتعين على الزوج مواصلة الحياة الزوجيّة مع المرأة التي سبق أن التقى بها اثناء الخطبة ورضيها زوجة له وابرم معها عقد

---

١ ـ هداية العلم: ٦٥١.

النكاح، وان يعمل على ضمان استمرار المودة والرحمة الالهية القائمة بينهما، ويتوجب على الزوجة ان تفتح امام زوجها ـ الذي كانت قد التقته قبل اجراء عقد الزواج ـ ابواب الرأفة والتسامح وان ترعى حقوقه على كافة الاصعدة.

ان المحافظة على الشأنية لا تكمن في المهر الباهض والاحتفالات المكلّفة وكثرة المدعوين والتمسك بالتقاليد والاعراف الخاطئة المنافية للمنطق، والتشدد في الشروط، بل تكمن في اختيار الكفو واجراء المراسيم على بساطتها، ومراعاة الاخلاق الاسلامية من قبل كلتا الاسرتين، والمحافظة على الحقوق الالهية والانسانية من قبل الزوجة والزوج ازاء بعضهما البعض، والعمل على استمرار اجواء المحبة والمودة من قبل الزوجين بغية استمرار الحياة الزوجيّة، والنأي بحياتهما عن الفوضى والاضطراب والعوامل التي من شأنها اثارة الامراض العصبية والنفسية.

ان الحياة الزوجيّة التي عاشها أمير المؤمنين (ﷺ) وفاطمة الزهراء (ﷺ) تمثل افضل درسٍ في الحياة بالنسبة لكل مسلمٍ ومسلمة، فقد كانت فاطمة (ﷺ) مصدر الاستقرار لاسرتها لا سيما بالنسبة لزوجها، وراسية لدعائم الحياة في البيت، وكان علي (ﷺ) مثلاً اعلى للزوج والاب، والمربي الرؤوف لاولاده، ومعيناً حريصاً في تسيير شؤون البيت والعائلة، فلم يأبَ يوماً عن انجاز الاعمال اليسيرة في البيت من قبيل التنظيف واعداد الخبز ومد يد العون لابنائه، ولم يدع زوجته تشقى في انجاز اعمال البيت وتقع جميع شؤون العائلة على كاهل الزهراء (ﷺ) لوحدها.

ينبغي للزوج والزوجة ان يراعي كلٌ منهما حقوق الآخر وان يساعد احدهما الآخر في جميع شؤون الحياة، ولا يتصوروا ان اطلاق صفة الظلم ينحصر فيما فعله فرعون والنمرود وسائر الطغاة على مر التاريخ، بل ان كل عملٍ يرتكز على

الباطل من شأنه خدش مشاعر الآخرين فهو ظلم، وان الله سبحانه يبغض الظلم والظالمين ولا يرضى باي نوعٍ من الظلم مهما قلَّ وأياً كان مصدره.

سنشير ان شاء الله تعالى خلال كلامنا واحاديثنا المقبلة إلى جميع ما يرتبط بنظام الأسرة في الاسلام، وفي هذا المقطع من الحديث نكتفي بنقل بعض الروايات المهمة الواردة في الكتب المعتبرة والمتعلقة بالزواج واهميته وفوائده ومكانة الأسرة وبنائها واهميتها في الثقافة الاسلامية، وندعوكم إلى التأمل في هذه الروايات كي تقفوا على قوة الاحكام الالهية ويتبين لديكم خلو جميع الثقافات الاخرى من المفاهيم التي تتضمنها الثقافة الاسلامية.

أهمية الزواج في الروايات

عن النبي (ﷺ) قال: يُفتح ابواب السماء في أربعة مواضع: عند نزول المطر، وعند نظر الولد في وجه الوالد، وعند فتح باب الكعبة، وعند النكاح[1].

قال النبي (ﷺ): **«تزوّجوا وزوّجوا الأيِّمَ فمن حظ امرء مسلم انفاق قيمةِ ايّمةٍ، وما من شيء أحب إلى الله من بيت يعمّر في الاسلام بالنكاح»**[2].

قال النبي (ﷺ): **«زوّجوا أياماكم فإن الله يُحسن لهم في أخلاقهم، ويوسّع لهم في ارزاقهم، ويزيدهم في مُرواتهم»**[3].

قال رسول الله ﷺ: **«النكاح سنتي فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»**[4].

قال النبي ﷺ: **«من تزوّج فقد احرز نصف دينه، فليتقِ الله في النصف الباقي»**[5].

---

١ ـ الزواج في الاسلام، ص ١٧.

٢ ـ نفس المصدر، ص ٧.

٣ ـ نفس المصدر، ص ٨.

٤ ـ بحار الأنوار: ١٠٣، ص ٢٢٠.

٥ ـ بحار الانوار: ١٠٣: ٢١٩.

عن ابي عبدالله (ﷺ) قال: جاء رجل إلى أبي فقال له: هل لك من زوجة؟ قال: لا، فقال أبي: ما أحبّ انّ لي الدنيا وما فيها انّي بتُّ ليلة وليست لي زوجة، ثم واصل أبي حديثه فقال: الركعتان يُصليهما رجلٌ متزوج أفضل من رجلٍ أعزب يقوم ليلة ويصوم نهاره، ثم اعطى أبي سبعة دنانير إلى ذلك الرجل وقال له اقضِ بها ما تحتاجه لزواجك فقد قال رسول الله (ﷺ): «اتخذوا الاهل فإنّه ارزق لكم»(١).

قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوج فإنّه اغضّ للبصر، واحصنُ للفرج».

وقال ﷺ: «ما من بناء في الاسلام احبّ إلى الله من التزويج»(٢).

وقال ﷺ: «مَنْ تزوّج فقد أُعطي نصف السعادة»(٣).

قال النبي ﷺ: «ما من شاب تزويج في حداثة سنّه الاّ عجّ الشيطان يا ويلَهُ يا ويلَهُ عصمَ في ثلثي دينه فليتق الله العبد في الثلث الباقي»(٤).

فما هي القيم التي في الزواج؟ وما هي الفوائد العظيمة التي يجنيها كلٌّ من الزوج والزوجة؟ وايّ اهمية وشأن يوليها الاسلام للزواج؟

ليت عوائلنا تبذل قصارى جهودها لتمهيد السبيل من أجل تيسير هذه السّنة الالهية والانسانية، ويُقلعوا عن التشدد وفرض الشروط المرهقة، والمبادرة إلى اقامة مراسيم الزواج وفقاً لامكانياتهم، وسلوك طريق القناعة بما توفر وتجود به الايدي، كي ينال ابناؤنا وبناتنا طموحاتهم الطبيعية وتتحقق آمالهم، ولا يكفر

١ ـ الوسائل: ٧/١٤.

٢ ـ البحار: ١٠٣: ٢٢٢.

٣ ـ مستدرك الوسائل ابواب المقدمات الباب الاول.

٤ ـ البحار: ١٠٣: ٢٢١.

بنعم الله الكامنة في غرائزهم وشهواتهم، ولا تتلوث انفسهم بالمعصية والرذيلة.

اين تكمن جذور الكبت وانحراف الغرائز والشهوات، وانتشار الفساد والرذيلة، واطلاق العنان للبصر والاهواء النفسية، والزنا والتجاوز على نواميس الآخرين، والتخلف في المستوى الدراسي والتقاعس عن اداء العبادات وبروز الامراض العصبية والنفسية وسائر الابتلاءات؟

ان الاجابة على هذه الأسئلة لابدّ أن يتولى امرها في بداية الأمر الاباء والامهات المتصلبون الذين وقعوا بين مخالب التقاليد والعادات الخاطئة، وتكبّلوا بتقليد الآخرين، ويأتي بعدهم دور الابناء والبنات ممن ابتعدوا عن التقوى، واخيراً اولئك الذين تتوفر لديهم الامكانيات اللازمة لتزويج الشباب ويبخلون عن بذل اموالهم في سبيل الله، كل هؤلاء عليهم ان يقدموا ما لديهم من جواب منطقي وعقلي مقنع في هذه الدنيا وكل ما يقدمونه الآن من اجابة يتحتم تقديمه حين تقام محكمة العدل الالهي يوم يقوم الناس لرب العالمين!!

﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾

الأعراف ذاريات / ٢٦

٢

التقوى في الأسرة والمجتمع

حقيقة التقوى

ان المصدر اللغوي لهذه الكلمة التي تنطوي على أجمل مفهوم هو «وقي»، وهي تعني صيانة النفس ازاء المحرّمات والنواهي.

وفي الحقيقة فإن «وقىٰ» تعني الروحية والقدرة المكتسبة من خلال الممارسة المستمرة على ترك الذنب والرياضة النفسية والانضباط أمام المعصية واللذائذ المحرّمة.

ان السعي لغرض تحصيل التقوى وعدم ارتكاب المعاصي يعدّ من أفضل المساعي، ومن الأعمال المستحسنة، وتحصيل التقوى عبادة أمر الباري تعالى بها، ومن الافعال التي تجلب رضاه.

والفلسفة من القيام بالعبادات على الصعيد المالي والبدني والأخلاقي انما تتبلور في حصول التقوى في مجمل حياة الانسان، فالعبادة والنشاط والعمل لا تعدّ عبادة ما لم تثمر التقوى التي تمثّل مصدر الكرامة والشرف والسعادة ومفتاحاً لخير الدنيا والآخرة.

ان المجتمع يتألّف من مجموعة عوائل وكل عائلة تتكون من الزوج والزوجة والأولاد، وفي الحقيقة ان الافراد بمثابة اللّبنات التي يقوم بها بناء الأُسرة والمجتمع، ولو تحلّى كلٌّ منهم بالتقوى فسوف نحصل على الأُسرة الصالحة والمجتمع الفاضل، الأُسرة التي يسودها الامان بكل نواحيها وتتوفر فيها أفضل الاجواء لتكامل أبنائها وذلك بفعل تحليهم بالتقوى، وبالتالي سيكون

لدينا مجتمع يمثّل افراده مصدر خيرٍ بعضهم للبعض الآخر، ويأمنُ بعضهم شر ومكائد البعض الآخر.

المتّقون أحباء الله والمقربون لدى الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، وهم النافعون الذين يفيضون كرماً، قد حَسُنَت سيرتهم وتحولت صورهم إلى صورٍ ملكوتية الهية، واتصفوا بمكارم الاخلاق، وتنزّهوا عن المساويء والقبائح والرذائل.

ان كرامة الفرد والأُسرة والمجتمع إنّما تكمن في التقوى، وليس هنالك شخص او مجتمع اكرم على الله من المتّقين، وما يعرض له الزوج والزوجة والآباء والامهات والابناء وكافة أبناء المجتمع من ايذاء من قبل بعضهم البعض الآخر انما هو نتيجة لانعدام التقوى، وحالة التوجّس التي يعيشها الناس في البيت أو المجتمع فيما بينهم إنّما هي من العواقب الوخيمة لفقدان التقوى، وما يشاهد من خسائر فادحة في حياة البشر فذلك بفعل انعدام التقوى.

فالحري بكلٍّ من الزوج والزوجة التحلّي من أجل تكوين الأُسرة الصالحة، ومن الضروري ان يعملا على أن تأخذ هذه الدعوة الالهية طريقها إلى نفوس ابنائهما، بل عليهما تمهيد السبيل بغية تحقق التقوى لديهم منذ نعومة اظفارهم.

حبذا لو تأملتم الفوائد التي تنطوي عليها التقوى التي ذكرتها الآيات القرآنية والروايات ومن ثم تبادرون إلى تقييم الواقع وتتأملوا صورة الأُسرة والمجتمع فيما لو تحلّى جميع ابنائنا وبناتنا بالتقوى وبادروا إلى الزواج متزوّدين بهذه الثروة الربانية.

التقوى ومراتبها

يذكر من عبَّر عنهم القرآن الكريم بأولي الالباب والبصائر، ومن قطعوا اشواط السواك المعنوي والروحي، ثلاث مراتب للتقوى: التقوى خاص

الخاص، والتقوى الخاصة، والتقوى العامة.

وفي رواية عن الامام الصادق (ﷺ) يوضح فيها هذه المراتب:

المرتبة الاولى: التقوى بالله في الله، وهي عبارة عن ترك الحلال فضلاً عن ترك الشبهة وهذه التقوى خاص الخاص.

المرتبة الثانية: التقوى من الله، وهي عبارة عن اجتناب الشبهات جميعاً فضلاً عن الحرام وهي التقوى الخاصة.

المرتبة الثالثة: التقوى النابعة من الخوف من عذاب جهنم والعقاب الاليم وهي عبارة عن ترك المعاصي والمحرّمات وهي التقوى العامة[1].

والمراد من ترك الحلال في قول الامام الصادق (ﷺ) هو ان المتقين في هذه المرتبة لا يبطلبون الأُمور المحلّلة لعدم شعورهم بالحاجة اليها، ويكتفون من الحلال بما يحتاجون لنيل الكمال.

ان القابلية على القناعة متيسرة للجميع، ومن ادعى عجزه عن التزام القناعة لا يُقبل منه هذا الادعاء، فالقناعة بالحلال والتزام الكفاف في الأُمور المادية الضرورية للحياة، والزهد في القصور الفخمة واللوازم النفسية والملابس الراقية والموائد المتنوعة، يعد ممارسة اخلاقية وعملاً مستحسناً وسبيلاً لسيادة التقوى في جميع مرافق الحياة.

الحاج السبزواري والقناعة

في عام ١٣٦٢ توجهت إلى مدينة سبزوار لغرض التبليغ، وهناك سألت عن اسرة الحكيم والعارف الجليل الحاج ملا هادي السبزواري، فقيل ان احد احفاده

---

١ ـ المواعظ العددية: ١٨٠.

يسكن في المدينة وهو ممن يـتصف بـالعلم والمـعرفة وله اضـطلاع بـالحكمة والفلسفة وتفسير القرآن وقد قام بتفسير القرآن الكريم مرّتين في المسجد الذي يتصدى لامامة الجماعة فيه.

فأسرعت للقائه، فكانت أخلاقه وسلوكه وحياته تعكس صورة عن الحياة المباركة للحاج السبزواري، واستفسرت منه عن احوال جدّه الجليل، فشرح لي أموراً تثير الدهشة عن صفاته وأحواله، منها: بالرغم من ان الحاج السـبزواري كان محط اهتمام الشخصيات السياسة والعلمية في البلاد وانهم كانوا يقصدونه من مختلف انحاء البلاد وحتى من المناطق النائية للتزود من علمه الاّ انـه كـان قانعاً بالقليل من ناحية الدار والمأكل والملبس!!

وربما كان يحتفظ ببعض ملابسه ويسـتخدمها لمـدة عشـر سـنين بكـامل شروط الصحة والطهارة، ولم يستنكف من ترقيع تلك المـلابس، وهـذه سـيره الأنبياء والأولياء!

البهرجة والاسراف

ان البهرجة والاسراف ـ في نظر البـاري تـعالى ـ مـن الاعـمال الشـيطانية والأُمور المرفوضة، ومن الممارسات التي تتماشى مع الاهواء النسيّة والشهوات الحيوانية.

ما المانع في ان يلتزم المرء بالحدود الالهية لا سيما القناعة في جميع مرافق الحياة؟ فـالقناعة مـصدر الراحـة، والدافـع نـحو الانـعتاق، والعـلاج النـاجع للاضطراب والقلق النفسي.

ان حاجة البدن تُسدُ ببيتٍ مناسبٍ لشأن الفرد مركبٍ بسيط وملبس ومأكل على قدر الحاجة.

ينبغي تجنب تقليد الآخرين في بناء الحياة، والاكتفاء بما هو متيسر من المصروفات، والابتعاد عن الاسراف واقتناء ما يُعدّ بهرجة واسرافاً.

عينا ان لا نقتدي بالغرب في الزي ونمط الحياة فانهم قد وقعوا بالكثير من الاخطاء، ولا يؤدي التطور الصناعي والفني الذي بلغوه إلى ان نتصور صواب وصحة كل ما يقولونه ويكتبونه وان ما هم عليه من اناقة، واسلوب في المعيشة مطابق للواقع.

ما يحظى بالاهتمام في الاسلام هو سلامة الروح والبدن والمدينة والمحلّة، والذي تُعنى به الثقافة الاسلامية من الأُمور المادية والمعنوية، والاخلاقية، والايمانية للفرد والمجتمع هو ما يصب في مصلحة الانسان في الدنيا والآخرة، والاسراف والبهرجة والانهماك بالمصاريف المرهقة وتجميل ظواهر الحياة بعيداً عن القناعة والاقتصاد ـ حتى في بناء المساجد التي هي مراكز العبادة بالنسبة للمسلمين ـ من الأُمور التي يذمها هذا الدين وهذه المدرسة التي تبني الانسان.

يجب ان تكون المساجد والبيوت زاخرة من الداخل بالروح المعنوية وباعلى درجاتها، وفي ظاهرها يجب ان تتصف بالبساطة والوداعة كي لا تبتلي القلوب بالوسوسة والتجبر ولا تبتعد النفوس عن ساحة الحق تعالى.

البسوا ما بسط من الملابس ولكم التزموا آداب اللباس، وكلوا ما يسدُّ رمقكم من الطعام وتمثلوا آداب الطعام، واقتنوا ما يناسبكم من السيارات ولكن عليكم عدم الغفلة عن آداب السياقة، واستحصلوا الدار الضرورية لحياتكم على ان لا تصبحوا اسرى لهذه الدار، كل ذلك من ثمار التقوى والزهد والتوجه إلى الله تعالى.

ان حياة اليهود والنصارى هي التي يطغى عليها الاسراف، في اقتنائهم الدار والاثاث وواسطة النقل والملابس والطعام، فكنائسهم ومعابدهم تغص بالذهب

والزخارف والتماثيل والجواهر الاثرية واللوحات النفسية التي تبلغ قيمتها ملايين الدولارات.

وحياة الحاخامات والقساوسة بل وحتى البابا تضج بالاسراف والتبذير إلى حدٍ يبعث الدهشة والتعجب، فلو بيع التاج الخاص بالبابا وملابسه لا مكن انقاذ الملايين من الجياع.

ان اكتناز الثروة وأكل الربا وممارسة السرقة في وضح النهار وغيرها من الفضائح هي اعمال اعداء الله، أما احباء الله فيتعين عليهم الالتزام بما اراده هو وصيانة انفسهم من الوقوع بين فكي الاسراف والتبذير.

والتقوى هي السبب في الحصول كل المحاسن وهي التي تحفظها، فالبيت العامر بالتقوى، والازواج الذين يتحلّون بالتقوى انما يتوفرون على كنزٍ الهي وثروة ملكوتية، وبذلك تغدو حياتهم ترفرف عليهم السعادة والصفاء والمحبة وراحة البال والأمن والسلامة والانصاف والكرامة والشرف.

ينبغي ان يتمتّع المسجد والبيت بوضعٍ بحيث يشعر فيهما الانسان بالأمن والاطمئنان ويتخذ منهما منطلقاً للعروج نحو محبوبه.

وباختصار، يمكن تشييد بناء الزوجيّة عن طريق التزام التقوى والقناعة والتوجه نحو الله تعالى والاستعداد ليوم الدين، بنحو يكون البناء وسيلة لبلوغ السعادة الاخروية ونيل رضى الحق تعالى.

وفي عصرنا الراهن أيضاً يمكن العيش بالقليل من الدخل بشرط التزام التقوى والقناعة، وإذا ما عرضت مشكلة اثناء ذلك وعجز المؤمن عن مقاومتها، بما توفر لديه من دخلٍ يتحتم على المؤمنين ان يهبّوا لا عانته قبل فوات الاوان وانقاذه مما يلم به ضيق ومحن.

تواصوا بالتقوى

نظراً إلى عجز عامة الناس عن التزام التقوى بمراتبها العليا، أي التقوى خاص الخاص والتقوى الخاصة، ينبغي والحالة هذه عدم دعوتهم اليها، لأن هاتين المرتبتين من شأن الأنبياء والأئمة وأولياء الله.

الاّ ان من اليسير تحلّي عامة الناس بالتقوى العامة، اي ترك المحرمات بجوانبها الاخلاقية والشهوانيه الماليه.

بناءً على ذلك ينبغي لعامة الناس دعوة بعضهم بعضاً إلى التزام التقوى وذلك بالقول اللين والاخلاق الحسنة، وتشجيع بعضهم بعضاً على ترك المحرمات بجميع جوانبها كي تبسط التقوى ظلالها الملكوتية على شؤون الحياة وتنعم جميع المخلوقات لا سيما الأُسرة والمجتمع بما تدر به من منافع.

ان التزام التقوى من قبل الزوجين في جميع شؤون الحياة وتربية الاطفال عليها يعدُّ واجباً الهياً، إذ يقول الذين سلكوا طريق الحق والحقيقة: ان الطفل امانة وان قلبه وروحه وباطنه بمثابة الجوهرة والصفحة الناصعة الخالية من كل كتابة ورسمٍ ولها القابلية على استقبال ما يُرسم عليها، فإن تربى بين أكناف عائلة تعلمه المنطق الحسن والاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة وتفتح امامه سبيل استلهام الحقائق فإن هذا الطفل سينال السعادة في الدنيا والآخرة وبذلك يشاركه الوالدان في الاجر والثواب حيث كانا السبب في بلوغه هذا المستوى الرفيع، وكذا المعلمون ممن كانوا عاملاً في تأديبه.

اما إذا طَبع الوالدان ـ نتيجة تلوثهم وافتقارهم للتقوى ـ الصور الشيطانية على صفحات قلب الطفل وروحه وابتلي الطفل معهم برذائل الاخلاق وقبائحها واصبح كالبهيمة همه الوحيد البطن والفرج والقى بنفسه في مهاوي الشقاء

والتهلكة، فلا شك في ان وزر ذلك ووباله يقع على عاتق والديه أو معلمه ومربيه، يقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[1].

فكما يهتم الوالدان في الحؤول دون سقوط الطفل في نار التنور أو الاحتراق بلهيب الغاز ويمنعونه من الاقتراب من الخطر، فالأولى بهم ان يحولوا دون احتراقه بنار الغضب الالهي يوم القيامة نتيجة لعدم التحصن بالتقوى وسوء اعماله واخلاقه وضياع ايمانه واعماله الصالحة. والسبيل العملي للمحافظة على الطفل من العذاب الاخروي يتمثل في تحلّي الوالدين بالتقوى في بداية الأمر ومن ثم تربية الطفل عليها.

على الوالدين ان يلعبا دور المبلغ الوقور والمعلم الامين ويتمتعا بالحرص ويكونا بمثابة داعيتين إلى الخير في سبيل تربية اطفالهما.

عليهما بادىء ذي بدء تزيين وجودهما بالتقوى والايمان والعمل الصالح ومن ثم السعي لتهذيب الطفل وتأديبه وتعليمه محاسن الاخلاق والمحافظة عليه من صديق السوء والمعلم ذي الاخلاق المذمومة. ويجب عليهما العمل على عدم تعلق قلب الطفل بالزخارف والزينة المفرطة والبهرجة والاسراف وحب الثروة والمال لئلا يتحول في المستقبل إلى انسانٍ مسرفٍ وطماعٍ وبخيل وناهب واناني، إذ ان بناء المجتمع إذا قام على لبنات خاوية أو بعبارةٍ اخرى شُيد على افراد تنقصهم التقوى فإن ذلك البناء سينهدم على رؤوس أبناء ذلك المجتمع ولا تطاق الحياة فيه بالنسبة لجميع ابنائه.

لو كانت التقوى اساساً يقوم عليه بناء كافة الاسر، وتحلّى الزوجان به،

---

١ ـ التحريم: ٦.

وسرت منهما إلى الابناء لانتفت حاجة المجتمع للسجون وقوى الامن والمحاكم، وحينها يخف كاهل الدولة والامة من الميزانيات المرهقة التي نبيغي تسخيرها في سبيل توفير الرفاهية للجماهير وليس توظيفها في التصدي للناهبين والمفسدين واللصوص.

سيماء المتقين

يرى عظماء ديننا ـ مستندين إلى الآيات الكريمة والروايات ـ ان سيماء المتقين تتلخص بالأُمور التالية:

ـ كسب العلوم الدينية بما يحتاجه المكلف في اعماله واخلاقه ومعاملاته وعلاقته بالاسرة والمجتمع.

ـ المحافظة على سلامة البدن عن طريق الالتزام بالتعاليم الصحية والعمل بآداب الاكل والشرب.

ـ التحلّي بالذكاء والفطنة في جميع شؤون الحياة والتزام الامانة على كافة الاصعدة الحياتية.

ـ المحافظة على عفة النفس والصدق في الكلام، والتحلّي بفضائل الاخلاق وتجنب الرذائل والنزاهة عن الرياء والنفاق، والزهد في الأُمور الدنيوية الزائدة، والتجرد عن المكر والغدر والخيانة، وتكريم أهل العلم والفضل، والاقبال على أداء الوظائف الشرعية سواء الفرائض أو النوافل، والالتفاف حول العالم الرباني الذي يعمل على تعريف المسلم بدينه وتعليمه الحلال والحرام ولا همّ له سوى الاخذ بيد الانسان نحو الكمال، إذ ان اتباع العالم غير الرباني انما يمثل الشقاء والهلاك بعينه.

وضمن وصيته بهذا الأمر، اي اتباع العالم الرباني، يقول الامام الصادق(عليه السلام):

«إن آية الكذاب ان يخبرك بخبر السماء والارض فاذا سُئل عن شيء من مسائل الحلال والحرام لم يكن عنده شيء»[1].

ومن علائم المتقين أيضاً، الصبر ازاء الاحداث، ومراعاة الآداب والاحكام الاسلامية في كافة الأُمور، وملازمة الذكر ودوام التفكّر المقترن باخلاص النية وصفاء الباطن، ومراقبة النفس كي يصل الانسان من خلال طيّه لهذا الطريق إلى علم اليقين وبعده إلى عين اليقين ومن ثم حق اليقين.

الازواج المتقون

المتقي من الرجال لا ينهمك الاّ على كسب الحلال لسد مصاريف عائلته، فهو ملتزم بمراعاة حقوق جميع الذين يتعامل معهم في الكسب والاتجار، وبعبارة اخرى فهو لا يتسبب في الحاق الي ضرر بالعباد خارج البيت، ونتيجة لتزوده بالتقوى فهو لا يقترب من الحرام ولا يفرط بما يمتلكه من كنز القناعة والعفاف.

وحينما في من العمل ويعود إلى بيته يُلقي بجميع همومه واتعابه عند الباب ويدخل الدار. مفعماً بالنشاط والحيوية يعلوه الانشراح والسرور ويقابل زوجته بثغرٍ باسم ويبادرها بالسلام والتقدير لما بذلته من جهود على مدار اليوم بتنظيف البيت ومداراة الاطفال ويوليها احترامه ويتعامل معها ومع الاطفال بلطف ومحبة ويبذل لها ولهم من الاحترام ما يتناسب وشأنهم.

ويعلِّم اهله بين الحين والآخر اصول الحلال والحرام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاسن الاعمال ومساوئها ولا يدعهم يغطون في غفلةٍ عن

---

١ ـ الكافي: ٣٤٠/٢، المحجة البيضاء: ١٤٠/٥.

أُمور دينهم.

ولا يستهلك وقته وحياته خارج البيت، ولا يجعل ابتسامته وحيويته حكراً على اصدقائه ولا يفرط في ارتياد المساجد والمجالس الدينية، فهو يدرك بان الاسلام يحث على التزام الاعتدال في جميع الأُمور حتى في العبادات ونهى عن التقصير بحق العيال بذريعة التزاور مع الاصدقاء أو حضور المجالس.

وهنا يجدر بي ان اوصي اخوتي القائمين على المساجد والهيئات ان يختصروا اوقات المجالس فيها والاكتفاء بصلاةٍ الجماعة وبعض الوقت لبيان الاحكام الشرعية والمعارف الاسلامية ودقائق لذكر اهل البيت (عليهم السلام) وهذا ما جرت عليه سيرة الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الاطهار (عليهم السلام) فهم قد ربّوا العظماء من الرجال والنساء بقليل من الوقت وايجاز في البيان.

ان الاسفاف في التعبد لا سيما في المستحبات واطالة المجالس يقضي على نشاط المستمع ويؤدي تدريجياً إلى تنامي حالة التذمر في نفسه من الأُمور الدينية وهذا لا يخلّف سوى الخسارة بالنسبة للمساجد والهيئات وكذلك للناس لا سيما ذوي القابليات المحدودة.

على اية حالٍ، المتقي الآداب في جميع مرافق الحياة وبهذا فهو يساعد في ترسيخ بناء الأُسرة وكسب محبة الزوجة والاطفال.

اما الزوجة المتقية، فهي تحافظ على عفتها وطهارتها وتبادر إلى انجاز الاعمال المنزلية بكل شغف و شوقٍ، وتمهد الارضية لازاحة ما يُثقل كاهل زوجها من متاعب اثناء عمله خارج المنزل، وتداري أطفالها بأفضل نحو، وتتعامل مع زوجها واطفالها وفقاً للاخلاق الاسلامية ولا تغفل عن عبادتها وتجعل من البيت روضة عامرة بالمحبة والصفاء والرأفة والحنان والحيوية والنشاط.

وهي تطيع زوجها مستندة في ذلك الى القواعد والاصول الالهية وتلبي رغباته المشروعة وتتجنب العصبية والغضب والتكبر وتتعامل مع أقارب زوجها برأفة وعطف واخلاق اسلامية، وإذا ما عاد زوجها من العمل فهي تهب لاستقباله عند الباب، وتودعه إذا غادر إلى محل عمله، وتدعوه ان لا يُدخل شيئاً إلى بيته الاّ من حلالٍ مؤكدة قناعتهم بما يهبهم الله من الحلال وان قلَّ، وعدم لجوئهم إلى الحرام وان لا يتجاوز الزوج حدود ما انزل الله متذرعاً بالزوجة والاطفال وتكاليف الحياة فيلوث حياتهم بالحرام.

والمرأة التي تتحلّى بالتقوى تتجنب التقليد الاعمى ولا تدع زوجها يئن تحت وطأة الضيق والاحراج من اجل مماشاة اقاربه أو اقاربها في طريقة الحياة.

مثل هذا الزوج وهذه الزوجة هما ممن يرضى الله تعالى عنهم، ويمثلون مصدر الخير ومثالاً بارزاً للانسان الرباني، وفي ظلهما يُشيد البيت الذي يرتضيه الباري تعالى، وفي رحابه يتربى مَنْ يرتضيه الحق جلّت قدرته من الذريّة.

على اية حالٍ، ينبغي على الزوجين الانسجام فيما بينهما وفقاً لما تقرره المعارف الالهية والسنن الاسلامية والاحكام الفقهية، كما هو حال أولياء الله.

الكاسب المثالي

حدثني جدّي قائلاً: عندما كان السفر يتم بواسطة الحيوانات سافرت مع اصدقائي من خوانسار ـ وهي من ضواحي اصفهان ـ قاصداً زيارة الامام الرضا (عليه السلام) في مشهد، وكنت مكلفاً بشراء ما نحتاجه من سلعٍ، وفي صباح أحد الايام ذهبت إلى أحد الحوانيت في مدينة دامغان للتبضع، فدعاني صاحبه إلى الداخل واخذ يرحب بي لكوني زائراً، وفي هذه الاثناء جاءه رجل ينوي الشراء وبكميات كبيرة فطلب منه صاحب المحل التوجه إلى المحل المقابل لشراء هذه

المواد ، فذهب المشتري ، فسألت صاحب المحل عن سبب امتناعه عن البيع فلديه ما يفوق الحاجة ، فاجابني : رأيت صاحب ذلك المحل مغموماً اول الصبح فسألته عن السبب فاجابني انني مدينٌ واليوم موعد اداء الدين الاّ انني لم أبع شيئاً منذ الأمس ما يكفي لأداء الدين .

ولا قدرة لي ان أرى ما يكابده لذلك وجهت المشتري نحوه كي يتخلص من وطأة الدين إذ لابدّ للمؤمن ان يشعر بما يعانيه اخوه المؤمن .

نعم يجب أن نشعر فيما بيننا بما يعاني بعضنا البعض ، لا سيما الزوجين ، إذ ينبغي أن تشعر المرأة بما يعاني الرجل ويشعر الرجل بما تعاني المرأة كي يعمر المنزل بالآداب الالهية والانسانية وتخرج منه ذرية توشحها الكرامة والرشاد .

فيا ايها الاخوة الاعزاء ! عطّروا منازلكم بقراءة القرآن لا سيما اثناء وقت صلاة الصبح ، فاصواتكم الملكوتية عند قراءة القرآن تداعب افئدة اطفالكم واسماعهم وتحثهم نحو العبادة وتلاوة القرآن وتصنع منهم منبعاً للخير والتقوى والكرامة .

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾

النساء / ٢٨

٣

أهداف الزواج في الاسلام

البيت الطاهر

يبدو من المستحيل المحافظة على الشاب ذكراً كان ام انثى بمنأىً عن الفساد والافساد بدون الزواج، والعثور على شاب طاهر وعفيفٍ يتورع عن ارتكاب الذنب وهو لم يتزوج بعد من بين الملايين من الرجال والنساء يعدُّ قضية صعبة.

ولو وجدنا شاباً طاهراً نزيهاً في الظاهر والباطن وهو غير متزوج فيجب حينها القول انه من أولياء الله، وان اجتناب الذنب والتحصن من الرذيلة وعدم ارتكاب المعاصي والموبقات في حالة عدم الزواج هو عمل مَنْ تأسىٰ بيوسف (عليه السلام).

ولا يخلو بيتٌ يسكنه رجلٌ أو امرأة دون زواج من الفساد، والرجل بلا زوجة والمرأة بلا زوج لابدّ أن يتعرضا للفساد وإن قلَّ ولمختلف المشاكل الروحية والعائلية والاجتماعية إذا ما تأججت غرائزهما واخذت تضغط عليهما بشدة.

فالزواج، هذه الحقيقة الالهية هي التي تذلل بعض المشاكل وتساعد في المحافظة على طهارة الشباب وعفتهم وتقواهم.

والبيت الذي يقوم بناؤه على زوجين يراعي كلٌّ منهما حقوق الآخر هو البيت الذي تعمرّه السلامة والامان.

ان منزل المسلم حيثما كان يجب أن يكون مظهراً لوحي الله ومحلاً يتجلى

فيه ذكره ومثال الرفعة والسمو والعظمة وثمرة لتسبيح الحق تعالى في الليل والنهار، يقول تعالى:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾[1].

وهكذا بيت فيه مثل هذه الاوصاف هو بيتٌ مؤمنٌ تزدهر فيه طاعة الله وعبادته، قد حصل فيه الزواج وفقاً للأمر الالهي، ويلتزم فيه الزوجان بكافة الواجبات الالهية والانسانية.

اجل، ان القرآن الكريم يأمر بالزوج للتخفيف من المشاكل التي يعاني منها كلٌّ من الرجل والمرأة، وليسلما من الفساد وليعملا بواسطة الحياة الزوجيّة والانسجام بينهما على جعل البيت مكاناً لذكر الله وتسبيحه.

ان الرجل والمرأة في اجواء مثل هذا البيت عبدان حقيقيان لله، وأولادهما ثمار الفضيلة، واعمالها وسلوكهما واخلاقهما مظهر للاداب الالهية وسنن الأنبياء الكرام ومنهجيتهم.

وحين تقترن المؤمنة بالمؤمن ويري كلٌّ منهما انه مكلفٌ بمراعاة الأوامر الالهية فإنّهما يحافظان على اجواء الحياة الزوجيّة من المشاكل بوصفهما خليلين يعين احدهما الآخر، وصديقين شفيقين ورفيقي دربٍ ومنبعين للايمان وركيزتين للحب والمودة، وحينما تحصل مشكلة ما يبادران إلى حلها بسهولة وبساطةٍ ويعالجان الموقف بسلاح الصبر والحلم وسعة الصدر.

---

١ ـ النور: ٣٦.

شر الناس

ان الانزوا والانعزال والابتعاد عن المصاحبة يؤدي إلى الكثير من المشاكل والكآبة وقسوة القلب يعدّ سبباً في اثارة التشنجات النفسية والعصبية ويورث امراضاً نفسية وبدنية.

والعزلة تجعل الانسان يغرق في بحر من الاوهام والخيال والافكار البعيدة عن المنطق والامراض الاخلاقية والنفسية، وتجلب له امواجاً من المشاكل على اختلاف انواعها.

قال النبي (ﷺ): «**أكثر أهل النار العزّاب**».

وعنه أيضاً (ﷺ): «**شرار موتاكم العزّاب**»[1].

وفي رواية اخرى عنه (ﷺ): «**رذّال موتاكم العزّاب**»[2].

وقال في حديث آخر: «**شراركم عُزّابكم والعزّاب اخوان الشياطين**»[3].

وفي موضع آخر قال (ﷺ): «**خيار أُمتي المتأهلون وشرار امتي العزّاب**»[4].

وقال (ﷺ) أيضاً: «**لو خرج العزّاب من موتاكم إلى الدنيا لتزوجوا**».

وقال (ﷺ) في حديث آخر: «**لعن الله من لم يتزوج**».

ان وصف الرسول الاكرم (ﷺ) العازفين فن الزواج باهل النار والرذال واخوان الشياطين والاشرار والملعونين إنما يأتي بسبب حتمية وقوعهم في الفساد والافساد والشيطنة والمعصية والموبقات، وبذلك يصبحون عاملاً في

---

١ ـ البحار: ١٠٠/٢٢٠ـ٢٢١.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ نفس المصدر.

اثارة المضايقات لمجتمعهم ويتسببون بخلق مشكلات جمّة في كـافة مـرافـق الحياة.

واستناداً إلى الآيات والروايات وما أثبتته تجارب الحياة فإن الزواج يكرّم الانسان ويرفعه ويخلصه من بواعث استحقاق العـذاب الالهـي ويـحفظه مـن الرذيلة والانحدار ويحصّنه من الوقوع في شراك الشيطان، ويصون المرء من ان يصبح مصدراً للشر والفساد وبالتالي يتعرض لسخط الله ولعنته، وكل ذلك مدعاة لشيوع الاستقرار والطمأنينة والأمن والطهارة والتقوى والرخاء في شؤون الحياة وتخفيف اعبائها، ولهذا السبب اشار تعالى إلى العلّة من تشريع الزواج في كتابه الكريم قائلاً:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾[1].

تفتح القابليات

عندما يتزوج الشاب أو الشابة اسـتجابة للـفطرة واتـباعاً لامـر الله وسـنّة الأنبياء، وينجيان من منزلق العذاب الالهي والشرور الباطني واحابيل الشيطان واللعنة الالهية ـ وكل ذلك مما يُبتلى به الرجل الاعزب والمرأة العزباء ويـنعمان بالطمأنينة الفكرية والامان النفسي في ظل الزواج ويتغلبان عـلى المشكـلات الناجمة عن حياة العزوبية ويتخلصان من المتاعب التـي خـلقتها حـياة العـزلة ويشقان طريقهما إلى جوٍّ ملكوتي الهي وتتوفر لهما الارضية للـتفكير الصـحيح والرؤية السمتقبلة ويخبو طغيان الشهوات والغرائز فلا شك في ان السبيل سيتفتح لنمو الطاقات الكامنة لديهم وتثمر دوحة الحياة ثماراً ومعطيات ونتائج ممتازة.

١ ـ النساء: ٢٨.

وتشير صفحات التاريخ إلى ان الكثير من رجال العلم والعظماء وعلماء الاسلام قطعوا بعد الزواج مسيرة مئة عام في ليلةٍ واحدة، وارتقوا في ظل الزواج الذي كان سبباً في استقرارهم وراحة بالهم إلى مقامات شامخةٍ وعظيمة من العلم واشتهروا لدى العامة والخاصة بالعلم والتقوى والطهارة والكرامة والخدمة والعبادة.

نقرأ في الصفحة ٩٥ من كتاب حياة آية الله البروجردي: في عام ١٣١٤ وكان عمره آنذاك ٢٢ ربيعاً، كتب اليه والده كتاباً يستدعيه إلى بروجرد، وظنّ ان والده ينوي ايفاده إلى النجف الاشرف حيث كانت هناك اكبر حوزة علمية للشيعة، بيد أنه فوجيء عند وصوله واللقاء بوالده واقربائه بأنهم قد اعدّوا له مقدمات الزواج، فتأثر وحزن، وحين لاحظ والده ذلك سأله عن السبب، فأجابه: كنتُ منكباً على طلب العلم بكل جدٍّ وراحة بالٍ، اما الآن فاني اخشى ان يحول الزواج بين وبين هدفي ويصدّني عن مواصلة الطريق وبلوغ غايتي.

فقال له ابوه: اعلم يا بُني إنك ان عملت بما يأمرك والدك فإن هناك أملاً في أن يوفقك الله لنيل ما تطمح اليه من الرقي، وضع في بالك احتمال فشلك في تحقيق ما تصبو اليه من دراستك ان انت أهملت ما يتمناه ابوك رغم جديتك!!

فترك كلام أبيه أثراً طيباً في نفسه وزال كل ما لديه من شك، وبعد الزواج والمكوث قليلاً هناك عاد إلى اصفهان ليواصل الدراسة والتدريس في مختلف العلوم والفروع لمدة خمس سنوات اخرى.

وفي اصفهان وفّرت له زوجته الوفيّة اسباب الراحة والاستقرار، وكانت له بمثابة الصديق العطوف والمعين الشفيق والخادم الرصين والناصح الرؤوم ما جعله ينطلق نحو الرقي بشتى الوانه وراح ينهل من العلوم على مدى تلك السنوات الخمس التي قضاها في اصفهان إلى جانب تلك المرأة الكريمة،

وواصل دراسته بنشاط وجدّية إلى درجة انه كان يقضي بعض الليالي ساهراً حتى الصباح منهمكاً بالمطالعة، وكان «ﷺ» يكرر بانه كان يهتم بحفظ القرآن الكريم اثناء اوقات فراغه فاستطاع خلال فترة وجوده في اصفهان حفظ القرآن من اوله إلى آخر سورة التوبة وواظب على حفظه حتى آخر عمره المبارك، واستمر في المواظبة على حفظ القرآن وتلاوته.

وكان العلامة الطباطبائي «ﷺ» صاحب تفسير الميزان يرى ان جانباً مما بلغه من كمالٍ ورقيٍّ علمي ومعنوي مرهون لزوجته الكريمة.

نعم، ان الزواج يعد سبباً في الراحة والامان وقاعدة لتحقق الكمال وتنامي القابليات.

السعي من أجل العيال عبادة

ان الزواج والعناية بالعيال يهب الانسان معطيات معنويةً عجيبة بالاضافة إلى الآثار الدنيوية البنّاءة.

فالعمل والسعي لتأمين متطلبات المرأة والعيال يعد في نظر الشرع الاسلامي المقدس عبادة لا تضاهى تعدل في درجاتها الجهاد في سبيل الله، وقد روي عن المعصوم.

«والكادّ على عياله من حلٍّ كالمجاهد في سبيل الله»(١).

ولما كان اداء حق الزوجة والأولاد والاهتمام بشؤونهم الروحية، ومراعاة حق الزوج من قبل الزوجة، وحق الأولاد من قبل الام يعد امراً صعباً ومضنياً وهو في حقيقته استجابة لما أمر الله به شأنه شأن الاهتمام بأمورهم المادية فقد

---

١ ـ البحار: ٧٢/١٠١.

عُدَّ عبادة وسبباً في الحصول على الاجر والثواب الاخروي.

ان تربية الذرية الصالحة واعداد الابناء اللائقين والمحسنين هو عملٌ عظيم يؤدي إلى نيل رضوان الله جل وعلا.

ومن أهم الأُمور وافضل العبادات هو المحافظة على الدار وأهلها بعيداً عن الفساد والافساد وتوفير الارضية اللازمة لتكامل الزوجة والابناء وتربيتهم.

على اية حال، فالمجتمع هو ثمرة البيت، والبيت والأُسرة هما المنطلق الذي منه النائب في البرلمان الوزير ورئيس الدولة وكوادر الشعب، والبيت وارباب البيوت هم المصدر الحقيقي في تربيتهم وتبلور شخصياتهم، والبيت كالارض، فإن كانت الارض بمعزل عن الحق والحقيقة فهي ارض جدباء قاحلة لا تثمر سنابلاً أو زهوراً، وإذا كانت مرتبطة بالحق والحقيقة فمن العقول والمنطقي ان نتوقع منها السنابل والزهور.

ان سعادة المرء أو شقاءه تنتقل اليه من ابويه بالدرجة الاولى، فاذا ما سعى الابوان لتحقيق سعادة ولدهما فإنهما بذلك يؤديان عبادة عظيمة وحينها سينهلان من معطيات الزواج إلى الابد، أما إذا اصبحا عامل شقاءٍ فانهما لن ينتفعا من شجرة الزواج الطيبة بل يبسطان بايديهما مائدة خسرانهما.

من هنا جاء في الروايات عن رسول الله (ﷺ) انه قال:

«الشقي مَنْ شقيَ في بطن أُمه والسعيد مَنْ سَعُدَ في بطن امه»[1].

ليكن هدفكم من الزواج هدفاً سامياً

يجب ان يكون هدف الانسان من الزواج هدفاً معنوياً مقدساً وطاهراً،

---

١ ـ البحار: ١٧٥/٥.

وينبغي ان يقع الزواج طاعةً لما أمر الله به واتباعاً لسنن الأنبياء (عليهم السلام) وتوفير السعادة للزوج وتربية الأولاد تربية الهية صالحة.

على الزوجين ان يتأهبا عن طريق الزواج للدخول في عبادةٍ كبرى، وان يستهدفا من زواجهما بلوغ رضى الله، ويعلما انهما يحملان أمانة الهية تتمثل بما يضمه صلب الرجل ورحم المرأة.

عليهما ان يعلما ان ولدهما بمثابة الامانة الالهية، وهو ضيف في صلب ابيه لفترة وجيزة ثم يحل ضيفاً في رحم الام لفترة تتراوح ما بين ستة إلى تسعة شهور، وخلال كلتا المرحلتين يكتسب بلا ارادة منه كل ما لدى الابوين من طبائع ومزايا وذلك من خلال ما وهبه الله من قوة استلام دقيقة.

يُروى ان رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كان يأذن احياناً للنساء الحوامل بالذهاب لمشاهدة مواقع القتال ضد الكفار كي يشاهدن صور الجهاد الرائعة والمبارزة بالسيف ويستمعن لما يردده المجاهدون من شعارات كي يقمن بتغذية ما في ارحامهن عن طريق السمع والبصر حتى يصبح الطفل وهو في رحم أمه مخلوقاً ماهراً يتربى على الشجاعة والهمّة العالية وينمو محاطاً بالنداء الملكوتي.

ألم تسمعوا ان النبي (صلى الله عليه وآله) أُمر بالصوم لمدة اربعين يوماً قبل تبلور وجود فاطمة (عليها السلام) في صلبه وفي الليلة الاخيرة افطر بطعام من الجنة ثم انتقلت نطفة تلك البضعة الكريمة إلى رحم الام؟!

لا تكن العين هي الوسيط بينكم وبين الزواج، ولا تكن الشهوة الدليل الذي يقودكم نحو الزواج، ولا تكن الغاية من الزواج الحصول على المال والثروة والجاه عن طريق العائلة المقابلة، ولا يكن الغرض من هذا العمل الظفر بوجهٍ جميل وظاهرٍ خادع، فقد اثبتت هذه الأُمور لحد الآن سوء عاقبتها وضآلة ثمارها.

اجعلو الله هو الغاية من الزواج وضعوا نـصب اعـينكم الجـوانب المـعنوية والعبادية والسعي لاداء حق الزوج وتربية الذرية الصالحة، وخلاصة القول نيل رضى الباري تعالى ليكون هذا الزواج ذا منافع ابـدية وخـالدة، ولتكـن اللـذة والمتعة والشهوة المحلّلة تابعة لهذه الغايات السامية كي تكتمل اللـذة والمـتعة ومن خلالها تنالون الاجر الاخروي.

فإن كان الزواج الهياً لا يؤول إلى الطلاق إذا ان الارتباط الالهي والملكوتي دائمي وابدي.

ان مَنْ يتزوج قربة لوجه الله يرعى حق الزوج بكل وجوده ولا يصدر مـنه ادنى إذىً تجاه شريك حياته.

والمحافظة على شخصية الزوج امام الأولاد والأقارب يعد واجباً شـرعياً، كما ان احتقار الزوج للزوجة والزوجة للزوج يعتبر حراماً.

على الرجال والنساء من المسلمين التأسي بزواج أمـيرالمـؤمنين وفـاطمة الزهرا (عليهما السلام)، ذلك الزواج الذي جرى قربة إلى الله وقـد لوحـظت فـيه الغـايات الالهية، فكانت ثمارة ذرية طاهرة ربانية، وفي روايات الشـيعة جـرى تأويـل الآيات التالية إلى هذا الزواج الطاهر، إذ يقول تعالى:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَـيْنَهُمَا بَـرْزَخٌ لاَ يَـبْغِيَانِ * يَخْـرُجُ مِـنْهُمَا ٱللُّـؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾.

فالمراد من البحرين، أميرالمؤنين، وفاطمة الزهراء، فهما بحران من المعرفة والبصيرة والحلم والصبر والايمان، والمراد من البـرزخ هـو رسـول الله (صلى الله عليه وآله)، ومعنى اللؤلؤ والمرجان الامامان الحسن والحسين (عليهما السلام)[1].

---

١ ـ نور الثقلين: ١٩١/٥ ح ١٩.

يجب ان يكون نظام الأُسرة نظاماً اسلامياً والهياً بكل معنى الكلمة كي يستقطب رحمة الله سبحانه وفضله.

ان عدم اجتناب السنن الذميمة والعادات المنافية للاحكام الالهية، والاجواء الشيطانية والثقافة الجاهلية التي أمر رسول الله (ﷺ) باماتتها بقوله: «أمتْ أمر الجاهلية الاّ ما سنّه الاسلام»[1].

يكشف عن ما في الوجه من قبائح وستكون الثمار التي تعطيها هذه الشجرة فاسدة.

نظام الأسرة في الغرب

ان نظام الأُسرة في امريكا واوربا نظام خاطىء يفتقد للقاعدة والمضمون، وتقليده يعدّ عبثاً وتمهيداً لأن تنغمس الحياة في وحل الشقاء.

انهم لا يصبون من خلال الزواج إلى هدفٍ مقدس وطاهرٍ. فالدليل الذي يأخذ بايدي الرجل والمرأة عندهم هي الشهوة وارضاء الغرائز، ويندر لديهم الصالحون من الرجال والنساء، من هنا فإن الفساد ينهمر على امريكا واوربا كانهمار مطر الربيع.

وغالباً ما يتزوج الغربيون بعد قضاء وطراً من الفساد والعلاقات غير المشروعة، ثم يسلّمون فلذات اكبادهم بعد الولادة مباشرة إلى دور الحضانة ليستلموهم بعد مدة فاقدين لعطف الاب وحنان الام مفتقرين للعواطف والمشاعر ويجلسونهم على موائد الفساد، عندها يُدخلونهم المدرسة لطيّ مراحل التربية الظاهرية والتعرف على بعض المصطلحات، وفي الثامنة عشر من العمر يبعدونهم

١ـ البحار: ١٢٨٠٧٧ ح ٣٢ ب ٦.

عنهم ويتركونهم على ذمة البيئة والمجتمع!

وإذا ما علّموا ابناءهم الاخلاق ـ سواء في البيت أو المدرسة ـ فانهم يعلمونهم الاخلاق على الطريقة الجنتلمانية والاخلاق الاقتصادية والمنافع المادية دون الاهتمام بجذور الباطن وحقيقته، فهم عاجزون عن تربية الانسان تربيةً مقبولة.

الا ترون انهم حين يبنون مجتمعاً ويقيمون حكماً، يكون مجتمعهم مصدراً للفساد وحكومتهم مصدراً لاستعمار المستضعفين في الارض.

ان الجرائم التي ارتكبها خريجو البيوتات والمدارس والجامعات الغربية مما لا يمكن تلافيه إلى يوم القيامة.

وإذا ما اتصفوا بالوقار والهدوء والرصانة في بعض الاحيان، وظهروا ملتزمين بالآداب فلأنهم لم يعثروا على فريسةٍ ولم يقع نظرهم على لقمة دسمةٍ وسائغة، وقصتهم تشبه قصة الذي قال لصديق له انه ادب قطته وهذّبها بحيث يعطيها شمعةً تحملها قرب مائدة تعجُ بانواع الطعام ليستمتع الضيوف بما في تلك المائدة على ضوء تلك الشمعة، فاجابه صديقه: لا يمكن الوثوق بهذه الخصلة لدى القطة وإذا دعوتني سوف اثبت لك ذلك عند المائدة، فدعاه فنظر إلى القطّة وهي واقفة تمسك بالشمعة لاضاءة الغرفة للضيف لا طمع لها في الطعام ولا تنوي الهجوم على المائدة، وبينما هم يتناولون الطعام اخرج الضيف فاراً من جيبه ووضعه وسط المائدة فحاول الفار الهروب وهنا القت القطة بالشمعة جانباً وقفزت كالاسد الغاضب إلى وسط المائدة واطاحت بتنظيم المائدة من أجل الامساك بالفار فعكّرت الاجواء على صاحب الدار وضيفه!

أجل، ان التربية في أوربا والغرب كتربية القطة، فهم مؤدبون وادعون ما داموا لم يعثروا على طعامهم الخاص وما ان تقع أعينهم على الذهب والنفط واما

إلى ذلك من معادن الشعوب الضعيفة حتى يلقوا مصباح التربية جانباً من أجل نهب حقوق الآخرين ويهجمون كالحيوانات المفترسة لابتلاع جميع الاعتبارات المادية والمعنوية للشعوب الضعيفة ويعبرون انهاراً من دماء الابرياء لتحقيق مآربهم المادية.

ان تفشي الفساد وغلبة النزوات المحرّمة ورذائل الأخلاق والقتل والنهب والفحشاء والمنكرات بين شعوب الغرب هو نتيجة للدمار الذي ضرب نظام البيت والأُسرة.

لو كانت البيوت في اوربا وامريكا قد تمتعت بالسو وزخرت بذكر الله وبيوتاً يُسبَّح الله فيها، لكانت ثمارها اناساً يتصفون بالسمو والكرامة والرشاد مفعمين بالعاطفة متخلقين باخلاق الله، غير ان ثمارها قد تعفنت واصبحت كريهة الطعم والرائحة بسبب ابتعادها عن الحق والحقيقة، ومثل هذا النظام المنهار ليس جديراً ان يكون قدوةً، ومن يتبعهم سيصبح اسوء منهم لا محالة.

قال الصادق (عليه السلام): «أكثر الخير في النساء»

وسائل الشيعة: ١١/١٤

٤

مكانة المرأة في التاريخ الاسلامي والبشري

الانحراف الفكري تجاه المرأة

لقد تعرضت الامم والشعوب للانحراف الفكري على صعيد الأُمور الكونية والانسانية نتيجة ابتعادها عن التعاليم الالهية التي كانت تُبلّغ عن طريق الكتب السماوية على لسان الانبياء، وذلك اثر ابتلائها بحالة الكبر والعصبية. وغالباً ما سلكت طريقاً مظلماً عند تقييمها للكون وما فيه من كائنات، وطرحت مسائل بعيدة عن الحقيقة وقضايا مخالفة للواقع، فعاشت حياةً قائمة على أساس ذلك الفهم الخاطىء والتقييم الظالم، وبذلك فقد مارسوا ظلماً كبيراً بحق انفسهم وبحق الآخرين وخطّوا تاريخ الحياة على صفحات سوداء.

وكان تقييمهم للمرأة أحد تلك التقييمات البعيدة عن الحقيقة. فقد كان أمراً يتعارض مع الاخلاق والانسانية ومسيره تتناقض مع الحق والحقيقة.

ومن خلال مطالعتي للكتب التي صُنفت في هذا المجال سواء منها التي كتبت في الغرب أو الشرق استنتجت ان الاقوام والشعوب التي ابتعدت عن الحق وانفصلت عن الوحي وانغمست في الاهواء النفسية والافكار الخاطئة في الشرق او الغرب كانت تحكم على المرأة بعشرة احكام ظالمة ومجانبة لمنطق العقل ولغة الانسانية. وهذه الاحكام هي:

١ ـ ان المرأة كائن ضعيف وعاجز بتمام معنى الكلمة وعلى هذا الاساس يجب أن تكون تابعة ومطيعة للرجل في كافة النواحي دون اعتراض، ولا يحق لها التدخل في أي شيء حتى في اطار بيتها الشخصي.

٢ ـ انّها كائن ذو روح شيطانية ؛ وهي على ضوء هذا المعيار إما ان تخرج عن حدود الانسانية أو تُقيَّم بمستوىً يشترك بين الانسان والحيوان ، وعليه فلا قيمة لها ولا تستحق الاحترام ولا يمكن تصور اي لون من الوان الاعتبار لها .

٣ ـ لا يحق لها التملك والتصرف بما يتسنى لها تملكه ، وبوسعها التملك في حالة رأى الرجل المصلحة في ذلك ، وهذا لا يعني تملكها ما تشاء .

٤ ـ لا تحصل على ما يتركه المورثون من ارث ، بل هي من الارث أيضاً حيث تورث بعد وفاة الأب أو الزوج .

٥ ـ لا نصيب لها من التعبد وولوج الجوانب المعنوية لافتقاد عباداتها لاية قيمة ، ولا نصيب لها من الأجر لانها تعد كائناً في غاية الضعف من الناحية العقلية .

٦ ـ لا يحق لها الانتساب إلى الاب أو الابن من الناحية القانونية والحقوقية ولا يربطها معهما الا الدم ، أي انّها تستطيع الانتساب إلى ابيها أو ابنها من خلال اشتراكها معهما في الدم فقط ، لا لكونها بنتاً للاب واماً للابن !!

٧ ـ إذا ما تزوجت فإنّ أولادها لا يعدون احفاداً لابيها ، فالغربة هي التي تحكم العلاقة بين والد المرأة وأبنائها ، والنسبة تنحصر في أبناء الذكور فقط .

٨ ـ ثمة تباين تام بينها وبين الرجل في قضية الموت ، فالرجل يخلد بعد الموت والمرأة تفنى بعد انتهاء عمرها .

٩ ـ حكمها حكم الاشياء في التصرف ، وعلى هذا كما يحق للرجل التصرف بأمواله وثروته يحق له التصرف بالمرأة ، فهو يستطيع اعارتها أو اجارتها ووهبها وبيعها وطردها وبالتالي قتلها .

١٠ ـ انّها بمثابة سلعة للتلذذ ، فهي مخلوقة لقضاء حاجة الرجل فقط ، والرجل لا يعرف قانوناً يحدد تمتعه بها والاستفادة منها ، وفي الفقرة العاشرة افرطت اوربا وامريكا بحق المرأة ، بما يفوق التصور ، فالمرأة في أغلب بلاد

الغرب تمثل سلعةً توظف في دور السينما والتلفاز والفيديو والاقمار الصناعية والمجلات على اختلاف انواعها لغرض استقطاب المزيد من الزبائن والحصول على المزيد من العوائد المالية !!

ردّ الاسلام على الانحرافات الفكرية تجاه المرأة

ان الاسلام دين الهي وثقافة تقوم على الفطرة، ومنسجمة مع كافة شؤون الانسان والانسانية، وقد شرّع الله تعالى الأحكام والقوانين الاسلامية بما ينسجم وكيان الانسان واعتباره ووجوده فهو الذي بنى الانسان ويعلم ماهيته وظاهره وباطنه وهداه إلى الحقائق التي يترتب عليه بلوغها.

وفيما يلي رد الاسلام على الاباطيل العشرة التي قيلت حول المرأة على مدى التاريخ ورسخت في أذهان الشعوب وتبلورت في اطار ثقافي:

١ ـ ان خلق المرأة وكيفية صنعها شبيه بالرجل وهي مصداق تام للحقائق التي ارادها الله من خلقها وهي تحمل بكل وجودها حقيقة الانسانية، وباختصار فهي انسان بكل ما في الانسان من اعتبار، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[1].

وقال تعالى أيضاً:

﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[2].

وقال سبحانه:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾[3].

---

١ ـ التين: ٤.

٢ ـ النمل: ٨٨.

٣ ـ السجدة: ٧.

٢ ـ لقد أُودعت في المرأة روح الهية وانسانية محضة، وهي الروح التي نفخت فيها من قبل الله سبحانه، وبسبب هذه الروح منحها ميزة خاصة وجعلها مصدراً لتجلي الكمالات، وهذه الروح لا تختلف عن روح الرجل، وهوية مماثلة لهوية الرجل وجوهرة توازي جوهرة الرجل قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾[١].

وقوله تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾[٢].

وقد روي في تفسير العياشي عن الامام الباقر ﷺ ما مفاده: ان الله خلق حواء من ما فضل من طينة آدم.

مثل هذه الآيات عدم وجود نقصٍ أو خللٍ في خلقه المرأة ظاهرياً وباطنياً، وروحها هي الروح التي نُفخت فيها من قبل الله تعالى، والمرأة مخلوق كامل و مُتقن في أحسن تقويم وتجسيد لقوله تعالى «أتقن كل شيء» وبوسعها الاستفادة من قابلياتها وفطرتها وروحها وعقلها في ظل الهداية الالهية لبلوغ اسمى المراتب المعنوية، كما بوسعها تجاهل كافة الحقائق والهبوط إلى اسفل السافلين.

٣ ـ للمرأة حق المالكية، وحيازة ما تحصل عليه عن طريق الاعمال المشروعة والمقبولة التي تؤديها، كما انّها تماثل الرجل في مسألة مكليتها وتصرفها فيما يخضع لمالكيتها دون نقص، يقول تعالى:

---

١ ـ النساء: ١.

٢ ـ الروم: ٢١.

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[1].

أجل، ان الانسان مالك لجهده وسعيه وعمله وحركته، وهذه حقيقة منحها الله لكل انسان رجلاً كان أم امرأة في الدنيا والآخرة، قال عزّ من قائل:

﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً ﴾[2].

روي عن الامام الصادق (عليه السلام):

«السرّاق ثلاثة: مع الزكاة، ومستحل مهور النساء، وكذلك مَنْ استدان ولم ينوِ قضاءه»[3].

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾[4].

وعد المهر والوصية بمصاريف المرأة بعد موت الزوج، فقد اوصى تعالى الرجال فيما بعد الطلاق أيضاً فقال:

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[5].

٤ ـ المرأة ترث أبيها وأمها وزوجها وأولادها: يقول تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[6].

وقال تعالى:

---

١ ـ النجم: ٣٩.
٢ ـ البقرة: ٢٢٩.
٣ ـ البحار: ١٠٠/٣٤٩.
٤ ـ البقرة: ٢٤.
٥ ـ البقرة: ٢٤١.
٦ ـ البقرة: ١٨٠.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾[1].

ان هذه الآية الكريمة تريد محاربة العادات والتقاليد الخاطئة التي كانت تحرم النساء والاطفال من حقوقهم المسلّم بها، وقد كان هذا التقليد الجائر سائداً لدى العرب فجاءت هذه الآية فابطلته.

٥ ـ عبادة المرأة عندالله كعبادة الرجل فهي تحظى بالاهمية ونتيجتها الجنة والأجر الالهي، والثواب المستحقّ نتيجة العبادة لا ينحصر بالرجال فالفضل والرحمة الالهيان فوزٌ خالد لعباده رجالاً كانوا ام نساءً. تقرأ في القرآن الكرم:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

يستفاد من صريح الآية الكريمة، ان إيمان المرء وعمله الصالح الذي يعتبر ثمرة إيمانه، هو المعيار الوحيد في ميزان الله وليس هناك قيد أو شرط آخر لبلوغ الحياة الطيّبة والاجر الاخروي، لا من حيث الذكورة والانوثة ولا من حيث العمر ولا من حيث العرق أو القبيلة أو القومية ولا من حيث المقام والمرتبة الظاهرية.

قال رسول الله (ﷺ):

«أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم»[3].

فاذا كانت المرأة من أهل التعبد لله والايمان به ومعرفته فإنّها ستنال حياة

١ ـ النساء: ٧.

٢ ـ النحل: ٩٧.

٣ ـ المواعظ العددية: ٢٠١.

طيبة وأجراً عظيماً من لدن الحق تعالى، اما إذا اتـجهت نـحو الفسـاد والالحـاد كالفسقة من الرجال فستكون ممن يستحق العذاب الأبدي.

لقد استحقت امرأتا نوحٍ ولوطٍ العذاب والخلود في جهنم لكفرهما بـدين الله وايغالهن في انكاره، وقد ورد في القرآن:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَةَ نُوحٍ وَٱمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِـنَ ٱللَّهِ شَـيْئاً وَقِـيلَ ٱدْخُـلاَ ٱلنَّـارَ مَـعَ ٱلدَّاخِلِينَ ﴾[1].

ان سورة مريم وسورة الدهر والآيات ذات الصلة بزوجة فرعون كلها تثبت ان المرأة تخطى بمنزلةٍ رفيعةٍ في الجانب العبادي، وفي الآخرة لها الاجر العظيم والثواب الجزيل، وكل ذلك يمثل صفعة قوية في وجه تـراثـرة التـاريخ الذيـن يزعمون افتقاد عبادة المرأة للمنزلة عند الله والاديان.

٦ ـ المرأة بنت أبويها وأُم أبنائها ولا يقوى أحـدٌ عـلى سـلب هـذا النسب عنها حيث يعتبر سلب هذا النسب اجحافاً بحقها وعملاً خبانياً. والقرآن الكريم يعتبر البنت كالولد أبناءً حقيقين للابوين، وإذا ما تزوجت وانجبت ذريـةً فـهي أُمهم.

وقد اعرب القرآن عن سخطه على العرب لما كانوا يرتكبونه من وأد البنات، ونهى نهياً مبرماً عن ذلك العمل القبيح قائلاً:

﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِنْ إِمْلاَقٍ ﴾[2].

تلاحظون ان الآية الكريمة عبّرت عن البنت بأنها ولدٌ، أو ما نقرؤه في الآية ذات العلاقة بالارث حيث يقول تعالى:

---

١ ـ التحريم: ١٠.

٢ ـ الانعام: ١٥١.

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾(١).

بصريح الآية الكريمة عبّر تعالى عن البنت بأنّها ولدٌ، وهذا يمثّل رداً قاطعاً على مزوري التاريخ.

اما بشأن كونهن امهات أبنائهن فيقول تعالى:

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾(٢)

وفيما يتعلق بقصة موسى (ﷺ) يقول تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾(٣)

ويقول رسول الله (ﷺ) بحق فاطمة (ﷺ):

«فاطمة بضعة منّي»(٤).

ويقول (ﷺ) في رواية اخرى:

«أولادنا أكبادنا»(٥).

٧ ـ أما أولاد المرأة فهم احفاد ابيها بلا شك، والاهتمام الذي كان يوليه الرسول الاكرم (ﷺ) للحسن والحسين (ﷺ) يعتبر دليلاً على بطلان ثرثرة الجاهلين الذين كانوا يزعمون ان أولاد المرأة ليسوا احفاد أبيها.

وقد أكد الفقه الاسلامي على ارتباط من كانت امهم علوية بالرسول الأكرم (ﷺ)، بل ان مرجع الشيعة الكبير السيد المرتضى كان قد افتى بجواز اعطاء الخمس لمن ينتسبون إلى رسول الله (ﷺ) عن طريق الأم.

٨ ـ المرأة لا تفنى بالموت، بل لها كما للرجل دار بقاء وحياة خالدة، وهي

---

١ ـ النساء: ١١.

٢ ـ البقرة: ٢٣٣.

٣ ـ القصص: ٧.

٤ ـ البحار: ٤٣. ٢٣.

٥ ـ سفينة البحار: ٨/٥٨٠.

تخلد في الجنان إذا كانت عابدة لله تعالى، وتخلد في العذاب إذا ما نأت بنفسها عن عبادته، وتوضح هذا المعنى بصراحة أكثر من الف آية تناولت الآخرة.

٩ ـ المرأة ليست شيئاً، بل هي بصريح آيات كتاب الله مخلوقٌ عاقل ذو ارادةٍ وهي على حدٍ سواء مع الرجل في جوهر الخلقة ومصدر الطبيعة، وتتمتع بكافة الخصائص والمزايا الانسانية والالهية.

١٠ ـ المرأة ليست شهوة بل هي شريك الرجل وأحد اسباب بقاء النوع، وتمثل نصف المجتمع، والاقتران بها يعد عبادة إذا ما كان بنّية صالحة، والتعامل الصحيح والسليم معها يعتبر محفزاً للتزود للآخرة ونيل السلامة في الحياة الاخروية.

يقول تعالى:

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١)

وقد اراد سبحانه من خلال التعبير بـ« حرث » ان يجسد ضرورة وجود المرأة في المجتمع الانساني، وان المرأة ليست اداة لاطفاء الشهوة، بل هي قاعدة صالحة وأداة طاهرة للمحافظة على حياة النوع البشري.

ويعتبر هذا الكلام تحذيراً جاداً للذين ينظرون للانثى على انّها دمية ووسيلة للهو.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي اعدّوا لآخرتكم زاداً من خلال ممارسة الجماع مع المرأة وهو اشارة إلى حقيقة ان اللّذة واشباع الشهوة لا تعتبر الهدف المنشود من الجماع، ويترتب على المؤمنين الاستفادة من هذا العمل

١ ـ البقرة: ٢٢٣.

لغرض تربية الذرية الصالحة، واعداد هذا العمل المقدس على انّه ذخيرة معنوية لغدهم، من هنا فإنّ القرآن يوجه تحذيره بضرورة مراعاة قواعد اختيار الزوجة لتكون نتيجة ذلك تربية أولادٍ صالحين واعداد هذه الذخيرة الاجتماعية والانسانية العظيمة.

ونظراً لأهمية موضوع البحث الوارد في مطلع الآية وهو المواقعة الجنسية وهو يتحدث عن أكثر غرائز الإنسان جاذبية وهي الغريزة الجنسية فقد دعا سبحانه الانسان من خلال عبارة ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ إلى الدقة في عملية المواقعة والالتزام بالتعاليم الالهية، وفي آخر الآية يلفت النظر إلى انهم سيسرعون يوم القيامة إلى لقاء الله وتلقّف نتائج اعمالهم، وفي القسم الاخير من الآية بشّر تعالى المؤمنين الذين يذعنون لهذه التعاليم التي تصب في صالحهم على الصعيدين المادي والمعنوي من حياتهم، فقال:

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وفي رواية مهمة عن الامام الصادق (عليه السلام) يبين فيها اهمية وعظمة هذا الكيان المفعم بالمحبة.

ان الله عزوجل خلق آدم ثم ابتدع له حواء فجعلها في موضع الفقرة التي بين وركيه وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل، فقال آدم: يا رب ما هذا الخلق الحسن الذي قد آنسني قربه والنظر إليه؟ فقال الله: يا آدم هذه أُمتي حواء أفتحب أن تكون معك تؤنسك وتحدثك وتكون تبعاً لامرك؟ فقال: نعم يا رب ولك بذلك عليّ الحمد والشكر ما بقيت[2].

نعم، ان المرأة الصالحة والزوجة الوفية، نعمة الهية تستلزم شكرالله وحمده

١ـ تفسير نمونه: ٩٧/١.

٢ـ الوسائل: ٢/١٤.

إلى آخر العمر، يقول الامام الصادق (عليه السلام):

«أكثر الخير في النساء»[١].

انّها رواية عجيبة حيث اعتبر الامام (عليه السلام) المرأة منبعاً لأكثر الخير، نعم، فالزواج من المرأة حفظٌ لنصف الدين، واداء حقوقها عبادة، وحبُّها طاعة لله تعالى، والظفر بولدٍ صالحٍ منها زادٌ للآخرة، وخدمتها مدعاة لرضى الله، وكما يعبّر رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«الجنّة تحت أقدام الامهات»، وذلك هو الخير الذي عبّر عنه الامام الصادق (عليه السلام).

انني ادعو الشباب الأعزاء الذن يعتزمون الزواج أو قد تزوجوا، وكذلك أدعو المؤمنين إلى الاهتمام بهذه الحقائق الالهية حول المرأة، وان يتورعوا عن اجحاف حقوقها ويقدّروا حياتهم مع هذه الجوهرة النفيسة، واوصي الفتيات اللواتي يعتز من الزواج أو اللواتي تزوجن وكذلك ادعو سائر النساء إلى معرفة قدرهنّ من خلال ادراك هذه الأُمور وليشكرن الله على انوثتهن ويكنَّ زوجات لائقات لأزواجهن استناداً إلى هدي القرآن واحاديث النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الاطهار (عليهم السلام) ويستفدن من عواطفهن ومشاعرهن في مجال الانوثة والحياة الزوجية والامومة، ويراعين الاوامر الالهية في جميع مرافق الحياة، كي ينعمنَ ببيتٍ وأُسرة صالحة وأولادٍ صالحين ويعشن حياةً ملؤها والسعادة، وينلنَ عن هذا الطريق رضى الله، ويعطرن الحياة بالصفاء والمحبة والنور والجمال مَنْ خلال اعمالهن وسلوكهن واخلاقهن وتصرفاتهن.

---

١ ـ الوسائل: ١١/١٤.

نظرة اخرى لحياة المرأة ومكانتها في التاريخ

ان ما تعرضت له المرأة على ايدي الجهلة على مر التاريخ امر يثير الدهشة ، فالمرأة بنظر من كانوا يعيشون بعيداً عن منطق الحق ونور الوحي كانت بمثابة اداة ووسيلة لارضاء غرائز الرجل ، ويعتبرونها سبباً في اثارة شهواته .

وكانوا يرون خطورة تعلمها القراءة والكتابة ، ولا يسمحون لها بالخروج من الدار لقضاء الحاجات الحياتية وزيارة الارحام ، ويحددون حياتها بين جدران المنزل ، ويعدونها فاقدة للاختيار ازاء الرجل الذي يعتبرونه فعالاً لما يريد .

ففي المناطق المسيحية التي انحرف فيها الناس ١٨٠ درجة عن الديانة المسيحية كانوا يقولون : يجب كمُّ فم المرأة كمايُكم فم الكلب ، وكانوا يشككون في روح المرأة هل هي روح بشرية ام حيوانية ؟ !

وكانت المرأة في افريقيا تعامل ، كالبضاعة والثروة ولا يرون لها قيمة أكثر من قيمة البقرة أو رأس الغنم ، والاغنى لديهم مَنْ تحت تصرفه أكثر عدد من النساء ، ثم ان بيع المرأة وشراءها واستخدامها لحراثة الارض كان عملاً متعارفاً وعادياً .

وكانت النساء في كلدة وبابل تباع كسائر السلع ، ويقام في كلِّ عامٍ سوقٌ لهذا الغرض حيث تعرض البنات ممن بلغن سنّ الزواج انفسهن للبيع .

وفي الهند كانوا يزوجون الفتاة وهي في الخامسة من عمرها ، ولا يرون لها حقاً ، وكانوا يعتبرون حياة المرأة مرهونة بحياة الرجل فعندما يموت الرجل يحرقونها معه ، وليس هنالك مخلوقٌ في نظرهم اسوء من الارملة .

وفي عصرنا الراهن تكتب الصحف ان الكثير من الهندوس يقتلون بناتهم وهن في سنّ الطفولة خشية عدم القدرة على توفير اثاث الزواج لهن .

في الصين وهضبة التبت لم يكن للنساء حقٌ سوى العمل في اطار المنزل، وكانوا يقيدون الاناث بقوالب حديدية بعد الولاة لاضعاف قدرتهن على المشي ثم يفصلون تلك القوالب عن اقدامهن عند بلوغهن الخامسة عشر!

وفي اليونان التي كانت مركزاً للعلم والفلسفة والحكمة، كان انجاب المرأة للانثى يعد جرماً، وإذا ما انجبت انثى لمرتين فإنّها تحاكم وتجبر على دفع غرامةٍ، وإذا ماكررت ذلك ثالثة فإنّها تحكم بالاعدام!

اما في الجزيرة العربية فقد كان دفن البنات وهن احياء امراً عادياً وبسيطاً كما نوّه اليه القرآن الكريم:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1].

هذا بعض ما تعرضت له المرأة من جرائم على أيدي الجاهلين والحمقى، وقد وردت تفاصيل ذلك في الكتب التي تتناول حياة المرأة وبامكانكم الرجوع اليها.

لقد اطلعتم على رأي الدين الاسلامي الحنيف بشأن المرأة من خلال النقاط العشر التي طرحت آنفاً، واستناداً إلى ما ورد في القرآن والروايات من تعابير بحق المرأة من قبيل:

أُم: مصدر ومنبع كل شيء[2] حرث: مبعث بقاءِ النوع[3].

لباس: غطاء الحياة[4].

---

١ ـ النحل: ٥٨ ـ ٥٩.

٢ ـ القصص: ٧.

٣ ـ البقرة: ٢٢٣.

٤ ـ البقرة: ١٨٧.

تسكين : سبب السكينة[١].

ريحانة : باقة ورد ظريفة[٢].

نعمة : رحمة الله[٣].

يتعين على الرجال والشباب مَنْ تزوج منهم أو الذين يعتزمون الزواج ايلاء المزيد من الاهتمام بالمكانة المعنوية والآثار الوجودية لهذا المخلوق الجميل ذي المنافع الثرّة، وليعلموا ان انبياء الله والاولياء والعلماء والعارفين والحكماء والكتّاب والمراجع والصالحين من عباد الله قد خرجوا من احضانهن الطاهرة إلى دائرة الوجود، وهنَّ منبعُ كل هذا الخير والبركة التي تعم حياة البشر.

وعلى الآباء والامهات التشديد أكثر فأكثر من اجل تبلور الكمال في نفوس بناتهم، والسعي إلى حد التضحية لتربيتهن تربية الهية وانسانية، وعلى الأزواج اداء حقوقهن بمنتهى الرصانة والادب حتى تتهيأ احضانهن في بيوت آبائهن أو في ظل رعاية الأزواج لحقوقهن لتربية جيلٍ صالحٍ. وبذلك يتم رفد المجتمع البشري معنوياً وعلى افضل نحو.

ألم يولد الامام الثاني عشر، ناشر راية العدل على العالمين في الحضن الطاهر لامرأة كانت تعتنق المسيحية وقعت اسيرة في الحرب ثم دخلت بيت الامام الهادي (عليه السلام) وتلقت التربية الالهية من قبله ومن السيدة حكيمة؟

هكذا هي المرأة، فهي ينبوع من الكمال والحقائق الكامنة التي تتفجر حين يشرق عليها نور هداية الوحي وتخضع لتربية معلمٍ يتصف بالصلاح، وتصبح مصدراً لمعطيات خالدة ومناهل دائمية.

---

١ ـ الروم: ٢١.

٢ ـ الروايات الواردة في الوسائل في باب الأولاد.

٣ ـ نفس المصدر.

ان احتقار المرأة والتعرض لشخصيتها وتقييدها بـأُمورٍ تـخرج عـن اطـار التعاليم الاسلامية، وزجرها ومنعها من زيارة الوالدين والاقارب والتعايش معها بعنفٍ وحدّة ونقل متاعب العمل ومشاكله إلى البيت وعدم تلبية حاجاتها لا سيما غرائزها الجنسية، كل ذلك مما يرفضه الدين وتعتبر اعمالاً قبيحة وظلماً فاحشاً.

ولو اردتم بناء الحياة على اساس الحب والمودة فعليكم احـترام شـخصية المرأة، والتعبير لها عن محبتكم ومودتكم، واعانتها في اعمال البيت، وتـجنب ايذائها، والتجاوز عن بعض الاخطاء الناجمة عن الاعمال اليومية والاتعاب التي تواجهها وطبيعة تكوينها، حتى تتذوقوا حلاوة الحياة، وبهذا تكونون قد عبدتم الله سبحانه عبادة لا تضاهى.

ان المرأة تمثل مصدر الخير وينبوعه وحرث الانسانية، وهي لباسكم فـي الدنيا ومدعاة الراحة وهي الريحانة التي تزين حديقة الوجود، وهي نعمة الله.

لقد قرن رسول الله(ﷺ) حبّ المرأة إلى جانب حب الطيب والصلاة، فقال(ﷺ): «حَبّبَ اليّ من الدنيا النساء والطيب وقرة عيني الصلاة»[1].

وإذا ما ادى المرء حقوق المرأة واحترم شخصيتها، وظفر منها بـولدٍ صـالحٍ فإنّ ملف عمله لا ينقطع حتى بعد موته، بل ينعم بما يتمتع به ولده من صلاح وطهارة.

قال رسول الله (ﷺ):

«إذا مات الانسان انقطع عمله الاّ من ثلاث: من صدقةٍ جارية، وعلمٍ يُنتفع به، أو ولد صالحٍ يدعو له»[2].

فاعرفوا ايها الآباء والامهات قدر البنت، وقدّروا ايـها الرجـال زوجـاتكم الطاهرات الصالحات، فالبنت والزوجة غدير خير لدنيا الانسان وآخرته.

---

١ ـ البحار: ٢١٨/١٠٣.

٢ ـ المواعظ العددية: ١٣٨.

« لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً »

البحار: ٧٧ / ٢١٧

٥

استقلال الرجل والمرأة في الاسلام

استقلال الانسان وحريته

ان خلق الانسان يرتكز على تحرر الروح والاستقلال في شؤون الحياة والحرية في الاختيار، فلا يحق لأحد استعباد الانسان واسترقاته وتسخيره رهناً لمآربه.

وسلب الحرية والاستقلال والاختيار من اي انسانٍ يعدُّ ذنباً كبيراً وخيانة عظمى، وقد عُجنت الحرية والاختيار والاستقلال مع وجود الانسان، وخلقت مع فطرة الانسان وطبيعته، فالحرية والاستقلال من أعظم النعم التي منَّ الله بها على الانسان واشرف مناهل الكمال وارتقاء مدارج السمو ظاهرياً وباطنياً.

والاجواء التي تتسم بالحرية هي أفضل الاجواء، والظروف التي تتوفر فيها حرية الاختيار والانعتاق هي من أروع الظروف بالنسبة للانسان.

وهذا الجانب يمثل اهم الدوافع في مقارعة الاسلام للظلم، اذان الاسلام قد أعلن حرباً ضاريةً ضد مَنْ يشيد كيانه على اساسٍ استعماري واسغلالي ويحاول استعباد البشر الذين خُلقوا احراراً، وقد انصبت التعاليم الاسلامية في مسألة الجهاد من أجل تحطيم عروش الظلم والظالمين الذين يتجاوزون على الحرية والاستقلال.

ان جميع ما لحق بالبشرية من دمار على مر التاريخ انما هو نتيجة لسلب الحريات والتجاوز على حرية البشر واستقلالهم.

وان الخضوع للاستبداد والقوة وارتضاء الظلم وهدر الحرية يعتبر من اعظم

الخطايا وسبباً في الحرمان من رحمة الحق تعالى وتعريض المصالح إلى الخطر بجانبيها المادي والمعنوي.

ومن الواجب المحافظة على الحرية والارادة وحق الاختيار التي وهبها الله سبحانه للانسان في سبيل كماله وتفتح قابلياته، ويتعين الدفاع عنها إذا ما تعرضت للاخطار حتى وان كلّف ذلك التضحية بالنفس.

قصة عن الحرية

ورد في كتب التاريخ: ان يزيد بن معاوية دخل المدينة وهو يريد الحج فبعث الى رجل من قريش فأتاه، فقال له يزيد: اتقرّ لي انك عبدٌ لي ان شئتُ بعتُك وان شئتُ استرققك؟ فقال له الرجل: والله يا يزيد ما أنت باكرم مني في قريش حسباً ولا كان ابوك افضل من ابي في الجاهلية والاسلام، وما انت بافضل مني في الدين ولا بخيرٍ مني فكيف أقر لك بما سألت؟

فقال له يزيد: ان لم تقرّ لي والله قتلتك، فقال له الرجل: ليس قتلك إياي باعظم من قتلك الحسين بن علي (عليه السلام)، ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأمر به فقُتل[1].

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ايها الناس ان آدم لم يلد عبداً ولا أمة وان الناس كلهم احراراً»[2].

وقال (عليه السلام) أيضاً: «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً»[3].

وينبغي الالتفات إلى ان المراد من الحرية هو تحرر الانسان من عبودية أبناء جلدته والشهوات والنزعات المنحرفة والانحرافات الاخلاقية.

---

١ ـ روضة الكافي: ٣١٣.

٢ ـ ميزان الحكمة: ٣٥١/٢.

٣ ـ البحار: ٢١٤/٧٧.

عندما يأتي الانسان إلى الدنيا فهو يدخلها طاهراً مطهراً بمثابة الجوهرة النفسية، مخلوقاً متحرراً من عبودية الغير، كريم النفس، شريف الكيان، وباختصار منعتقاً من الرذائل والموبقات مالكاً للارادة والاختيار، وقد جاءت الهداية الالهية عن طريق العقل والفطرة والانبياء وما ورد في القرآن الكريم وسيرة الائمة وجهود العلماء والحكماء لدفع الانسان من أجل الاستفادة من هذه الحرية والارادة والاختيار ويحسن الانتفاع من حريته في ظل هذه الالطاف والرعاية الالهية، ويبادر إلى اختيار ما حَسُن من الامور لينال من خلال هذا السبيل سعادة الدنيا والآخرة.

وإذا ما غفل الانسان عن ذلك وتنكر للهداية الالهية فلا شك في انّه سيفقد ما بحوزته من جوهرة الحرية والارادة وحق الاختيار في مواجهة الفراعنة والطواغيت ويستسلم ازاء الحرص والتكبر والحسد والغرائز والنزعات ويتحول إلى عبد لدنياه وللاخرين ولشهواته وغرائزه ويقع اسيراً للطمع والبخل ولن ينتهل من منهل الكرامة والسعادة ولا ينعم بخير الدنيا والآخرة.

ان الذين يتشبثون بكل فعلٍ منافٍ للشرع وينغمسون بالمعاصي والذنوب ويطيعون ما هبَّ ودبَّ من البشر ويصورون الطيش والانفلات حرية، إنما هم عبيد جهلاء ورقيق أذلاء ومخلوقات دنيئة.

يقول أمير المؤمنين (ﷺ): «من ترك الشهوات كان حراً».

وقال (ﷺ) أيضاً: «الدنيا دارُ ممرٍ والناس فيها رجلان: رجلٌ باع نفسه فاوبقها، ورجلٌ ابتاع نفسه فاعتقها».

وقال الامام الصادق (ﷺ): «خمس خصالٍ من لم تكن فيه خصلةٌ منها فليس فيه كثير مستمتع: أولها الوفاء، والثانية التدبير، والثالثة الحياء، والرابعة حسن الخلق،

والخامسة وهي تجمع هذه الخصال: الحرية»[1].

وعن علي (عليه السلام) انّه قال: **«لا يسترقنّك الطمع وقد جعلك الله حراً»[2].**

وعنه (عليه السلام) أيضاً: **«مِنْ توفيق الحر اكتساب المال من حلّه»[3].**

اشارة مهمة

بالنظر إلى ما تنطوي عليه الحرية من حقيقة ومعنى، واهمية الارادة وحق الاختيار، وان الانسان يصل إلى اسمى المنازل والمراتب والمقامات التي تفوق التصور إذا ما انتفع من حريته وارادته وحق الاختيار الذي يتمتع به في ظل الهداية التي أنعم الله بها عليه، فالحري بنا السعي من أجل المحافظة على حريتنا ما دمنا على قيد الحياة وازاء جميع الحوادث والابتلاءات اذ يترتب على ذلك نيل رضى الباري تعالى.

الكل يعلم ان الذرة مركبة من نواتين وعدة الكترونات، وهذه الاخيرة تتجاذب فيما بينها وتدور حول المركز الذرة وفق نظام خاصٍ وسرعة محددة وفقاً لارادة الحق سبحانه، وما دام هذا الدوران وهذه السرعة قائمان في ظل ذلك النظام والجاذبية فإنّ الذرة مستقرة في مكانها وتتولى القيام بكلّ عملٍ من شأنه المنفعة، ولكن ما ان تنقطع تلك الجاذبية وتخرج الالكترونات عن اطار نظامها الخاص وتحدث فجوة بينها وبين النواة المركزية فلن تورث الاّ الخراب والفساد والدمار.

الانسان شبيه بالذرة، فنواته المركزية فطرتُه وروح التوحيد والعبودية التي

١ ـ المواعظ العددية: ٢٦٨.

٢ ـ ميزان الحكمة: ٣٥١/٢ ـ ٣٥٢.

٣ ـ نفس المصدر.

تنطوي بين جوانحه، وقوام كيانه يتمثل في انجذاب كافة قواه وجوارحه الظاهرية والباطنية نحو الحق تعالى وتحركها على ضوء المشيئة الالهية، ولا يبتعد عن بارىء الكون وتعاليمه في كل حركاته وسكناته، اذ ان الابتعاد عنه تعالى والخروج عن نطاق معرفته ومحبته والانفصال عن محوريته انما يعني الفساد والافساد في جوارح الانسان وباطنه وظاهره.

يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِن نَاصِرِينَ﴾[1].

والزواج من جملة العوامل التي تمنع الانسان من الوقوع في بعض المفاسد، فعند ما يتمتع الانسان بالاهلية أي الايمان والأخلاق والعمل بما تتسع له طاقته ويظفر بالزوجة الصالحة الكفوءة حينذاك سيسيطر على كيانه ظاهرياً وباطنياً إلى حدٍ ما، وبذلك تُحفظ حريته ويصان من عبودية الشهوات المحرّمة والموبقات واصدقاء السوء.

زوجة صالحة وكريمة

في عامل ٦٠ هـ توجه زهير بن القين البجلي وبعض ذويه إلى مكة المكرمة لاداء مناسك الحج، وبعد ان ادى الحج قفل عائداً بقافلته الصغيرة إلى دياره.

كان يدور في خلد زهير انّه عائدٌ إلى بيته، الاّ ان المصير كان يخبّيء عكس ذلك، فزهير كان يتوجه من بيت الله إلى الله، غير انّه لم يكن على علمٍ بهذه الحقيقة.

لم يكن زهير اثناء عودته يرغب ان يحل في منزل يجمعه مع الحسين، فاذا

١ ـ آل عمران: ٥٦.

حط ركب الحسين (ﷺ) رحالة في منزلٍ ما رحلَ ركب زهير لينزل في مكان آخر، فكان يحاول جاهداً انّه لا يرى الحسين (ﷺ) او يقابله! وعلى طول الطريق ثمة نهر عذب المياه ينبع من جبال مكة لينتهي عند البحر!

لقد كانت مكانة زهير الاجتماعية تحتم عليه ان يفعل ذلك، فهو لم يكن من اتباع علي وآل علي (ﷺ) بل لم يكن على صلة بهذه الاسرة وانما كان عثماني الهوى ومن المقربين لدى الحكم الاموي ومن انصار الجهاز الحاكم.

ومن جانب آخر فهو يعرف الحسين (ﷺ) جيداً ويكنّ فائق الاحترام لآل علي (ﷺ) ولم يكن يرغب المشاركة في قتل الحسين بن علي (ﷺ) بل يريد الوقوف على الحياد، فيحافظ على علاقته بالنظام الاموي ولا يقاتل الحسين (ﷺ)، ومقابلته للحسين (ﷺ) تعارض هذا المراد، وقد وصلت الاخبار إلى يزيد بما مفاده ان زهيراً قد التقى الحسين (ﷺ).

ماذا يصنع إذا دعاه الحسين (ﷺ) لنصرته؟ فإن نصره فذلك يعني الافتراق عن رفاق دربه ومسلكه، وان ابى فليس من الوارد رد الحسين (ﷺ) فهو ابن علي وفاطمة رجل عظيم المنزلة، سبط رسول الله (ﷺ)، كيف يُعصى أمره، وبمَ يجيب الحق تعالى يوم القيامة، وكيف يتحمل عذاب نارٍ أوقدها بارؤها؟

الحياد افضل الخيارات، فلابد اذن ان ينزل ركب زهير في مكان لا يُتوقع فيه مقابلة الحسين (ﷺ)،... وكان زهير يريد شيئاً والمصير يريد شيئاً آخر.

كانت المنازل في الجزيرة العربية متباعدة ولا مناص من ان تضع القوافل رحالها في منزلٍ ما شاءت أم ابت، وأُجبرت قافلة زهير على أن تجتمع مع قافلة الحسين (ﷺ) في أرضٍ واحدة، الأرض التي صنعت من العثماني علوياً ومن اليزيدي حسينياً!!

فَنُصبت خيام زهير، وعلى مقربة منها خيام الحسين (ﷺ)، وقد كان

الحسين (ﷺ) على علمٍ بـبطولة زهـير ورجـولته وشـهامته وفـصاحته وبأسـه وعلمه ، اذن من الغبن بقاؤه خارج نطاق الانسانية بما يـمتلكه مـن مـؤهلات ، ويبقى قابعاً في ظل وحوشٍ كاسرة من امثال بني امية ، ولا ينتفع هذا الحر مـن حريته ، وليس من الملائم ان تدفن هذه الجوهرة الثمينة بين الانقاض وتنطفىء جذوة هذا الانسان العظيم .

وفي هذا المنزل أيضاً لم ينفك زهير عن التزام الحذر ، فقد سعى جاهداً ان لا يواجه الحسين (ﷺ) ولا يدنو منه ، فالحسين (ﷺ) ثائر بـوجه الحكـم القـائم ، وزهير من انصار هذا الحكم ، والنظام يتوقع من انصاره معاداة اعدائه والمبادرة إلى قمع المتمردين عليه ، فيما يعتبر التقرب إلى هؤلاء الاعداء جُرماً لا يغتفر .

وفيما كان زهير جالساً في خيمته يتناول الطـعام مـع ذويـه فـاذا بـرسول الحسين (ﷺ) يطلّ عليهم مسلماً قائلاً :

زهير ! الحسين بن علي (ﷺ) يدعوك .

هنا اصبح زهير أمام ما كان يـحذر ، فـلم يسـتطع الكـلام لمـا اصـابه مـن اضطراب ، وسُدّت أمامه جميع نوافذ التفكير ، اذ لم يكن يـتوقع ذلك ، واصـابته الحيرة ، ماذا يصنع ؟ هل يتجاهل دعوة الحسين (ﷺ) ويتمرد عـليها ، أم يـتنكر ليزيد وينطلق نحو الحسين (ﷺ) ؟ فكلا الخيارين يتناقضان مع ما كان يبتغيه من حياد ، وقد بلغ الحال حداً يتعذر معه التزام الحياد .

استحوذ صمتٌ مروع على الجميع ، والقت الافواه مـا فـيها مـن طـعام ، اذ دُهشوا عن الاكل والكلام ، فيما كان رسول الحسين (ﷺ) واقفاً يرقب الاوضاع قد استحوذته الحيرة ، فأخذ يتساءل مع نفسه : لِمَ هـذا السكـوت ، ولِـم لا يأت زهير معه ، ولماذا لا يرفض المجيء ؟ فليس هنالك ضغط من قبل الحسين (ﷺ) ، وزهيرٌ حرٌّ في اتخاذ القرار .

مضت دقائق على هذا المنوال وزهير لم يقوّ على اتخاذ القرار، فلا بد هنا من بصيص نورٍ ينقذ زهيراً من الحيرة والازدواجية ويدفعه إلى اتخاذ القرار.

لقد كانت اصعب اللحظات على زهير مدى حياته، ففيها وقف على مفترق طريقي الموت والحياة، فهو كان على علم بصرامة النظام، انّه على معرفة باصحاب الحسين (ع)، ويعلم ان الحسين (ع) مقتولٌ لا محالة هو ومن معه، وان عياله تُسبى، ويعرف إلى مَ يدعوه الحسين (ع)، وان طريق الحسين (ع) هو طريق الجنة وطريق يزيد طريق النار، وتلك السعادة وهذه الشقاء.

وإذا بالبارقة تتقد وتبادر امرأة إلى اختراق جدار الصمت وتعيد إلى زهير القدرة على اتخاذ القرار، ولم تكن تلك المرأة سوى دلهم زوجته، فقالت: سبحان الله ايدعوك ابن رسول الله (ص) ولا تجيبه ؟! واسمع ما يقول!

لا حظوا اي عمل صالحٍ تفعله المرأة الصالحة ؟!

نهض زهير وتوجه نحو الحسين (ع)، ولم يطل المقام حتى عاد زهير والبسمة تعلو محيّاه قد زال عنه الهم، وطفح السرور على تقاسيم وجهه، فقد انجلى الظلام وحلّ النور، ولّى زمان الحياد وحلَّ زمان الانحياز إلى الحق.

ولم يكن لاحدٍ علمٌ بما قاله الحسين (ع) لزهير وما سمعه زهير في غضون تلك المدة الوجيزة.

لما عاد زهير إلى خيمته أمر بنقلها إلى جانب خيام الحسين (ع) فالتحق النهر بالبحر، وتحول زهير من معسكر يزيد إلى معسكر الحسين (ع) وتحرر من قيود الظلم، ودخل رحاب العدالة، واصبح علوي الهوى بعد ان كان عثمانياً.

تأملوا كيف تبحث السعادة بنفسها عن ابن آدم؟

ثم خاطب زهيرٌ من كان معه قائلاً: من ارادني فليتبعني والاّ فالوداع، فالتحق به سلمان البجلي وهو ابن عمه واصبح من انصار الحسين (ع)، وقد

استشهد يوم عاشوراء بعد ان ادى صلاة الظهر خلف الحسين (عليه السلام).

لقد هجر زهير الدنيا وما فيها والتحق بالحسين (عليه السلام)، فقد كان مع الحسين واستشهد معه وهو معه الآن خالدٌ في ذلك العالم.

ودَّع زهيرٌ زوجته قائلاً: الحقي بقومك كي لا يمسكِ سوٌ بسببي، واعطاها ما لها من حقوق وسرَّحها مع ابن عمها إلى قومها، فبكت دلهم بكاءً شديداً وودعت زوجها قائلة: رعاك الله ونصرك واراك خيراً، ولا اريد منك الاّ ان تذكرني يوم القيامة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله).

نعم، لقد صودرت الحرية وحق الاختيار من زهير من قبل الامويين، بيد ان زوجته كانت السبب في عودتها اليه، وفي رحاب تحرره من قيود الطاغوت عروج إلى السعادة الابدية!!

بناءً على ذلك، ليس عبثاً إذا ما قيل ان الزواج يضمن الحرية والاختيار أو يكون سبباً في استعادة حرية الانسان واستقلاله.

علينا ان نحافظ من خلال الزواج على النعمة الالهية الكامنة في انفسنا، ونصون مقام الخلافة الذي وهبه الله لنا من ان تخطفه الشهوات والمفاسد، ونعزز ايماننا وعملنا الصالح، ونعمل على احراز نصف ديننا ونحافظ على النصف الآخر من خلال التزام التقوى وتجنب المحرمات.

فالرجل في ظل الزواج يعد شريكاً في تنامي كمال المرأة، وهي شريكة في تسامي مراتبه.

ان المرأة مخلوقٌ عظيم وجديرٌ وهذا ما حدا بالعظماء إلى التصريح قائلين: وراء كل عظيم امرأة، والرجل مخلوق مقدّسٌ وعظيم وكريم حتى قيل بحقه انّه الدافع الذي يقف وراء ارتقاء المرأة المراتب السامية.

يقول علي (عليه السلام): اول من يدخل الجنة من النساء خديجة.

وهذا يدلل ما تحمله المرأة من روح الهية، ومنزلتها الجليلة في خلافة الله على ارضه، وتمتعها بالخصال السامية والذخائر الانسانية والاخلاقية والايمانية.

نعم، فالمرأة المتحررة من قيود الهوى والطاغوت والغرائز المحرمة، وكذا الرجل، كلاهما بمثابة الجوهرتين النفيستين وعبارة عن حقيقتين شامختين في عالم الخلق الرحب.

لقد نسب الامام الحسين (ﷺ) حرية الحر بن يزيد الرياحي إلى امه، وكان اميرالمؤمنين (ﷺ) يؤكد ان عظمة مالك الاشتر انما هي نفحة من حجر امه الطاهر الذي تربى فيه.

على الرجل ان يكون قدوة واسوة لكل خير في بيته، وهكذا المرأة، وكلاهما يكونان اسوة حسنة وقدوة صالحة لابنائهما.

استقلالية الرجل والمرأة في الزواج

على الآباء والامهات الالتفات إلى ان اختيار الزوج ـ على ضوء ما اقره الاسلام ـ انما هو حقّ للابناء، فلا يحق لهم فرض الزوجة التي لا يرتضيها الابن واجباره على الاقتران منها، كما لا يحق لهم فرض الزوج الذي لا تقتنع به البنت واجبارها على الزواج منه، بل ان الله سبحانه منحهما الحرية والاستقلال في اختيار شريك الحياة.

في رواية عن ابن أبي يعفور قال فيها:

قلت لابي عبدالله (ﷺ):

اني اريد أن اتزوج إمرأةً وانَّ ابويَّ ارادا غيرها، قال (ﷺ): «**تزوج التي هويت**

ودَعِ التي هوى ابواك»[1].

ونقرأ في الرسائل العملية لمراجع الشيعة في باب الزواج:

«من ارادت الزواج ممن هو كفؤٌ لها شرعاً وعرفاً واعترض الوالدان فلا يلزم الحصول على اجازتهما ولها ان تتزوج منه»[2].

على الآباء والامهات الكف عن ممارسة الاهواء والمآرب والنعرات القبلية في قضية زواج ابنائهم وبناتهم، اذ ان الاسلام حرّم التسلّط والخضوع له.

والرجل والمرأة احرارٌ في اختيار العمل المشروع أيضاً، وما يدرّه عليهما من دخلٍ فهو ملك لهما وملكيتهما له مشروعة، ولا يحق للمرأة التصرف باموال الرجل الاّ باذنه، والعكس صحيح، وعلينا الالتفات إلى ان استقلال كلٍّ من الرجل والمرأة يجب أن يصان في جميع مرافق الحياة.

---

١ ـ البحار: ٢٣٥/١٠٣.

٢ ـ توضيح المسائل لآية الله فاضل اللنكراني ص ٤١٨ المسألة ٢٢٣٦.

﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ ﴾

آل عمران / ٤٢

٦

منزلة المرأة في القرآن

دين الله

ثمة فوارق اساسية وجوهرية بين الدين الاسلامي وسائر الاديان في اغلب المجالات.

وهنالك تباين بين المذهب الشيعي ـ وهو الاسلام الذي ترجمه أئمة أهل البيت أوصياء رسول الله (ﷺ) ـ وبين سائر المذاهب والمدارس في نظرته ورؤيته للتوحيد والمعاد والملائكة والنبوة والامامة والقرآن، وبشأن الفرد والمجتمع والجوانب المادية والمعنوية والشؤون الاخلاقية والتطبيقية، والمرأة والرجل والذرية والعمل والتكسب والتربية والسياسية والحكم و... الخ.

ان ما يطرحه الاسلام على هذا الصعيد يمثّل عين الحقيقة، وهو المعيار المنسجم مع المصاديق الواقعية لظاهر الامور وباطنها، وخلاصة القول مطابقٌ للحقائق والوقائع المكنونة في علم الله وفي عالم الخلق.

وما قدّمه المفسرون عن الدين الاسلامي ما هو الّا ثمرة عليهم المبارك ورؤيتهم الالهية ونابعٌ من صميم آيات القرآن الكريم.

وقد انطلقت تفريعات هذا الدين من صلب القرآن الكريم الذي يبتدىء بصفات الذات الالهية المقدسة كالرحمانية والرحيمية والربوبية، وانطلقت ترجمة هذه الحقائق من قلب رسول الله (ﷺ) واستمرت عن طريق احاديث الائمة المعصومين بدءً من الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وانتهاءً بالامام الحجة بن الحسن العسكري (عج).

الرحمن، من الاسماء الخاصة بالله سبحانه ولا تستخدم بشأن غيره، أما الرحيم فهو وصفٌ يطلق على من سواه أيضاً، وكلا الصفتين اصلهما من الرحمة.

يقول طائفة من المفسرين: الرحمن اشارة إلى الرحمة الالهية العامة التي تشمل العباد كافة مؤمنهم وكافرهم، والرحيم اشارة إلى الرحمة الخاصة التي تصيب الصالحين من الخلق، والدنيا موضع تجلي الرحمانية، والآخرة محل تجلّي الرحيمية، الّا ان شيئاً من هذا التباين لا يُلاحظ في القرآن الكريم، إذ يقول تعالىٰ:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[1].

ويمكن مشاهدة تجليات هذه الصفة في خلق المخلوقات ورزقها وخلاصها من طوارق الاحداث.

ان الاستعانة به تعالى من خلال هاتين الصفتين تبعث في النفس حالة من العرفان والمعنويات والحيوية التي تكون ثمرتها رعاية وعنايه من الله بعبده.

ورد في المأثور ما مفاده: ان الله عزوجلّ قال: إني لاستحي ان يدعوني عبدي برحمتي ولا اجبه.

ان خلق البشر ورزقهم يعدّ تجسيداً لرحمانية الله، وهدايتهم وفلاحهم ثمرة الرحيمية، وقد وصف تعالى نفسه بالرحمة في القرآن الكريم بأسلوب بخر فيقول: خير الراحمين، أرحم الراحمين، ذوالرحمة، ومن أجل تقريب المفهوم إلى الاذهان فقد بيّنها رسول الله (ﷺ) للناس بما يتناسب وفهمهم، والّا فلا جدوى من العد والاحصاء على هذا الصعيد.

ان لله مائة درجة من الرحمة أفاض بواحدةٍ منها على السموات السبع

---

١ ـ الاعراف: ١٥٦.

والارضين السبع واعطى خلقه جميعهم ما يحتاجونه منها، ومنها يترحم الخلق بعضهم على بعضٍ، واحتفظ بتسعٍ وتسعين درجة لنفسه حتى تقوم الساعة فيجمع تلك الدرجة إلى هذه الدرجات ويعطيها إلى من آمن واطاع!!

والرب، تعني المالك الذي تمتد مالكيته لتشمل جميع المخلوقات في عالم الوجود وهي ملكية حقيقية لا يمكن سلبها، وهو تعالى المالك الذي يمسك بزمام تدبير وادارة جميع الكائنات.

وحيث ان ارتباط مالكيته وتدبيره بجميع ذرات عالم الوجود ارتباط حقيقي وأزلي وذاتي فلا معنى في أن يتخذ الانسان ربّاً يناوىء ربوبيته تعالى ويتخذ مالكاً ومدبراً سواه ويرتضي قانوناً غير قانونه.

ان تجلي التوحيد في جميع شؤون الحياة يتمثل في ان يستظل المرء بكل كيانه في ظل مالكية الله وتدبيره ويرفض كل مدَّعٍ للمالكية وكل ثقافة أو مذهب يحاول تولّي تدبير حياة الانسان ظلماً وخلافاً لما يريده الله سبحانه، وليس ثمة معنىً لكلمة «لا اله الّا الله» الّا ذاك.

نعم، ان رحمة الله وربوبيته هي التي تلبي كافة متطلبات الانسان ظاهرها وباطنها، ورحمة الله ورأفته وفضله تضمن سعادة الانسان في الدنيا والآخرة.

توسل الانبياء بربوبية الله ورحمته

لقد توسل الانبياء ـ وهم الذين لم يعرفوا رباً ومالكاً ومدبراً ومراداً غير الله ولم يتصوروا رحمةً ولطفاً غير رحمته ولطفه واعتبروا انفسهم ملكاً ومربوباً وعباداً له تعالى وقارعوا الارباب المتفرقة ومن ادعى الربوبية زيفاً بكل ما اوتوا من قوة حتى ان بعضهم قضى قتيلاً في ميادين هذا الصراع من أجل التمسك بمالكية الله وتعاليمه ورحمته ـ خلال تعرضهم للحوادث والابتلاءات أو عند

شعورهم بالحاجة، برحمة الله وربوبيته. فقد دعا آدم (عليه السلام):

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾[1].

وقال نوح (عليه السلام) في معرض دعائه من أجل نجاته ونجاة المؤمنين واهلاك الظالمين:

﴿ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾[2].

وكان ابراهيم (عليه السلام) يقول في دعائه:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا ٱلصَّلاَةَ ﴾[3].

وتوجه موسى (عليه السلام) عند شدته على ابواب مدينَ بالدعاء قائلاً:

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[4].

ودعا يوسف (عليه السلام) قائلاً:

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[5].

ودعا زكريا (عليه السلام):

﴿ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَارِثِينَ ﴾[6].

وقد علَّم تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله) بأن يقول في دعائه:

---

١ ـ الاعراف: ٢٣.

٢ ـ نوح: ٢٦.

٣ ـ ابراهيم: ٣٧.

٤ ـ القصص: ٢٤.

٥ ـ يوسف: ١٠١.

٦ ـ الانبياء: ٨٩.

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّاحِمِينَ ﴾(١).

وينقل تعالى في كتابه الكريم ما يردده أولياؤه واحباؤه وهم يحيون الليل قياماً وقعوداً متفكرين في خلق الله:

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلاً ﴾(٢).

وقد تكررت كلمة «رب» في الادعية الواردة عن الائمة المعصومين (عليهم السلام) لا سيما دعاء كميل وابي حمزة الثمالي وعرفة والمناجاة الخمسة عشر للامام السجاد (عليه السلام)، وانّ توسل الانبياء (عليهم السلام) بهذا المقام الربّاني وتكرار هذه الكلمة في الادعية ليدلُّ على عظمة الربوبية وتجليها في مفاصل حياة الانسان وجوانبها، ولم يكتف الداعون بالتوسل بهذا المقام الرباني اثناء الادعية، بل ان ربوبية الحق تعالى تتجلى عملياً ونظرياً في اجواء حياتهم ومعتقداتهم وافعالهم واخلاقهم.

مقام العبادة والعبودية

ان الانسان رجلاً كان أم امرأة ذو ماهية واحدة وجوهرٍ واحدٍ وليس هنالك تباين بين الجنسين في سلوكهما لطريق التكامل وفي تجلي آثاره الانسانية وبلوغ المقامات والمراتب المعنوية السامية، وإذا ما اقرّا بربوبية الحق تعالى استجابة لدوافعهما الذاتية وفطرتهما مستعينين بالعقل ومسترشدين بهدى النبوة والامامة وارشادات المعلمين والمربين وارتضوا مالكية رب العالمين في جميع المجالات حينها سيكونان في أمن وأمانٍ من الانزلاق في مستنقع عبودية الطاغوت وهوى النفس، وينعقان من الثقافات والافكار الشيطانية، وسينالان

١ ـ المؤمنون: ١١٨.
٢ ـ آل عمران: ١٩١.

المراتب الشامخة والمنازل الملكوتية بفضل شعورهم بالتبعية للمالك الحقيقي.

المرأة والرجل مظهرٌ لتجلّي رحمانية الباري عزوجل ورحيميته وربوبيته، وهذه الحقيقة مستقاه من صريح الآيات القرآنية ولا مجال فيها للانكار والتردد.

فالمرأة انسانٌ وتتمتع بالقابليات والقوى المعنوية، وهي على حدٍّ سواء مع الرجل في الحقيقة والجوهر بحكم المنطق القرآني، وهي تمثل الرحمة الالهية ورمزاً لربوبية الحق تعالى، وان احتقارها والتجاوز عليها والتطاول على حقوقها ومصادرة تطلعاتها المشروعة واستضعافها وطلاقها اللامبرر والتمييز بينها وبين الرجل، كل ذلك من الآثار التي خلّفها الذين يدّعون ربوبيتهم على البشر وفراعنة التاريخ ومن مخلّفات الثقافات السلطوية الجائرة.

ففي ايطاليا عندما كان الرجل يرزق بنتاً يكاد يطير فرحاً لان شيئاً جديداً قد اضيف إلى ممتلكاته، وبعد ثلاث عشرة أو اربع عشرة سنة يأخذها إلى السوق ليبيعها ويرتزق بثمنها!!

وعندما كانوا يغضبون على البنت في بعض الاحيان فإنّهم يضعونها في قدرٍ مليء بزيت الزيتون المغلي للقضاء عليها، وكانوا يسخّرونها كخادمة او جارية أو اداة لقضاء حوائجهم، ولم تزل لحد الآن في عصر حقوق الانسان تعيش الحرمان من اغلب حقوقها المشروعة.

بيد انّها تعتبر في نظر الدين الاسلامي الحنيف والمنطق القرآني مخلوقاً رفيعاً ومعيناً لاينضب من الكمالات المعنوية وعالماً زاخراً بالقابليات وطاقة الهية.

وإذا ما عرفت المرأة قدرها وعملت على صيانة مكانتها الانسانية واستلهمت من التعاليم الاسلامية ما وسعها من أجل تكاملها وتربية شخصيتها، ستتصف آنذاك بما اتصفت به مريم العذراء وخديجة الكبرى وزينب الحوراء، والاّ فإنّها ستنال خزي الدنيا والآخرة وتلاحقها اللعنة الابدية شأن من انكر نعمَ

الله من الرجال وكفروا بانعمه ولوّوا رؤوسهم ازاء هداية رب العالمين.

المرأة في المنطق القرآني

جاء في تفسير مجمع البيان:

لما رجعت اسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، دخلت على نساء رسول الله (ﷺ) فقالت: هل فينا شيء من القرآن؟ قلنَ: لا، فاتت رسول الله (ﷺ) فقالت: يا رسول الله! ان النساء لفي خيبةٍ وخسارا، فقال (ﷺ): وممّ ذلك؟ قالت: لانهن لا يذكرنَ بخير كما يُذكر الرجال، فأنزل الله:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْقَانِتَاتِ وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلصَّادِقَاتِ وَٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّابِرَاتِ وَٱلْخَاشِعِينَ وَٱلْخَاشِعَاتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَاتِ وَٱلصَّائِمِينَ وَٱلصَّائِمَاتِ وَٱلْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَافِظَاتِ وَٱلذَّاكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[1].

ففي صريح الآية الكريمة ان النساء شأنهن شأن الرجال بوسعهن بلوغ عشر مراتب ملكوتية ومعنوية سامية وعن طريق ذلك نيل مغفرة الله والاجر الاخروي العظيم، والمراتب عبارة عن:

١ ـ الاسلام، ٢ ـ الايمان، ٣ ـ الطاعة، ٤ ـ الصدق، ٥ ـ الصبر والثبات في مواجهة الاحداث، ٦ ـ التواضع والخشية من عظمة وعقابه، ٧ ـ الكرم وثمرته الصدقة، ٨ ـ الصوم، ٩ ـ ضبط النفس والتحكم بالشهوات، ١٠ ـ الذكر.

يروى أن اسماء بنت زيد الانصارية أتت النبي (ﷺ) وهو بين اصحابه فقالت: بابي انت وأمي! اني وافدة النساء اليك، واعلم نفسي لك الفداء انّه ما من

---

١ ـ مجمع البيان: ٣٥٨/٨؛ الاحزاب: ٣٥.

امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا إلا وهي على مثل رأيي ، ان الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء ، فآمنّا بك وبالهك الذي ارسلك ، وإنا معاشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم ، وانكم معاشر الرجال فُضّلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وافضل من ذلك الجهاد في سبيل الله ، وان الرجل منكم إذا خرج حاجاً او معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم ثيابكم وربّينا لكم اموالكم فما نشارككم من الاجر يا رسول الله ؟

فالتفت النبي (ﷺ) إلى اصحابه بوجهه كلّه ثم قال : هل سمعتم مقالة قط احسن من مساءلتها من امر دينها من هذه ؟ فقالوا : يا رسول الله ما ظنّنا ان امرأة تهتدي إلى مثل هذا ! فالتفت النبي (ﷺ) اليها ثم قال : انصرفي ايتها المرأة وأعلمي مَنْ خلفك من النساء ان حسنَ تبعل احداكنّ لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله ، فادبرت المرأة وهي تهلل وتكبّر استبشاراً[1].

في رواية عن الامام الرضا (ع) عن ابائه عن رسول الله (ﷺ) انّه قال :

«مثل المؤمن عندالله كمثل ملكٍ مقرّبٍ، وان المؤمن عندالله عزوجل اعظم من المَلَك، وليس شيئٍ أحبُّ إلى الله مؤمنٍ تائبٍ او مؤمنة تائبة».

العقل والشهوة ملاك السعادة والشقاوة

العقل : هو القوة التي يتمّ عن طريقها ادراك الحقائق وفهم الواقع ، وهو المخطط لبلوغ السعادة والصلاح ومدبّر الجوانب الايجابية في حياة الانسان.

وقد عبّر عن هذه الجوهرة النفيسة في اصول الكافي نقلاً عن الروايات

١ ـ ميزان الحكمة : ٩٦/٩.

الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) بالنبي الباطني.

والشهوة بمجراها الطبيعي تعتبر نعمة الهية وسبيلاً للاستمتاع بالحياة المادية ودافعاً يملأ الانسان حركةً وعملاً ونشاطاً نحو الحياة الدنيوية وربما الاخروية.

وإذا ما استنارت الشهوة بنور العقل واصبحت تابعة لهذا المنار المعنوي، حينها ستصبح اجواء الحياة اجواء صالحة، ويكون عالم الوجود بمثابة مائدة تطغى عليها الرحمة الالهية، ويغدو وجود الانسان مصداقاً للانسانية ويسمو شأنه على الملائكة!!

أما إذا وقع العقل اسيراً للشهوة وحيلَ بينه وبين افاضاته النورانية، وهيمنت الشهوات الطائشة على حياة الانسان، وأطلق العنان للمآرب، وعُميت العين الظاهرية والباطنية الاّ عن الماديات نتيجة لاستحكام الشهوة، واصبحت حياة الانسان لا تتعدى البطن والفرج، حينها ستندثر المعالم الانسانية ويغدو الانسان اسوء حالاً من الحيوانات والبهائم.

يقول عبدالله بن سنان: سألت ابا عبدالله الصادق (عليه السلام) ايهما افضل الملائكة أم بني آدم، فقال (عليه السلام): قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«ان الله عزوجل ركَّبَ في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوةً بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خيرٌ من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شرٌ من البهائم»[1].

وهذه الحقيقة إذا تجلّت في كيان المرأة كما في الرجل فلا شك في أن شأنها سيسمو فوق الملائكة، اما إذا تخلّت عن عقلها وتنكّرت لهذا النبي الباطني والنور الذاتي وصبّت جلّ همها مظاهر على الزينة واقتناء الجواهر واللهاث وراء

---

١ ـ البحار: ٢٩٩/٥٧.

اسباب الابتذال والتجميل وارضاء الشهوات ولتبرج امام الآخرين والابتعاد عن الله عزّوجلّ، فهي والحالة هذه اسوء حالاً من الحيوان شأنها شأن المفسدين والكافرين من الرجال الذين تنكروا لأنعم الله.

حديث المعراج بشأن النساء

يروي عبدالعظيم الحسني ـ وهو من أكابر علماء الطائفة الشيعية وزعمائها ومن الثقاة في الرواية، وكما يقول الامام الهادي (عليه السلام) من زاره فقد زار الحسين (عليه السلام) ـ عن الامام الجواد (عليه السلام) عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انّه قال: دخلتُ أنا وفاطمة على رسول الله فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلتُ: فداك ابي وامي يا رسول الله ما الذي يبكيك؟ فقال: يا علي! ليلة أسري بي إلى السماء رأيتُ نساءً من امتي في عذاب شديد فأنكرت شأنهنّ لما رأيتُ من شدة عذابهن:

ورأيتُ امرأة معلّقة بشعرها يغلي دماغ رأسها.

ورأيتُ امرأة معلّقة بلسانها والحميم يُصبُّ في حلقها.

ورأيتُ امرأة معلّقة بثدييها.

ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها.

ورأيت امرأة شُدَّ رجلاها إلى يديها وقد سُلِّط عليها الحيّات والعقارب.

ورأيت امرأة صمّاء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغ رأسها من منخرها وبدنها متقطع من الجذام والبرص.

ورأيت امرأةً معلّقة برجلها في تنور من نار.

روأيت امرأةً يحرقُ وجهها ويداها وهي تأكل امعاءها.

ورأيت إمرأة رأسها رأس خنزيرٍ وبدنها بدن الحمار وعليها الف ألف لون من

العذاب.

ورأيتُ امرأة على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار.

فقالت فاطمة: حبيبي وقرة عيني أخبرني ما كان عملهنّ؟ فقال:

أما المعلقة بشعرها فإنّها كانت لا تغطي شعرها عن الرجال.

وأما المعلقة بلسانها فإنّها كانت تؤذي زوجها.

وأما المعلقة بثدييها فإنّها كانت ترضع أولاد غير زوجها بغير اذنه.

وأما المعلّقة برجليها فإنّها كنت تخرج من بيتها بغير اذن زوجها.

وأما التي كانت تأكل لحم جسدها فإنّها كنت تزيّن بدنها للناس.

وأما التي تُشد يداها إلى رجليها وتُسلّط عليها الحيات والعقارب فإنّها كانت قذرة الوضوء والثياب وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ولا تتنظف وكانت تستهين بالصلاة.

وأما العمياء الصمّاء الخرساء فإنّها كانت تلد من الزنا فتعلقه في عنق زوجها.

وأما التي كانت تقرض لحمها بالمقاريض فإنّها كانت تعرض نفسها على الرجال.

وأما التي كانت تحرق وجهها وبدنها وهي تجرّ امعاءها فإنّها كانت قوّادة.

وأما التي كان رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار فإنّها كانت نمامّة كذّابة.

وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من دبرها وتخرج من فيها فإنّها كانت قينة (مغنية) نوّامة حاسدة.

ثم قال (ﷺ): «ويلٌ لامرأةٍ اغضب زوجها وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها»[1].

على اية حالٍ، فالمرأة وانطلاقاً من المنطق القرآني بامكانها تسلّق اسمى المراتب والمنازل المعنوية والوصول إلى ما وصلت إليه مريم العذراء (عليها السلام)، أما في حالة تجاهلها للتعاليم الالهية واستهانتها بشخصيتها الانسانية فإنّها ستتسافل إلى أدنى الدرجات وتصبح ادنى شأناً من البهائم وهذا ما قد يبلغه الرجال أيضاً.

١ ـ البحار: ٢٤٥/١٠٠ الطبعة الثانية مؤسسة الوفاء.

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾

البقرة / ١٨٥

٧

مشاكل الزواج

ومعوقاته

التزمت في أمر الزواج

ان حاجة كلٍّ من الرجل والمرأة إلى الزواج حاجة طبيعية ورغبة ذاتية، ومن الصعب عليهما الصمود امام هجوم الشهوة والغريزة طويلاً.

فربما يؤدي طول الفترة إلى الفساد وانحراف من هو بحاجة إلى الزواج.

وربما يدفع جموح الغرائز إلى وقوع الافراد في مستنقع الموبقات والمعاصي.

وربما يتسبب الحؤول دون زواج الأبناء والبنات إلى وقوعهم في المشاكل واصابتهم بمختلف العقد.

وقد تؤدي الرغبة في الزواج من جهة وما يعترضها من عراقيل من جهة اخرى، إلى قيام علاقات غير مشروعة وبالتالي تؤدي إلى تلوث النفوس الطاهرة وجرّ الشباب الذين يعدّون ثروة البلاد إلى الانتحار.

ان البعض من الآباء والأُمهات إذا ما بلغ اولادهم سنّ الزواج وفاتحوا الوالدين حول الزواج فإنّ الوالدين ينظران إلى ابنائهما بعين الاستصغار، ويرون ان افصاحهم عن الرغبة في الزواج ينمّ عن الوقاحة وانعدام الحياء، ويتحاملان عليهم ويبادران إلى تأنيبهم وتوبيخهم، ويبلغ بهما التعامل مع ابنائهما بحيث يشعر هؤلاء الأبناء بالمهانة، وإذا لم يتمتعوا بايمانٍ راسخ فإنّهم يسلكون طريقاً منحرفاً.

وبعض الآباء والأُمهات يطرحون شروطاً تعتبر إعجازية أو مستحيلة

بالنسبة للطرف المقابل ويصرّون على شروطهم حتى يمضي الوقت المناسب لزواج ابنائهم أو بناتهم وحينها تذبل زهرة حياتهم.

وقد يتوجه الشاب لخطبة شابة ما فيواجه بعنفٍ وخشونة من قبل اسرتها فيتراجع عن فكرة الزواج، وبذلك تصبح البنت جليسة الدار ويفوتها قطار الزواج، وقد تحصل مثل هذه الحالة من قبل اسرة الشاب ايضاً.

وقد يتردد الشباب من الأبناء والبنات عن المبادرة إلى الزواج نتيجة ما يعانون من قيود في اتخاذ القرار وما يسود المنزل من اجواء استبدادية يفرضها آباؤهم وامهاتهم، وبذلك يتعرضون لمختلف من الصدمات.

وقد يحول الأبناء والبنات انفسهم دون تحقق الزواج بما يطرحونه من شروط مرهقة على الطرف المقابل.

ان الاسلام العزيز يرى في هذا لتشدد منافياً للانصاف والمروة وبعيداً عن الاخلاق الانسانية ومتناقضاً مع الشرع الحنيف، ويوجه تحذيره لمن يتشدد بهذا الأمر بأن عواقب هذا التصرف ستحيق بهم في الدنيا والآخرة، ويصرّح بان الله آلى على نفسه التساهل مع المتسامحين والتشدد مع المتعنتين في الدنيا والآخرة.

فالتعنت بهذا الجانب بمثابة اعلان الحرب على الغرائز والتطلعات والآمال الطبيعية و الانسانية لدى كلٍّ من الأبناء البنات، وحقيقٌ على رب العالمين ان يأخذ المتشددين بالشدّة ويحرمهم من لطفه ورحمته.

في رواية عن حماد بن عثمان يقول فيها:

دخل رجلٌ على أبي جعفر بن محمد(عليه السلام) عقال له ابو عبدالله: ما لفلان يشكوك؟ قال: طالبته بحقي، فقال ابو عبدالله(عليه السلام): وترى انك إذا استقصيت عليه لم تسيء به؟ ارى

الذي حكى الله عزوجل في قوله: ﴿ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾[1].

يخافون ان يجور الله عليهم، والله ما خافوا ذلك ولكنهم خافوا الاستقصاء فسمّاه الله سوء الحساب.

فيا ايها الآباء والأمهات، ويا ايها الأبناء والبنات احذروا التزمت في جميع الامور لاسيما الزواج، وتجنبوا هذا التصرف المنافي للانسانية، ومهّدوا السبيل لتحقق الزواج وتساهلوا فيما تفرضونه من شروط، واعملوا على الحد من اتساع رقعة الفساد والمعاصي وذلك عن طريق التسامح في فرض الشروط والتزويج باسهل السبل وابسطها.

اجعلوا انفسكم ميزاناً بينكم وبين غيركم

على الآباء والأمهات ان يتذكروا يوم كانوا شباباً تتأجج فيهم اللهفة للزواج يحدوهم الامل في ان يسارع آباؤهم وامهاتهم إلى تمهيد السبيل لزواجهم ويبسطوا مائدة الزواج في اجواء يسودها الصفاء ويؤطرها الحب والمودة بعيداً عن التعنت والشروط الصعبة، وإذا ما رأوا من آبائهم وامهاتهم تصرفاً يعرقل هذه السنّة الالهية أو يثبطها أو ان موقف آبائهم وامهاتهم يتسبب في اثارة الموانع في هذا السبيل، فإنهم يصابون بالاحباط وتضطرب اوضاعهم النفسية ويستحوذ عليهم التشاؤم ازاء والديهم وبالتالي تتولد لديهم حالة من الحقد تجاههم.

واليوم اذ يرومون تزويج ابنهم أو ابنتهم عليهم ان يضعوا انفسهم مكانهما ويتصوروا الآمال والطموحات التي يعيشانها وما يواجهان من اضطرام نيران الغريزة فيهما، والرغبة في بناء الحياة الجديدة، لان ذلك من شأنه العدول عن

١ـ الرعد: ٢١.

التعنت ، وتهميد الارضية لتزويج الابن أو البنت بسهولة ويسر .

في رواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يشير فيها إلى هذا الأمر المهم قائلاً :

«اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، واحب لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لها، لاتظلم كما لاتحب أن تُظلم، وأحسنْ كما تحبّ آن يُحسن اليك، واستقبح لنفسك ما تستقبحه من غيرك وارضَ من الناس ما ترضى لهم منك»[١].

وقال الامام الحسن المجتبى (عليه السلام) :

«صاحبِ الناسَ مثل ما تحب أن يصاحبوك به»[٢].

هذه هي دعوة الاسلام لجميع البشر ، وهذه هي تعاليم الدين الحنيف ، وهذا هو المنهج القويم الذي يسيّر الحياة مع الآخرين ويقف أمام اكتساح الموبقات لحريم الحياة ، ويملأ الحياة نوراً وصفاءً ومحبة ووفاءً ويجعلها زاخرة بالسلامة والاخلاص والبساطة واليسر .

أيُّها الآباء والأُمهات عليكم اليوم ان تحبّوا لأولادكم ما كنتم تحبّون لانفسكم أيام شبابهم فيما يتعلق بالزواج ، وذلك عبارة عن الاقتران بمن يناسب شأنكم ، وان تتجنب كلتا الاسرتين الشروط الباهضة والمرهقة ، وان يسارعوا إلى تمهيد السبيل لتحقق الزواج ، والابتعاد عن التكاليف التي تقصم الظهر ، وتجنب القيل والقال .

ان السعي في أمر الزواج يستتبعه الاجر الجزيل من قبل الباري تعالى ، فيا ايها الآباء والأمهات سارعوا وكونوا سبباً في تزويج أولادكم ، وسيروا في هذا الطريق حتى النهاية بروح ملؤها الحب والمودة والكرم.

يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

---

١ ـ البحار : ٢٠٣/٧٧.

٢ ـ ميزان الحكمة : ٢١٦/٦.

«مَنْ عمل في تزويج بين المؤمنين حتى يجمع الله بينهما زوَّجه الله الف امرأةٍ من الحور العين وكان له بكل خطوةٍ خطاها أو بكل كلمة تكلّم بها في ذلك عملُ سنةً».

فأيّ أجر عظيم يُحرم منه اولئك الّذين يتشددون في أمر الزواج مع قدرتهم على توفير الظروف الملائمة لتحققه بيسر وبساطة ؟ !

بمَ يجيب هؤلاء ابناءهم حين تقام محكمة العدل الالهية في يوم القيامة إذا ما وقع هؤلاء الأبناء فريسة للفساد أ اصيبوا بصدمةٍ عقلية أو جسدية أو تعرضوا لازمة نفسية ؟ !

قال أمير المؤمنين (ع):

«واعظم الخطايا اقتطاع مال امرءٍ مسلمٍ، وأفضل الشفاعات مَنْ تشفّع بين اثنين في نكاحٍ حتى يجمع لله شملهما».

وقال الامام الصادق (ع):

«مَنْ زوّج عزباً كان ممن ينظر الله اليه يوم القيامة».

وعنه (ع) أيضاً:

«أربعة ينظر الله اليهم يوم القيامة: مَنْ اقال نادماً، أو اغاث لهفاناً، أو اعتق نسمةً، أو زوّج عزباً».

من أراد أن يعيق زواج رجل بامرأة، أو أن يفرّق بينهما فسينال غضب الله تعالى وعذابه في الدنيا والآخرة، ويمطره الله تعالى بألف حجر من النار.

ومن سعى في تفريق امرأة ورجل ولم يبلغ مرامه يبتليه الله تعالى في الدنيا والآخرة، ويحرمه لقاءه تعالى.

ليت جميع الآباء والأُمهات يطّلعون على هذه المفاهيم كي يطبّقوا ما فيها، وبذلك ينالون الاجر العظيم من لدن رب العالمين، وليت الذين يعرفونها يخلون عن ما يعتريهم من تكبّر في تطبيق هذه التعاليم لئلا يشملهم الغضب واللعنة الالهية يوم يقوم الناس لرب العالمين.

التكبر من خصال ابليس

اليوم حيث اصبح البلوغ هماً مضافاً إلى هموم الناس، وغدا الغزو الثقافي الذي يشنّه الاجانب معاناة اخرى تضاف إلى مسلسل العناء، وتحتل وسائل الاعلام المسموعة والمرئية التي تهيمن عليها قوي الكفر العالمي ارواح وعقول الناس لا سيما الشباب، وانتشرت الافلام المبتذلة في جميع ارجاء المعمورة، وكل ذلك لا طائل منه سوى هياج الشهوات وتاجج اوار الغرائز، يصبح من الواجب الشرعي والأخلاقي على الآباء والأُمهات والأقارب والأغنياء والدولة الاسلامية بل الامة بكاملها العمل بكل ما اوتوا من قوة لتذليل الصعاب امام زواج الشباب وتجاوز العادات والتقاليد الخاطئة، ونبذ المناهج الغربية والكف عن فرض الشروط المرهقة من أجل المحافظة على ما لدى الشباب ذكوراً واناثاً من ايمان واخلاق وسلوك انساني، وتصان هذه الزهور من الذبول والوقوع في وحل الرذيلة.

فلا تتكبروا عن تطبيق الاوامر الالهية وتعاليم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والأئمّة المعصومين (عليهم السلام).

ومما يبعث على الاسف ان البعض من الآباء والأُمهات ـ كما يُشاهدون في مجالس الخطوبة ـ يتصرفون وكأنهم ملوكاً وابنهم ولي العهد، ويمارسون افعالاً فرعونية، ويطرحون شروطاً وقيوداً تُجعز الطرف المقابل وتؤدي إلى انصراف ابنائهم عن التفكير بالزواج وبناء بيت الزوجية، مما يدفعهم بالتالي إلى ممارسة العلاقات غير المشروعة والانغماس بشتى الرذائل الجنسية ارضاءً لشهواتهم!!

يقول تعالى واصفاً التكبر بأنه من صفات ابليس:

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[2].

وقال علي (عليه السلام):

«إياك والكبر فإنّه اعظم الذنوب والأمُ العيوب وهو حلية ابليس»[3].

وعنه (عليه السلام) أيضاً:

«احذر الكبر فإنّه رأس الطغيان ومعصية الرحمن»[4].

«أقبح الخُلق التكبر»[5].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«اجتنبوا الكبر فإنّ العبد لا يزال يتكبر حتى يقول الله عزوجل اكتبوا عبدي هذا في الجبارين»[6].

وقال (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر:

«يا أباذر مَنْ مات وفي قلبه مثقال ذرة من كبرٍ لم يجد رائحة الجنة الّا ان يتوب قبل ذلك»[7].

أنّى للمخلوق من نطفةٍ ولا حول له ولا قوة ويعجز عن الوقوف ازاء مختلف الاحداث ولا قدرة له على ادارة ادنى شيء في هذا الكون، ان يتكبر على بارئه

---

١ ـ ص: ٧٣ ـ ٧٤.
٢ ـ الاعراف: ١٣.
٣ ـ ميزان الحكمة: ٢٩٨/٨.
٤ ـ ميزان الحكمة: ٣٠٠/٨ ـ ٣٠٢.
٥ ـ نفس المصدر.
٦ ـ نفس المصدر.
٧ ـ نفس المصدر.

وعلى ابناء جلدته، ويرى لنفسه التفوق على الآخرين ؟

ورد في رواية عن الامام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال:

وقع بين سلمان الفارسي (رضي الله عنه) وبين رجلٍ كلامٌ وخصومة فقال الرجل: من أنت يا سلمان؟ فقال سلمان: أما أولاي وأولاك فنطفة قذرة، واما أُخراي وأُخراك فجيفة نتنة، فاذا كن يوم القيامة وضعت الموازين فمن ثقل ميزانه فهو الكريم ومن خفت ميزانه فهو اللئيم[1].

يقول العلامة المجلسي «رحمه الله» بشأن علاج هذا المرض الخطير:

وأما معالجة الكبر واكتساب التواضع فهو علميّ وعملي، أما العلمي فهو ان يعرف نفسه وربّه ويكفيه ذلك في ازالته، فإنّه مهما عرف نفسه حقَّ المعرفة علم انّه اذلّ من كل ذليل، واقل من كل قليل بذاته، وانّه لا يليق به الّا التواضع والذلّة والمهانة، وإذا عرف ربه علم انّه لا يليق العظمة والكبرياء الّا بالله.

اما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى وسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين وما وصل إليه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى انّه كان يأكل على الأرض، ويقول: انما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد[2].

في ضوء هذه المفاهيم عليكم التواضع لاولادكم ذكوراً كانوا ام اناثاً، والتواضع يتمثل فقط بالنظر لهم وقد بلغوا ذروة تطلعاتهم وطموحاتهم ورغباتهم الطبيعية، وليس إلى ما درجتم عليه من عادات وتقاليد واعراف، والتسامح فيما تطرحونه من شروط، والقناعة بالحد الادنى مما تطمحون به من الطرف المقابل كي يكون الزواج مباركاً مضمون الدوام ويتسنى لكلٍّ من الفتى والفتاة العيش معاً باطمئنان بعد الاقتران.

---

١ ـ البحار: ٢٣١/٧٣.

٢ ـ البحار: ٧٣/٢٠١ـ٢٠٥.

قصة عن التسامح في امر الزواج

كان للعلّامة محمد تقي المجلسي«ﷺ» ـ وهو فقيه وعالم قلّ نظيره ـ ثلاثة أبناء وأربع بناتٍ، وأكبر بناته اسمها آمنة، وقصة زواجها من الملا صالح المازندراني وهو صاحب شرح اصول الكافي في اثني عشر جزءاً قصة عجيبة وشيّقة.

وحياة الملا صالح المازندراني ـ وهو من مشاهير علماء الشيعة ـ حافلة بالاحداث نجملها فيما يلي:

كان ابوه ـ وهو الملا أحمد ـ رجلاً فقيراً بحيث كان عاجزاً عن توفير مستلزمات الحياة لابنه، لهذا قال له: عليك بتدبير امورك بنفسك لانني عاجزٌ عن توفير ما تحتاجه.

فتوجه محمد صالح ـ وكان يومها شاباً يافعاً ـ إلى اصفهان وانخرط في احدى مدارسها لتحصيل العلم، ولهذه المدرسة اموالٌ موقوفة حيث يمنح كل طالبٍ ما يتناسب ودرجته العلمية، وحيث ان محمد صالح كان حديث العهد بالدراسة فقد كانت حصته قليلة لا تسد حاجته، لهذا كان يعيش معاناة شديدة حتى انّه كان يضطر إلى المطالعة ليلاً تحت ضوء وسائل الانارة التي كانت تضاء في جوانب المدرسة.

الّا انّه بما كان يتمتع به من جدٍّ ومثابرة وهمة عالية تغلب في نهاية المطاف على حياة الحرمان وتسلّق المراتب العلمية العالية حتى شق طريقة إلى درس العلامة محمد تقي المجلسي، ولم يطل به المقام حتى استحوذ على اهتمام استاذه ولفت انتباهه بتفوقه على جميع اقرانه.

يقول مؤلف مرآة الاحوال: في غضون ذلك كان الملا صالح ـ ذلك العالم

الشاب ـ يفكر بالزواج وقد عرف العلامة المجلسي بذلك أيضاً، وذات يوم وبعد الفراغ من الدرس قال العلامة للملا صالح: اتسمح لي ان اختار لك زوجة؟ فاطرق الملا برأسه ثم اعرب عن موافقته.

فنهض العلامة المجلسي من مكانه ودخل داره ودعا ابنته آمنة ـ وهي امرأة عالمة استوعبت العلوم غاية الاستيعاب ـ وقال لها: لقد اخترت لك زوجاً في غاية الفقر غير انّه في غاية الفضل والصلاح والكمال، والأمر موكول إليك.

فاجابت تلك الفاضلة العفيفة: يا أبه! ان الفقر ليس من عيوب الرجال، وبذلك عبّرت عن رغبتها الذاتية في بناء هذه العلقة، ثمّ أُجري عقد القرآن وزُفَّت العروس إلى زوجها.

وفي ليلة الزفاف دخل العريس على زوجته ورفع عن وجهها الحجاب، وحين رأى جمالها النادر توجه نحو احدى زوايا الغرفة حامداً ربّه وانهمك بالمطالعة.

وصادف ان حدثت مشكلة يصعب حلّها ففهمت آمنة بما تتحلى به من فراسة وفي اليوم التالي حيث خرج زوجها لغرض التدريس دوّنت حل المشكلة بالتفصيل ووضعت الورقة في مكانه، وحينما وقع بصرُ الملا صالح في الليل على ما كتبته تلك السيدة الفاضلة، ورای ان هذه المعضلة قد حُلَّت بأنامل هذه الفاضلة العالمة، هوى إلى الأرض ساجداً شكراً لله واشتغل بالعبادة حتى الصباح، وهكذا استمرت مقدمات الزواج مدة ثلاثة أيام!!

ولما اطلع العلامة المجلسي على الأمر قال للملا صالح: إذا كانت هذه الزوجة لا تعجبك ولا تناسب شأنك فإنّا على استعداد لازوجك غيرها. فقال الملا صالح: كلا ليس هذا هو السبب، بل ان ابتعادي عنها كان من اجل ان أؤدي الشكر لله تعالى حيث منَّ عليَّ بمثل هذه النعمة التي اعجز عن اداء شكرها مهما حاولت.

وعند سماع العلامة المجلسي لهذا الكلام قال: الاقرار بالعجز عن اداء الشكر لله تعالى هو غاية الشكر.

لا حظوا ان العلامة المجلسي قام بثلاثة أُمور، أولاً: توفير جميع مستلزمات التعليم لابنته لكسب العلوم على اعلى المستويات حتى بلغت اوج عظمتها العلمية، وثانياً: انّه جعل منها بنتاً تمثل معدن العفة والطهارة والحياء ومثالاً للاخلاق الاسلامية والتواضع والقناعة، وثالثاً: سلك في تزويجها اسهل الطرق وزوجها إلى من هو كفوء لها من حيث الايمان والأخلاق والسلوك بعيداً عن التعقيدات، ورابعاً: لم يفرض عليها الزواج من الملا صالح، ولم يُبدِ تكبراً بل أوكلَ امر اختيار الزوج إليها، وهذا ما أرشدت المعارف الاسلامية الانسان إليه، والأهم من ذلك انّه وبعد مرور ثلاثة أيام على وقوع الزواج وامتناع الملا صالح عن الاقتراب من زوجته لانشغاله باداء الشكر لله تعالى تصور العلامة ان هذا الرجل لا يرغب بها فعبّر عن استعداده لتزويجه غيرها ان لم ترق له!!

هذه هي اولياء الله وعشاق الحقيقة والصالحين وخصال العفيفات من البنات المتحصنات بالعفّة والايمان ومن سمات العوائل الطاهرة، ومثل هذا الزواج يطفح بالبركات الالهية وتسود اجواءه الرحمة والألطاف الالهية.

وقد رُزق الملا صالح من هذه السيدة العالمة ستة من الأبناء العلماء الفقهاء الادباء المتفوهين وبنتين فاضلتين، احداهما زوجة ابي المعالي الكبير وهي أم المير ابي طالب وهذا وابوه كانا من مشاهير العلماء.

وكان السيد محمد البروجردي الجد الخامس لآية الله العظمى السيد البروجردي ـ وهو من احفاد المجلسي الاول عن طريق بناته ـ صهر المير ابي طالب ومن هنا فقد كان ابناؤه ينسبون أنفسهم إلى اسرة المجلسي، والكريمة الثانية للملا صالح هي زوجة السيد عبدالكريم الطباطبائي الجد السادس لآية الله

العظمى البروجردي، وهي ام السيد محمد الطباطبائي.

روى عن الائمة المعصومين: «إن الله عزوجل لم يترك شيئاً مما يحتاج إليه وعلّمه نبيه(ﷺ) فكان من تعليمه إياه انه صعد المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ايها الناس ان جبرئيل أتاني عن اللطيف الخبير فقال: ان الابكار بمنزلة الثمر على الشجر اذا ادرك ثمارها فلم تجتن أفسدته الشمس، ونثرته الرياح، وكذلك الابكار اذا أدركن ما يدرك النساء فليس لهن دواء إلا البعولة وإلّا لم يؤمن عليهنّ الفساد لأنّهنّ بشر»[1].

ينبغي على الوالدين الالتفات إلى هذه المسألة المهمة، وهي توفير اسباب الزواج لابنتهم بكل يسر وبساطة حين بلوغها الوعي الضروري للزواج وبلغت السن المناسبة للاقتران بمن ترغب من الرجال، وتمتعت بالقابلية التي تؤهلها للزواج، وبهذا يكونون قد نفذوا ما أمر الله به وينالون بذلك الأجر الجزيل والثواب الجميل.

التقليد عمل شيطاني

تقليد الآخرين من العادات القبيحة التي دأب عليها البعض، ومعناه: ان الشخص العائلة يجعلون من الوضع المادي الراقي الذي يتمتع به الاقارب أو الجيران أو غيرهم ملاكاً لهم ويحاولون التشبث بشتى الطرق وبكل ما اوتوا من قوة التشبه بهم.

فتتعلق انظار البنت المادية التي تعيش في ظلها بنات الاقارب، وتبقى غارقة في بحر من الاوهام في أن يكون زوجها أو مراسيم عقد قرانها أو حفل

١ ـ الوسائل، ٣٩/١٤، ح ٢.

زفافها مماثلاً لما فعلته البنت الفلانية، وبهذا فهي تصر على موقفها في رفض من يتقدم لخطبتها ولا تجد فيه ما تطمح إليه من مستوىً راقٍ من ناحية الثروة والغنى، ويطول بها المقام وهي ترفض الزواج حتى تتجاوز السن المناسبة للزواج وحينذاك ترى انّها اصبحت مضطرة للاقتران من رجلٍ طاعنٍ بالسن أو أرملٍ، أو تفضل البقاء جليسة الدار حتى يتوفاها الموت، وعلى فرض انّها تتزوج فيما بعد حينها تكون قد استنفدت عنفوان الشباب وطراوته، وفقدت قدرتها على تحمل متاعب الحياة الزوجية وتربية الاطفال.

فالتقليد اذن يعتبر من العوائق التي تقف في طريق تحقق الزواج، ومن الخصال الشيطانية والعادات المذمومة، وقد نهى القرآن الكريم في الآية ٨٨ من سورة الحجر، والآية ١٣١ من سورة طه عن مراقبة ما يتمتع به اهل الدنيا والأغنياء، كما ورد في الروايات عن الائمة الطاهرين (عليهم السلام) ما مفاده: «مَنْ راقب الناس مات هماً».

ينبغي ان يقترن الزواج بالنية الخالصة، ويكون خالصاً لوجه الله، وتكون الغاية منه تطبيق سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانجاب الذرية الصالحة، وبناء الحياة الزوجية المقدسة التي تظللها رحمة الله ولطفه.

فاذا ما قام الزواج عى هذه الدعائم سيكون حينها بناءً راسخاً ومحكماً وتفوح البركة بين جنباته وتتمخض عنه ثمارٌ معنوية.

وإذا ما توفرت مقدمات الزواج يتعين على الاقارب الاهتمام بانفاذه وبذل الجهود لتجنب التدخل غير المبرر في هذه السنة الالهية، والكف عن التقييم المجحف والكلام المثير للفرقة الذي من شأنه تثبيط أمر الزواج.

المهور الغالية

ان قضية المهر في الاسلام تعد قضيه مهمة للغاية ودقيقة، وتحظى ببالغ الاهتمام، وقد اكد الاسلام على المهور الخفيفة، واعلن رفضه للمهور الغالية، فما كان ذو قيمة واهمية بامكان ان يصبح مهراً وصداقاً للمرأة سواء كان مالاً أو عملاً، اذ يمكن ان يكون البستان أو المتجر أو الارض أو لعقار مهمة أو المال أو التعليم وما شابه ذلك مهراً للمرأة.

وبعد آيات القرآن الكريم هنا لك روايات مهمة وردت عن الرسول الاكرم (ﷺ) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) في الكتب المعتبرة بهذا الشأن نلفت انتباهكم هنا إلى طائفة منها، وهذه الروايات تؤكد على تخفيف المهور وتجنب المهور الغالية لانها تدفع الشباب إلى الاعراض عن الزواج وبالتالي بقاء البنات جليسات الدار.

قال رسول الله (ﷺ):

«أفضل نساء أُمتي اصبحنّ وجهاً واقلهنّ مهراً»(١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«لا تُغالوا بمهور النساء فتكون عداوة»(٢).

نعم، فعند ما يتوجه الشاب لخطبته بنتٍ من اقاربه أو جيرانه أو غيرهم ويُواجه بفرض الصداق الباهض الذي لا طاقة له به، ويجدانّه قد فشل في خطوته نحو الزواج، فإنّ ذلك يثير الضغينة لديه تجاه البنت واسرتها، ويصاب باليأس ويضيع عمره بانغماسه في الفساد لاسمح الله، ويتعرض شبابه وحيويته إلى

---

١ ـ البحار: ١٠٣، ٣٤٧.

٢ ـ نفس المصدر.

اضرار لا يمكن تفاديها.

يقول الصادق (عليه السلام):

«من بركة المرأة خفّة مؤونتها وتيسير ولادتها ومن شؤمها شدّة مؤونتها وتعسير ولادتها».

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«لا تُغالوا بمهور النساء فإنّما هي سُقْيا الله سبحانه».

وقال النبي (صلى الله عليه وآله) لامرأة تدعى حولاء:

«يا حولاء والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً، ما من امرأة ثقّلت على زوجها المهر إلّا اثقل الله عليها سلاسل من نار»[1].

ان المهر الغالي يعد سبباً في عزوف الشباب عن الزواج ووقوعهم في الرذيلة والموبقات، وان من يفرض المهر الغالي شريك في انحراف الشباب وبهذا فهو يستحق العذاب الالهي.

القرآن، المهر الحقيقي للزواج

قال الامام الباقر (عليه السلام):

«جاءت امرأة الى النبي(صلى الله عليه وآله) فقالت زوجني فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): من لهذه؟ فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله(صلى الله عليه وآله) زوجنيها، فقال: ما تعطيها؟ فقال: مالي شيء قال: لا، فأعادت فأعاد رسول الله(صلى الله عليه وآله)، الكلام فلم يقم أحد غير الرجل ،ثم أعادت فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله)، في المرة الثالثة: اتحسن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، قال: قد زوجتكها على ما تحسن من القرآن فعلمها إياه»[2].

١ـ مستدرك الوسائل: ٢٤١/١٤.

٢ـ الوسائل: ٣/١٥، ح ١.

عن الرضا (ﷺ) انّه قال:

«أيُّما مؤمن خطب إلى اخيه حُرمةً وبذل له خمسمائة درهم فلم يـزوجه فـقد عـقّه واستحق من الله عزوجل ان لا يزوجه حوراء»(١).

يُروى ان ام سليم ـ وهي من نساء الصدر الأول فـي الاسـلام ومـن اسـرة معروفة واصيلة ـ كان مهرها اسلام الشاب الذي تقدم لخطبتها، وهي المرأة التي سلّت زوجها عند وفاة ابنهما ولم تدع الجزع يدب إليه فوهبه الله ولداً اصبح فيما من شيعة علي (ﷺ) جزاءً لصبرها وثباته.

على البنات إذا ما تقدم اليهن مَنْ فيه الكفاءة وابدى الاهل تشدداً في قضية الزواج لا سيما فيما يتعلق بالصداق ـ أن يقفن بوجه الاهل بكل ادب ورصـانه، والتصدي لتعنتهم من خلال بيان التعاليم الاسلامية الصائبة، اذ ان قلة الطمع تعد من خصال الانبياء والأولياء وسمة رفيعة ومتعالية.

لقد جعل رسول الله (ﷺ) مهر بضعته سيد نساء العالمين (ﷺ) في زواجـها من علي (ﷺ) قليلاً وخفيفاً كي يكون قدوة واسوة لامته، ومن القبيح ان لا تقتفي عوائلنا اثر نبيها في مسألة الزواج لا سيما المهر.

---

١ ـ البحار: ٣٤٨/١٠٣.

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴾

النور / ٣٢

٨

شروط الزواج في الاسلام

الدين والتدين

الاسلام نظام عقائدي واخلاقي وعملي، والعقيدة في الاسلام عبارة عن ايمان القلب بالحق تعالى وكتبه ورسله وملائكته.

والأخلاق عبارة عن التحلّي بالتواضع والتأدب والصبر والحلم وسعة الصدر والمحبة والرأفة والعطف واللين والصدق والاخلاص والمواساة والعدالة والكرم والسخاء.

اما العمل في الاسلام فهو عبارة عن الصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والتولي والتبري وبر الوالدين وصيانة حقوق من يتعامل معهم الفرد.

وبالطبع فإنّ هذه الامور بجوانبها الثلاثة لا تمثل الاسلام بكل شؤونه، بل هي عيّنات من الاسلام الشامل الكامل الذي يضمن السلامة الدنيوية والأخروية للبشر في جميع شؤونهم.

وبالحقيقة فإنّ الدين يمثل شمس الوجود ونبراس الحياة والدليل نحو الحق تعالى، وهو الذي يعمّر دنيا الانسان وآخرته، وليس هنا لك جوهرة في الوجود اسمى قيمة من الدين الذي تولى الانبياء جميعهم والأئمة وأولياء الله أمر التبليغ له، ومَنْ آمن به فقد اصطبغ بصبغة الله وفتح امامه ابواب السعادة، ومَنْ ابتعد عنه فقد فتح امامه ابواب الشقاء على مصاريعها، والمتدين يحظى عند الله بنفس المنزلة التي يتمتع بها الدين، والمتدين بدين الله هو اسمى البشر وارفع موجود

واكرم مخلوق على وجه البسيطة .

يقول تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[1] .

وقد جرى بيان صفات المؤمن في القرآن والأحاديث الشريفة بنحو يفيد انّ مَن اتصف بها هو المؤمن المقبول ، منها :

الخشوع في الصلاة ، الاعراض عن اللغو ، اداء الزكاة ، حفظ الفرج ، رعاية العهد والأمانة ، والمحافظة على الصلاة[2] .

وفي موضع آخر :

التواضع في المشي ، مواجهة الجاهلين بالوداعة ، احياء الليل سجداً وقياماً ، الدعاء للخلاص من العذاب ، عدم الاسراف أو البخل عند الانفاق ، الورع عن الشرك وقتل النفس والزنا ، الامتناع عن شهادة الزور ، ترك اللغو ، النظر إلى آيات الله بعين البصيرة ، الدعاء للازواج والذرية بأن يجعلهم الله للمتقين اماما[3] .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

«المؤمن دأبهُ زهدهُ ، وهمّهُ ديانتهُ ، عزهُ قناعتُه ، جدُّه لآخرته ، قد كثرت حسناته ، وعلت درجاته ، وشارف خلاصُهُ ونجاته»[4] .

وقال (عليه السلام) أيضاً :

«المؤمنُ دائمُ الذكر ، كثير الفكر ، على النعماء شاكرُ ، وفي البلاء صابرٌ»[5] .

وقال الامام الصادق (عليه السلام) :

---

١ ـ البيّنة : ٧ .

٢ ـ المؤمنون : ٢ ـ ٩ .

٣ ـ الفرقان : ٦٤ ـ ٧٤ .

٤ ـ ميزان الحكمة : ١/٣٦٣ .

٥ ـ نفس المصدر

«المؤمن من طاب مسكبُهُ، وحسُنَتْ خليقتُه، وصحّت سريرتُه، وأنفق الفضل من ماله، وامسك الفضل من كلامه»[١].

وبشأن عظمة المؤمن ورد في الروايات:

روي عن الامام الصادق (عليه السلام):

«المؤمن اعظم حرمة من الكعبة».

وقال الامام الباقر (عليه السلام):

«ان المؤمن يُعرف في السماء كما يعرفُ الرجل اهله وولدَهُ وانّه لأكرم على الله عزوجلّ من مَلَكٍ مقرّب.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«ان الله جلّ ثناؤه يقول: وعزّتي وجلالي ما خلقتُ من خلقي خلقاً احبُّ اليَّ من عبدي المؤمن»[٢].

الكفو

بعد هذه المقدمة التي تناولنا فيها الدين والتدين من الضروري الالتفات إلى ان اهم الشروط هو كفاءة الزوجين.

والكفوُ في اللغة تعني النظير والتمثيل، ولابدّ من تناظر الزوجين ظاهرياً وباطنياً نوعاً ما، وأهم اوجه التشابه ينبغي ان تتجسد في التدين، بمعنى ان المؤمن كفو المؤمنة بالتزامهما بدين الحق تعالى وتعاليمه، والمتدين كفو المتدينة ومثليها كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَٱلطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾[٣].

١ـ البحار: ٢٩٣/٦٧.

٢ـ البحار: ١٥٨/٧١.

٣ـ النور: ٢٦.

وقوله تعالى:

﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَاءِ﴾[١].

والطهارة لدى كلٍّ من الرجال والنساء تتمثل أولاً بطهارة الباطن وذلك عبارة عن الاعتقاد بالله وانبيائه وكتبه وملائكته والتخلق باخلاق الله.

بناء على ذلك لا يحل للمسلم والمؤمن الزواج من غير المؤمنة أو غير المسلمة، وإذا ما تم مثل هذا الزواج فهو باطل، وما ينتج عنه من ذرية لاشك في أنهم ابناء زنا، كما لا يحل للمسلمة الزواج من غير المسلم لان مثل هذا الزواج حرام، فالمؤمن والمؤمنة لا يتكافئان مع غير المؤمن وغير المؤمنة، وإذا ما تم الزواج على صورته هذه يكونان قد فتحا امامهما باباً من العذاب يوم القيامة!!

وقد نهى القرآن الكريم بشدة عن اقتران الطاهر أي المؤمن من غير الطاهرة أي المشركة قائلاً:

﴿وَلاَ تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِن مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِن مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٢].

من هنا، حذاري من تزويج المؤمنة من بناتكم لمن لايدين دين الحق ويتخبط في مستنقع انكار الحقائق، ولا تُنكحوا المؤمن من شبابكم مَن تنكر اصول الدين، اذان اول شرط لصحة الزواج هو ايمان كلٍّ من الرجل والمرأة ليتم بذلك الارتباط بين نورين ومؤمنين طاهرين طيبين، ويعطي ذلك الارتباط ثماراً طيبة صالحة تتمثل في الذرية الصالحة.

---

١ ـ النساء: ٣.

٢ ـ البقرة: ٢٢١.

ولا تتصوروا ان ما يتمتع به الخبيث من الرجال أو الخبيثة من النساء من جمال وثروةٍ وجاهٍ يفضي إلى السعادة والسلامة وادامة الحياة.

ومن الضروري ان لا تتشدد العوائل في مسألة الكفو، فاذا كان الفتى والفتاة متكافئان من حيث الايمان والأخلاق والسلوك الاسلامي ومن حيث الصورة الظاهرية، فهما في نظر الشرع المقدس متكافئان ومتشابهان، وفي زواجهما ستتجلى رحمة الحق عزوجلّ وبركته.

تأملوا الروايات التالية التي تتعلق بالكفو:

عن أبي عبدالله (ﷺ) انّه قال: «**الكفو أن يكون عفيفاً وعنده يسار**»[١].

وقال رسول الله (ﷺ):

«**إذا جاءكم مَن ترضون دينه وامانته يخطب اليكم فزوّجوه إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»[٢].

وفي رواية اخرى يقول (ﷺ):

«**إذا جاءكم مَن ترضون خُلقَهُ ودينه فزوّجوه إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»[٣].

نعم، فالتعنت في أمر الزواج من قبل الأهل وافتعال العراقيل في طريقه، والتشبث بالعادات والتقاليد الخاطئة، وفرض الشروط الصعبة، والبحث عن الجمال والثروة والجاه، كل ذلك مما يؤدي إلى ازدياد حالات الاستمناء واللواط والزنا والضغوط العصبية والأمراض النفسية لدى الأبناء والبنات، وكل ذلك فتنةٌ وفسادٌ ستحيق عواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة بالوالدين والأقارب الذين

---

١ ـ البحار: ٣٧٢/١٠٠.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ البحار: ٣٧٣/١٠٠.

يتعنتون في أمر الزواج.

قال رسول الله (ﷺ):

«أنكحوا الاكفاء وأنكحوا منهم واختاروا لنطفكم»[1].

نعم، ان الايمان والاخلاق والأمانة والصدق لدى كل من الفتى والفتاة تمثل اساساً للكفاءة بينهما، ويتوجب على كل من الوالدين وسائر العوائل الاسراع بتزويجهما بكل يسر، والاحتراز عن الشروط التي تتنافى مع التعاليم الالهية، وتجنب السلوكيات التي تتناقض مع الاخلاق كي ينالوا رضى الباري تعالى ورحمته.

يقول الامام الباقر (ؑ):

«ما من رُزاةٍ اشدُّ على عبدٍ ان يأتيه ابن أخيه فيقول زوّجني فيقول: لا افعل أنا أغنى منك».

في مسألة الزواج يجب ان لا يؤخذ التعصب القومي أو القلبي بنظر الاعتبار، لان الاسلام رفض مثل هذه العصبيات وابطلها.

فلا تجعلوا من الفقر والغنى والانتساب إلى هذه المدينة أو تلك، والانتماء إلى هذه القبيلة أو تلك، ملاكاً للزواج، فالجميع رجالاً ونساءً من أبٍ واحدٍ وام واحدة، ولا فضل لاحدٍ على الآخر قط الّا بالتقوى.

رأي الامام السجاد (ؑ) بشأن الكفو

عن أبي جعفر الباقر (ؑ) انّه قال: ان علي بن الحسين (ؑ) رأى امرأة في بعض مشاهد مكة فأعجبته فخطبها إلى نفسه وتزوجها فكانت عنده، وكان عنده

---

١ ـ البحار: ٣٧٢/١٠٠.

صديق من الانصار فاغتم لتزويجه بتلك المرأة فسال عنها فأخبر انّها من آل ذي الجدّين من بني شيبان في بيت عليٍّ من قومها.

فاقبل على علي بن الحسين فقال له: جعلني الله فداك ما زال تزويجك من هذه المرأة في نفسي، وقلت: تزوج علي بن الحسين امرأة مجهولة ويقول الناس ايضاً، فلم أزل أسأل عنها عرفتها ووجدتها في بيت قومها شيبانية، فقال له علي بن الحسين (عليه السلام)، قد كنت أحسبك أحسن رأياً عما أرى، ان الله أتى بالاسلام فرفع به الخسيسة واتمَّ به الناقصة، وكرَّم به اللؤم، فلا لؤم على المسلم، انما اللؤم لؤم الجاهلية[1]

بناءً على ذلك، ان الانتماء إلى نفس القبيلة أو المدينة شأنه شأن التناظر بالثروة لا يعد سبباً في الكفاءة، واستناداً إلى ما اقره الاسلام فلا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود ولا لقرشي على غيره الّا بالتقوى، والمسلم كفو المسلمة بما يتمتعان به من ايمان وتقوى واخلاق وامانة وعفاف وطهارة وسلامة حتى وان كان أحدهما عربياً والآخر أعجمياً، أو كان أحدهما مدنياً والآخر قروياً، أو كان أحدهما غنياً والآخر فقيراً، أو أبيضاً والآخر أسوداً، أو أن يكون أحدهما ذا قبيلة والآخر منقطع النسب.

كتب مولانا الجواد (عليه السلام) إلى علي بن اسباط:

فهمتُ ما ذكرت من أمر بناتك وانك لا تجد أحداً مثلك، فلا تفكر في ذلك يرحمك الله، فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إذا جاءكم مَنْ ترضون خلقه ودينه فزوجوه وان لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير[2].

لم يجز المؤمن على شيء أخطر وأضرّ من الثروة، فضرر المال أكثر من ضرر

١ـ البحار: ٣٧٤/١٠٠.

٢ـ البحار: ٣٧٣/١٠٠.

ذئبين عاثوا في قطيع من الأغنام ليس له راع، فهذان الذئبان ماذا سيفعلان بهذه الأغنام؟

قلت: لا يفعلان غير العبث بها.

قال (ﷺ): صدقت، فإنّ أقلّ ضرر للمال هو انّ مسلماً يتقدّم لخطبة ابنة مسلم فيردّه أبوها بحجّة انّ الخاطب لا مال له.

لا تُزوجوا هؤلاء

ورد في التعاليم الالهية: ان الولد امانةٌ أودعها الله سبحانه ونعمة منه وحسنةٌ للمرء، والمحافظة عى الامانة الالهية تتمثّل بحسن تربيته دينياً واخلاقياً، واختيار شريك الحياة الصالح له إذا ما بلغ سن الزواج.

ان البنت عندما تغادر إلى بيت زوجها فانّها تتأثر به وبأهله، وكل ما يجري في ذلك البيت انما يجري وفقاً لميول الزوج، فينبغي والحالة هذه أن يكون البيت الذي تتوجه اليه بيتاً الهياً تقطنه عائلة مؤمنة، وان تتمتع الزوجة بما تيسر لها من حسن الظاهر والباطن، ومن هنا اكد الاسلام في نهيه عن تزويج من يفتقد الشروط التي حددها الشرع المقدس.

جاء في رواية عن رسول الله (ﷺ) انّه قال:

«انّما النكاح رقٌّ فاذا انكحَ أحدكم وليدةً فقد ارقّها فلينظر أحدكم لمنْ يُرقُ كريمته»[1].

فلا يجوز تزويج من لا يعتقد بدين الحق ولا يلتزم بما فرضه الله من العقائد الحقة، وذاك ما عُبّر عنه في كتاب الله بالفاسق.

---

١ ـ البحار: ٣٧١/١٠٣.

ولا يحل تزويج من ساء خلقه وانغمس بالتكبر والتفاخر والحسد والبخل والطمع وبذاءة اللسان.

وتزويج الجاهل والسفيه والأبله الذي لا يقوى على ادارة شؤون حياته ولا يجلب للمرأة سوى المشاكل يعد منافياً لتعاليم الشرع الحنيف وابتعاداً عن الانسانية.

ولا يجوز أبداً تزويج شارب الخمر واللئيم الذي لا يتورع عن ارتكاب ما حرّم الله.

وفيما يلي نسترعي انتباهكم إلىٰ هذه الطائفة من الأحاديث المهمة في هذا المجال:

قال النبي (ﷺ):

«من زوَّج كريمته من فاسقٍ نزل عليه كلَّ يومٍ ألفُ لعنةٍ».

كتب حسين بن بشار إلى الكاظم (ؑ): إنّ لي قرابةً قد خطبَ اليَّ وفي خلقه سوء قال (ؑ) لا تزوّجه ان كان سيّء الخلق[1].

وقد نهى الامام الصادق (ؑ) مستنداً إلى ما ورد في الآية ٥ من سورة النساء عن تزويج السفيه والجاهل الذي لا يتمتع بالأهلية لانه يتصرف بالاموال ولا يمكن الاطمئنان إليه في الجوانب الاجتماعية والفردية واداء الامانة.

قال النبي (ﷺ):

«مَنْ شربَ الخمر بعد ما حرّمها الله على لساني فليس بأهلٍ ان يُزوّج إذا خطب».

وقال الامام الرضا (ؑ):

«واياك ان تُزوّج شارب الخمر، فإنْ زوّجتهُ فكأنّما قدّمت إلى الزنا».

---

١ ـ البحار: ١٠٣/٢٣٥.

أجل، فمن لا يتمسك بالفرائض الالهية ولا يتورع عن الفسق والفجور، وفاقد الارادة الذي لا يحترز عن تناول المشروبات الكحولية، ليس أهلاً بأن يؤتمن على امرأةٍ طاهرةٍ ومؤمنة تعد امانة الهية، اذ ان ذلك لا يجر إلى ضياعها فحسب، بل ان ما تنجبه من ذلك المنحرف سيتأثرون سلباً به، وقد أوضح الامام الصادق (عليه السلام) هذه الحقيقة قبل ان يتوصل اليها العقل البشري، إذ قال (عليه السلام):

«الحرام يبين في الذريّة»[1].

لا تتزوجوا من هذه النساء

مثلما يحرّم الاسلام تزويج طائفة من الرجال ومن بينهم الفاسق والسفيه وسيء الخلق وشارب الخمر، ويحافظ على حرمة المرأة ومنزلتها من خلال منع تزويجها ممن كان بين هذه الاصناف، فانّه لا يسمح للمؤمنين من الشباب ان يتزوجوا مَن افتقدت الشروط التي يفرضها الاسلام.

وقد وردت روايات مهمة بهذا الشأن في الكتب المعتبرة، نشير إلى طائفة منها.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انّه قال:

«إياكم وتزويج الحمقاء، فإنّ صحبتها ضياع وولدها ضباع»[2].

وقال (صلى الله عليه وآله) أيضاً: **«إياكم وخضراء الدّمن قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال المرأة الحسناء في منبت السوء»**[3].

وكان (صلى الله عليه وآله) في دعائه:

---

١ ـ الوسائل: ١٧، «ب» ١، ص ٨١، الرواية ٢٢٠٤٣.

٢ ـ البحار: ٢٣٢/١٠٣ ـ ٢٣٧.

٣ ـ نفس المصدر.

«اللهم اني اعوذ بك من ولدٍ يكون عليَّ رباً، ومن مالٍ يكون عليَّ ضياعاً، ومن زوجةٍ تشيبني قبل أوان مشيبي ومن خليلٍ ماكرٍ».

وقال (ﷺ):

«شرار نسائكم العُقرة، الدَّنسة، اللجوجة، العاصية، الذليلة في قومها، العزيزة في نفسها، الحصانُ على زوجها، الهلول على غيره»[١].

وقال (ﷺ) أيضاً:

«الشؤم في ثلاثة: في المرأة والدابة والدار، فاما شؤم المرأة فكثرة مهرها وعقمُ رحمها».

وقال (ﷺ):

«شر الاشياء المرأه السوء»[٢].

وقال أمير المؤمنين (ﷺ):

«شرُّ الزوجات مَنْ لا تؤتى»[٣].

وقال رسول الله (ﷺ):

«الا أُخبركم بشرار نسائكم؟ الذليلة في أهلها، العزيزة مع بعلها، العقيم الحقود، التي لا تتورع عن قبيح، المتبرجة إذا غاب عنها بعلها، الحصان معه إذا حضر، لا تسمع قوله ولا تطيع أمره، وإذا خلا بها تمنّعت كما تمنّع الصعبة عند ركوبها، ولا تقبلُ منه عذراً، ولاتغفر له ذنباً»[٤].

١ـ

٢ ـ المستدرك: كتاب النكاح، الباب ٦ و٨.

٣ـ نفس المصدر.

٤ ـ البحار: ٢٣٥/١٠٠.

« النكاح سنّتي فمن رغب عن سنّتي فليس منّي »

البحار: ذاريات ١٠٣ / ٢٢٠

٩

طريقة اختيار الزواج

الناقص مطرود من رحمة الله

ورد في رواية عن رسول الله (ﷺ) انّه قال: «**الناقص معلون**».

لا شك في ان الناقص لا يعني من فقد عينه أو يده أو رجله، أو مَنْ وُلد بعاهةٍ، بل الناقص من لم يبادر إلى طلب العلم ولم يتخلق بفضائل الاخلاق ولم يقم بالاعمال الصالحة ولا همَّ له سوى الاكل والنوم وارضاء الشهوة.

ان الانسان يمتلك الأرضية اللازمة لبلوغ كافة الكمالات والحقائق، وعليه السعي والتحرك في هذا المجال، وان يكون مثابراً ونشيطاً ويعمل على سدّ ما يعتريه من نواقص على الصعيد الفكري والروحي ما دام حياً، ولا يركن إلى الخمول والسكون، فهو ان لم يبادر إلى ازالة ما فيه من نواقص وبقي خاملاً فاقداً للحركة يغدو كالماء الراكد الذي تعفن واصبح كريه الرائحة، وبذلك يلعنه الله ويطرده عن بحبوحة رحمته.

وللاسف فإنّ البعض يبلغ من العمر سبعين أو ثمانين عاماً الّا انّه لم يزل من حيث العقل كالطفل في سنته الأولى، وكالطفل في الخامسة من عمره من حيث الاخلاق والسلوك، إذا انهم لم يتزودوا من المواهب المعنوية التي افاض بها الباري تعالى كالكتب السماوية والأنبياء والأئمة والعرفاء والحكماء، وانكبوا على حشو بطونهم كالحيوانات والاعتناء بشكلهم الظاهري ونفخوا نطفتهم التي لا تعدل في وزنها بضعة غرامات حتى بلغت ثمانين أو تسعين كيلو غرام!!

لقد كان بوسع هؤلاء ان يحوّلوا براعم وجودهم إلى دوحةٍ طيبةً ويصنعوا من

ذواتهم معيناً لا ينضب من الكمالات والحقائق، بيد ان الامور المادية قد عزّتهم ولم يهمّوا بشيء سوى بناء الجسد الحيواني، وبقوا يراوحون منذ أول يوم جاؤوا فيه إلى هذه الدنيا فقراء ناقصين، وبالرغم مما في حوزتهم من اعمال وتجارة ومراكز ادارية واموال وثروات وعيال وذراري إلّا انهم ناقصون.

وبسبب نقصهم فهم مضرون، إذ انهم يرتكبون ما شاؤوا من المعاصي والموبقات، فيتجاوزون على حقوق الآخرين ولا يتورعون عن ارتكاب المظالم، وفي الوقت الذي يقتاتون على مائدة الانعام الالهي يضعون أيديهم بيد اعداء الله، أي شياطين الجن والانس دون حياد وعلى كافة الاصعدة.

نقرأ في رواية عن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) ما يلي:

«من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرّهما فهو ملعون، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه فهو في نقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خيرٌ له من الحياة»[1].

وثمة رواية أخرى عن الامام الصادق (عليه السلام) مقاربة في مضمونها إلى الرواية المتقدمة وردت في الكتب الشيعية المعتبرة[2].

وفي رواية أخرى عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) نقرأ:

«الكاسب حبيب الله».

لا شك في ان ارقى الكسب وافضل التجارة يتمثل في كسب الفضائل والحقائق والمبادرة إلى التزود من المعارف الالهية والكمالات والمحاسن الأخلاقية والانسانية.

والكاسب في مثل هذه المجالات يعد حبيب الله، هذه المنزلة التي حازها

١ ـ البحار: ٣٢٧/٧٨، البحار: طبعة بيروت ٣٢٧/٧٥.

٢ ـ البحار: ١٧٣/٧١.

رسول الله (ﷺ)، ويصبح وجـوده زاخـراً بـالعظمة ويـتحول إلى مـخلوقٍ بـالغ الاهمية.

هيا بنا كي نتحرز عن النقصان ونجنب انفسنا ان يتساوى يومانا وان لا نقنع بالقليل من الكمال، اذ من قلَّ نصيبه من الامور المعنوية والنمو العقلي والكمال الاخلاقي والعملي فهو ملعون ومغبون وخفيف الميزان عند الحساب، وبـالتالي فهو مستحق للعذاب، أما من ثقلت موازينه المعنوية أو بتعبير آخر ثـقل ايـمانه واخلاقه وفعله فهو الفائز والناجي.

وفي هذا المجال تأمّلوا هاتين الآيتين:

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾.[1]

سبيل الكمال

في القرآن الكريم وضمن دعوته تعالى كافة البشر إلى سلوك طريق الكمال، يوصيهم سبحانه باستحصال امرين مع مراعاة الشـروط الاسـرية والانسـانية، والأمران هما: سلوك سبيل الحياة المادية وسلوك سبيل الحياة المـعنوية، وقـد جرى بيانهما على مدى اربع آيات من سورة آل عمران، اذ يقول تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَامِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ ٱلْمَآبِ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ

١ ـ الاعراف: ٨و٩.

يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ * ٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾(١).

وقد جاء فعل «زُيِّنَ» في الآيه الكريمة مبنيٌّ للمجهول، وايراده بهذا النحو ربما كان لبيان اهمية الفعل وعظمته، وعليه ينبغي القول ان الفاعل هو الله سبحانه، فهو تعالى الذي سخّر هذه الأشياء للبشركي يركنوا ويرغبوا إليها بما تقتضيه رغبتهم، ومن خلال ذلك ينطلقون نحو بناء حياتهم عن طرق التزاوج وكسب المال وتسخير الحيوانات وعماره الأرض، وبذلك يصلون إلى مرامهم بالانتفاع من الحياة المادية هذا من جهة، ومن جهة أخرى التزود بالتقوى والايمان والتضرع والخشية من العذاب الاخروي والسعي لكسب الصبر والصدق، والتعبد والانفاق والاستغفار كي ينالوا جنان الخلد ورضوانٍ من الله والحور العين.

على اية حالٍ، على ضوء ما ورد في القرآن الكريم، فإنّ ما تتميز به المرأة من نعومة وجمال الصورة والحياء والصوت الرقيق والاناقة الاخاذة، كل ذلك يضفي عليها جمالاً يخطف فؤاد الرجل ويجذبه نحوها واثارة شهوته، ويعد سبباً مهماً في تبلور الرغبة لديه فيالزواج وبناء الحياة الزوجية وانجاب الذرية، والسعي والنشاط للعمل في الحقول التجارية والزراعية من أجل تأمين الجانب المادي من حياته واستمرار الكيان الأُسري، وإذا ما اقترن ذلك بالالتزام التقوى والورع عن المعاصي، وصاحبه الايمان وزيّنته المناجاة والتحلي بالصبر والصدق والعبادة والانفاق والاستغفار بالاسحار، فإنّ ذك يعني ضمان السعاد بشقيها الدنيوي والأُخروي والخير بركنيه المادي والمعنوي، وسيحظى الانسان

١ ـ آل عمران: ١٤ ـ ١٧.

بمتع الدنيا ونعم الآخرة، والأهم من ذلك الفوز بالرضوان الابدي من لدن الباري جلّ وعلا.

طريقة اختيار الزوج في الاسلام

تختلف طريقة اختيار الزوج عند الاديان أو المذاهب التي فقدت رونقها أو طابعها الالهي، أو أنّها لم تكن تتسم بالصبغة الالهية منذ البداية، عنها في ظل الاسلام.

فالاسلام لا يسمح للمسلم بأن يتزوج مَنْ يشاء، كما لا يجيز للمرأة المسلمة الاقتران بمن شاءت، فعند اختيار الزوج ينبغي الاخذ بنظر الاعتبار تحقيق خير الدنيا والآخرة والسعادة حاضراً ومستقبلاً، والمحافظة على الانسان طاهراً من الادران، وصيانة الحياة من الممارسات الشيطانية، ففي نظر الاسلام ليست الشهوة والمتعة واللّذة الجسمية والمادية هي المقصود الجوهري من الزواج، بل ان الهدف الذي يرمي الاسلام إلى تحقيقه من وراء عملية الزواج هو المحافظة على تدين الرجال والنساء وبناء بيتٍ الهي وانجاب الذرية الصالحة وضمان رضى الحق تعالى، من هنا فإنّ الزواج في هذا الاطار والتودد للزوجة وقضاء الحاجة الجنسية بالمستوى الذي تقتضيه رغبة الزوج والزوجة ورعاية الحقوق المتبادلة وانجاب الاولاد وتربيتهم وانجاز الواجبات الضرورية والعمل والسعي لتوفير السكن والملبس والطعام للزوجة والأولاد، كل ذلك يعتبر في عداد العبادة، وقد كُتب الاجر الجميل والثواب الجزيل للمرء في كلّ خطوةٍ يخطوها على هذا الطريق.

هنا تتضح العلّة في تأكيد الاسلام على الكفاءة، وهذا ما يدفع الانسان إلى الاذعان بكل وجوده ازاء الضوابط التي يحددها الاسلام في الزواج ويعترف بان

السنة الفتنة ستستعر في جميع مرافق الحياة إذا لم تراع هذه الضوابط ويتحول الجو الأسري إلى جوٍّ يعصف بالمتاعب والمنغصات والمحن والمكابدات وينتهي الأمر إلى الطلاق أو تجرع المرارة إلى الأبد أو إلى الجنون أو انتحار أحد الطرفين فيما أذا افتقد لقابلية التحمل.

عليكم الابتعاد عن المرأة التي لا تعينكم على ارتقاء سلَّم الكمال الفكري والعقلي ولا تعينكم على تسلق مدارج الكمال من خلال التحلّي بالايمان والأخلاق والتقوى، وتجنب الاقتران بالمرأة التي ولدت في بيتٍ بعيد عن عبادة الله وتوحيده والأخلاق والتقوى ولا تجلب للرجل سوى الافتتان والفساد والغواية والهلكة.

ثمة رواية مهمة للغاية عن الامام الباقر (ﷺ) في هذا المجال:

«مرّ رسول الله على نسوةٍ فوقف عليهن ثمّ قال: ما رأيتُ نواقص عقول ودينٍ أذهبَ بعقول ذوي الالباب منكنَّ، اني قد رأيتُ انكنَّ اكثر اهل النار عذاباً فتقربنَ إلى الله ما استطعنَ...»[١].

وقال الامام الصادق (ﷺ):

«أغلبُ الاعداء للمؤمن زوجة السوء»[٢].

وجاء في رواية اخرى:

«أول ما عُصي الله بستٍّ خصال: حبُ الدنيا، وحب الرئاسة، وحب النوم، وحب النساء، وحب الطعام، وحب الراحة»[٣].

من هنا عليكم الالتزام بما فرضه الاسلام من ضوابط في مسألة اختيار

١ـ الوسائل: ابواب مقدمات النكاح.

٢ـ البحار: ٢٤٠/١٠٠.

٣ـ الوسائل: أبواب مقدمات النكاح، الباب ٤ والبحار: طبعة مؤسسة الوفاء ٢٢٥/١٠٠.

الزوج، تلك الشروط التي ساتطرق اليها من خلال ايراد الروايات الواردة، والسعي ان لا يكون الجمال وحب الزواج والتعلق بأموال المرأة وثروتها دافعكم الوحيد في الزواج.

عن جعفر بن محمد الصادق (ﷺ) انّه نهى ان ينكح الرجل المرأة لمالها أو لجمالها، وقال:

«مالها يطغيها وجمالها يغويها، فعليك بذات الدين»[١].

وفي رواية، قال (ﷺ):

«ان كان الشؤم في شيء ففي النساء»[٢].

نعم، فالمرأة التي لا تتحلى بالمعرفة والايمان والأخلاق الفاضلة وحسن المعاملة والوقار والكرامة تعتبر مصدر شقاء للرجل وسبباً في انحراف الحياه وهلاك الرجل.

وقال (ﷺ) أيضاً:

«شرّ الاشياء المرأة السوء»[٣].

قصة مدهشة

جاء في تفسير أبي الفتوح الرازي: ان شاباًكان يرتقي المأذنة للاذان في أحد المساجد، وذات يومٍ ادار ببصره نحو المنازل المحيطة بالمسجد والقى عليها نظرة ـ النظرة التي حرمها الاسلام حرصاً على مصلحة الانسان وحفاظاً عليه من الافتتان بالحرام ـ فوقع بصره على شابةٍ في أحد البيوت ذات جمالٍ وحُسنٍ

---

١ ـ مستدرك وسائل: النكاح الباب ١٣.

٢ ـ البحار: ٢٢٧/١٠٠.

٣ ـ نفس المصدر.

فافتتن بها، وبعد فراغة من الاذان توجه نحو تلك الدار وطرق الباب ففتح صاحب الدار الباب فبادره الشاب: الا تزوجني ابنتك؟ فإنّا ارغب بالزواج منها، فقال له الرجل: نحن من النصارى، فلو دخلت في ديننا زوجتك ابنتي.

فقبل الشاب ذلك الشرط اذ انّه افتتن بالجمال واهمل شرط الكفاءة في اختيار الزوجة وجعل من النظرة والشهوة والجمال دليلاً له في أمر الزواج، وخرج من الاسلام إلى الشرك، وفي يوم عقد قرانه من تلك البنت هوى من أعلى سلّم الدار إلى الارض فهلك.

ضوابط اختيار الزوجة

١ ـ من الضروري ان توفر العوائل اسباب اللقاء بين الخطيبين قبل الزواج، ولا يلزم في هذه الحالة اجراء صيغة العقد، وهذا ما اجازه الاسلام، ولا يرى الفقه الاسلامي مانعاً لحصوله، فهذا اللقاء ضروري بالنسبة لهما كي يتعرف كلٌّ منهما على الكمالات والعيوب الظاهرية للآخر، ومن ثم اتخاذ القرار بالاضافة إلى سد الطريق امام الاشكالات والمؤاخذات التي قد تحصل بعد الزواج.

وبطبيعة الحال ينبغي ان تكون النية من هذا اللقاء الزواج، وان يُحتمل القبول أو عدمه كي تحافظ اجواء العملية على طهارتها ونقائها.

تأملوا الروايات الواردة بهذا الصدد:

قال النبي (ﷺ) للمغيرة بن شعبة وقد خطب امرأة: «**لو نظرت إليها فإنّه أحرى ان يدوم بينكما**».

وقال محمد بن مسلم:

سألت أبا جعفر الباقر (عليه السلام) عن الرجل يريد ان يتزوج المرأة اينظر اليها؟ قال: نعم

انما يشتريها باغلى الثمن[1].

ويقول حسن السري:

قلتُ لأبي عبدالله(عليه السلام) الرجل يريد أن يتزوج المرأه يتأملها وينظر إلى خلفها وإلى وجهها؟ قال نعم لا بأس ان ينظر الرجل إلى المرأة إذا اراد ان يتزوجها ينظر إلى خلفها وإلى وجهها[2].

وقال رجل للامام الصادق (عليه السلام):

اينظر الرجل إلى المرأة يريد تزويجها فينظر إلى شعرها ومحاسنها، قال: لا بأس بذلك إذالم يكن متلذذاً، وفي خبر: وتقوم حتى ينظر إليها ؟ قال: نعم وترقق له الثياب[3].

وقال (صلى الله عليه وآله) لصحابي خطب امرأة:

«انظر إلى وجهها وكفيها».

مثل هذه الروايات تريد القول: ان من وقع اختياره على امرأة ما زوجة له بعد التحريات اللازمة حول اسرتها واخلاقها وايمانها، فلا مانع من ان ينظر إليها للتعرف على مزاياها البدنية من قبيل الشعر والشكل والجمال والطول اذ ربما تعاني من نقصٍ أو عيبٍ، أو انّه يشاهد فيها عيباً بعد يؤدي إلى خيبة امله أو ينتهي بهما إلى الطلاق، وهنا لا يحق له التنقل من دار إلى دار ليستعرض نواميس المسلمين أو يتفحص النساء علّه يصيب منهن إذا شاء.

٢ ـ بعد قبوله المرأة ورغبته في الزواج منها عليه ان يجعل من نيته بالاقتران منها عملاً في سبيل الله إلى جانب حسنها وجمالها وشمائلها الفاتنة، وان يسير

---

١ ـ وسائل الشيعة: ابواب مقدمات النكاح، الباب ٣٦.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر.

في هذا الطريق بنية تنفيذ الاحكام الالهية واجرأ سنة انبياء الله لا سيما الرسول الاكرم (ﷺ)، وقد وردت رواية مهمة عن رسول الله (ﷺ) بهذا الصدد أي المبادرة إلى الزواج بقصد التقرب إلى الله تعالى ونيل رضاه ـ اذ قال (ﷺ): «من نكح وانكَحَ لله استحق ولاية الله»[١].

نعم، فمثل هؤلاء ممن تشملهم الآية الكريمة:

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[٢].

ان الله سبحانه يحب الزواج والانجاب، من هنا فقد منَّ على زكريا بيحيى وعلى ابراهيم باسماعيل وهما في سنّ الشيخوخة، وخاطب رسوله (ﷺ) في احدى آيات كتابه بالقول:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾[٣].

٣ ـ ليس من الصواب الاستعجال في عملية الزواج، فقد ورد في المأثور ان العجلة من عمل الشيطان، فيجب ان تسير عملية اختيار الزوجة بدقة وتريثٍ وتأنٍ وبعد مشورةٍ واطلاعٍ كامل عنها وعن اسرتها لئلا تخدش مشاعر الطرفين ويتسبب ذلك بوقوع ازماتٍ نفسيه.

يقول الامام الصادق (عليه السلام):

«انما المرأة قلادة فانظر ما تتقلّد»[٤].

٤ ـ في الروايات الواردة في كتب الشيعة عن رسول الله (ﷺ) وآله الطاهرين (عليهم السلام) جرى بيان مزايا المرأة الجديرة بان تكون زوجة للرجل المؤمن

---

١ ـ المحجة البيضاء: ٥٤/٣.

٢ ـ البقرة: ٢٥٧.

٣ ـ الرعد: ٣٨.

٤ ـ البحار: ٢٣٢/١٠٠ طبعة مؤسسة الوفاء.

أو الشاب المسلم.

قال رسول الله (ﷺ):

«إذا أراد أحدكم ان يتزوج المرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها فإنّ الشعر أحدُ الجمالين»[١].

٥ ـ ١٣ ـ قال جابر بن عبدالله الأنصاري: كنا جلوساً مع رسول الله (ﷺ) فذكرنا النساء وفضل بعضهن على بعض، فقال رسول الله (ﷺ): **«الا أخبركم؟ قلنا بلى يا رسول الله اخبرنا، فقال: ان من خير نسائكم الولود الودود، الستيرة العزيزة في أهلها الذليلة مع بعلها المتبرجة مع زوجها الحصان عن غيره التي تسمع قوله وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها ولم تبذل له تبذّل الرجل»**.

١٤ ـ ١٨ ـ قال أمير المؤمنين (ع):

«خير نساءكم الخمس فقيل ما الخمس، قال: الهيّنة الليّنة المواتية التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمضٍ حتى يرضى، والتي إذا غاب زوجها حفظتهُ في غيبته فتلك عاملة من عمّال الله لا تخيب».

١٩ ـ قال الامام الباقر (ع):

«أتى رجلٌ رسول الله (ﷺ) يستأمره في النكاح فقال (ﷺ): نعم إنكح وعليك بذوات الدين تَرِبَتْ يداك، وقال: انما مثل المرأة الصالحة مثل الغراب الاعصم الذي لا يكاد يُقدر عليه، قال: وما الغراب الاعصم؟ قال: الابيضُ احدى رجليه».

٢٠ و ٢١ ـ عن ابراهيم الكرخي قال: قلتُ للامام الصادق (ع) إن زوجتي ماتت وكانت لي زوجة صالحة وقد هممت أن أتزوج فقال: **«انظر اين تضع نفسك ومَنْ تشركه في مالك وتُطلعه على دينك وسرّك وامانتك فإنّ كنتَ لابدّ فاعلاً فبكراً تُنسب**

---

١ ـ الحبار: ١٠٠/٢٣٧.

إلى الخير وإلى حسن الخلق»[١].

٢٢ ـ قال رسول الله (ﷺ):

«ان من القِسم المصلح للمرء المسلم ان تكون له امرأة إذا نظر اليها سرَّته وان غاب عنها حفظته وان امرها اطاعته».

٢٣ ـ قال رسول الله (ﷺ):

«أفضل نساء امتي اصبحهنَّ وجهاً واقلهنَّ مهراً»[٢].

٢٤ ـ عن أمير المؤمنين (ع): «أن رسول الله (ﷺ) قال: أخبروني أيُّ شيء خيرٌ للنساء؟ فقالت فاطمة (ع): **أن لا يرينَ الرجال ولا يراهنَّ الرجال، فاعجب النبي(ﷺ) وقال: ان فاطمة بضعةٌ مني»**[٣].

٢٥ و٢٦ ـ قال الصادق (ع):

«خير نسائكم التي أن أُعطيت شكرت وان مُنعت رَضيتْ»[٤].

٢٧ ـ ٣٠ ـ قال الصادق (ع):

«خير نسائكم الطيبة الريح، الطيبة الطبيخ التي إذا انفقت بمعروف، وإذا امسكت امسكت بمعروفٍ، فتلك عامل، من عمال الله، وعاملُ الله لا يخيب ولا يندم».

٣١ ـ قال رسول الله (ﷺ):

«اعظم النساء بركة ايسرهنَّ مؤونة».

٣٢ ـ ٣٤ ـ قال أمير المؤمنين (ع):

«خيار خصال النساء شرار خصال الرجال، الزهو والجبن والبخل فاذا كانت المرأة

---

١ ـ البحار: ٢٣٢/١٠٣.

٢ ـ البحار: ٢٣٦/١٠٠.

٣ ـ البحار: ٢٣٨/١٠٠.

٤ ـ البحار: ٢٣٩/١٠٠.

ذات زهو لم تمكّن من نفسها، وإذا كانت بخيلةً حفظت مالها ومال بعلها وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها»[١].

٣٥ ـ ٣٨ ـ قال رسول الله (ﷺ):

«تزوجوا الابكار فإنّهنَّ اعذب افواهاً، وارتقُ ارحاماً، واسرعُ تعلُّماً، واثبت للمودة»[٢].

٣٩ و ٤٠ ـ قال الصادق (عليه السلام):

«خير نسائكم التي إذا خلت مع زوجها خلعت له درعَ الحياء، وإذا لبست لبست درع الحياء».

هذه هي الخصال التي لابدّ من توفرها في المرأة والزوجة المؤمنة، ويترتب على الشاب المسلم البحث عن هذه الخصال اثناء اقباله على الزواج، واتخاذ من توفرت بها الشروط قدر الامكان زوجةً له وأُماً لذريته، والسعي في أن لا يقع في قبضة التشدد غير المبرر والوسوسة اثناء اختياره للزوجة، فالوسوسة والتحري الزائد عن الحد يعقّد الامور وينتهي بعملية الزواج إلى طريق مسدود.

---

١ ـ البحار: ١٠٠/٢٣٨.

٢ ـ البحار: ١٠٠/٢٣٧.

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾

الفرقان / ٧٤

١٠

سنن التزويج في الاسلام

التباحث حول الزواج

ثمة ترتيبات متبعة بين المسلمين بالنسبة للزواج، فبعد الفراغ من التحريات الضرورية يجلس ذو وكلٍّ من الرجل والمرأه للتباحث حول المهر ومراسيم عقد القرآن والزفاف.

ينبغي ان ينصب سعي الأُسر على تقديم الاجابة الصحيحة عن الاسئلة والاستفسارات التي تطرح حول العريسين والتي تأتي في اطار الشرع المقدس وما يقره العقل.

يجب عليهم بيان السن الحقيقي لكلٍّ من الرجل والمرأة، وعمل الرجل ودخله واخلاقه وسلوكه ومنهجه في الحياة ومن يعاشره، وبيان مستواه العلمي بكل صدق وصراحة، والتصريح بما يعانيه من عيبٍ، فربما يمكن التغاضي عن ذلك العيب، كما ينبغي لاسرة المرأة ابداء ما بوسعهم من صدقٍ وانصافٍ بالاجابة على الاسئلة التي تطرح بشأنها وان لا يستوحشوا الصدق في القول، حيث ان بيان جميع المعلومات الضرورية من شأنه سدّ الطريق امام كافة المؤاخذات التي قد تحصل لا حقاً ويمنع وقوع أي ازمةٍ أو اختلافٍ أو فراقٍ في المستقبل ويحول دون تدهور العلاقات بين الاسرتين واثارة القيل والقال بينهما.

وعلى هذا الصعيد يعتبر اللجوء إلى المكر والحيلة والخداع وسلوك سبيل التزوير والتدليس واخفاء العيوب، عملاً منافياً للاخلاق ومحرماً شرعياً وذنباً لا يغتفر، وهو بمثابة النار التي سيعمي دخانها في نهاية المطاف عيون الزوج

والزوجة ومن ثم عيون ذويهما.

فيما سيؤول الصدق والصراحة إلى صيانة كلتا الاسرتين من الازمات والعواقب الوخيمة والمصائب ويمهد السبيل امامهما من اجل اتخاذ القرار الصائب ويكون سبباً في فلاحهم ونجاحهم جميعاً.

وطالما أدى التدليس والخداع والمكر والتحايل إلى انهيار عقد النكاح واسقاط المهر أو فسخ العقد قبل الزواج وهذا حقٌ منحه الاسلام للطرف المغبون.

وقد نهى القرآن الكريم والسنّة المقدسة عن ممارسة الخداع والمكر والتدليس، وفي كليهما ورد التأكيد على استحقاق المخادع للعذاب الالهي في الدنيا والآخرة.

يقول (ﷺ):

«ليس منا مَنْ ماكر مسلماً»[١].

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«المكر بمن ائتمنك كفرٌ»[٢].

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«مَنْ مكرَ حاق به مكرهُ»[٣].

وفي الخطبة ١٩٣ من نهج البلاغة يقول (عليه السلام) واصفاً المتقي:

«ولا دنوه بمكرٍ وخديعة».

وقال النبي (ﷺ):

---

١ ـ البحار: ٧٥/٢٨٥.

٢ ـ ميزان الحكمة: ١٦٦ ـ ١٦٧.

٣ ـ ميزان الحكمة: ١٦٦ ـ ١٦٧.

«المكر والخديعة والخيانة في النار».

وعنه (ﷺ) أيضاً:

«من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع فإني سمعت جبرئيل يقول: ان المكر والخديعة في النار».

وقد وردت تفاصيل المسائل المتعلقة بالتدليس واخفاء عيوب الرجل والمرأة وممارسة الخداع والتحايل، وباختصار، ما يبرى ذمة الرجل أو المرأة عن مواصلة الحياة الزوجية، أو الطلاق، أو ترك المرأة دون طلاقها أو الزام الرجل بالمهر، أو اسقاط المهر والصداق، كل ذلك ورد في الصفحة ٣٦١ وما يليها من الجزء المائة من كتاب بحار الانوار طبعة مؤسسة الوفاء، وفي ابواب النكاح من الرسائل العملية لمراجع الدين.

وجوب دفع المهر

بعد التباحث بين الاسرتين أو الخطيبين يتعين عليهم التوصل إلى اتفاقٍ حول الصداق وفقاً للقواعد الشرعية بنحو لا يكون في الأمر افراط ولا تفريط.

وبطبيعة الحال، كلما أُبدي التسامح في المهر وكان عند حد الاعتدال كان مبعثاً لمزيد من رضا الباري تعالى، وقد أكد ائمة المسلمين على عدم التعنت في مسألة المهر بغية التمهيد لتزويج الابناء والبنات بيسر وسهولة.

على الأُسر ان لا تتصور بأن غلاء المهر يعد سبباً في استحكام الحياة الزوجية واستمرارها، فما اكثر النساء من ذوات المهر الغالي قد عدنَ إلى بيوت آبائهن بخفي حنين تخيم عليهن الذلّة وفقدنَ ما كنَّ به من استقرار روحي.

عليكم الاعتماد في هذه الامور على فضل الله ورحمته، والاحتراز عن كل ما من شأنه إثارة المتاعب والشعور بالصغار والمهانة لدى احد الطرفين.

وإذا ما اتفقوا على المهر وجرى تحديد مقداره بعد موافقة الطرفين الرئيسيين، أي العريس والعروس، عند اجراء صيغة العقد يتعين على الزوج دفع نصف مبلغ المهر فيما يؤجل النصف الآخر كدين في عنقه إلى ما بعد الزواج والدخول بالزوجة، اما إذا دفعه اثناء اجراء عقد النكاح حينذاك تبرأ ذمته وتكون الزوجة قد حصلت على حقها شرعاً وقانوناً.

على الشباب الالتفات إلى ان دفع المهر واجبٌ ويحرم الامتناع عن ادائه.

ان وجوب دفع المهر يعد حقيقة ورد التصريح بها في القرآن الكريم في الآيات ٢٣٦ ـ ٢٣٧ و ٢٤١ من سورة البقرة، والآية ٤ من سورة النساء والاية ٢٧ و ٢٨ من سورة القصص والاية ٤٩ من سورة الاحزاب مما لا يفسح المجال امام أيٍّ كان لا جحاف المرأة حقها في هذا المجال وغيره من المجالات.

قال رسول الله (ﷺ):

«من ظلم امرأةً مهرها فهو عندالله زانٍ، يقول الله عزوجل يوم القيامة: عبدي زوجتك أمتي على عهدي فلم توفِ بعهدي وظلمتَ أمتي فيؤخذ من حسناته فيدفع اليها بقدر حقها، فاذا لم تبقَ له حسنة أُمر به إلى النار بنكثه للعهد إن العهد كان مسؤولاً»[1].

ويقول الامام الصادق (عليه السلام):

«السرّاق ثلاثة: مانع الزكاة، ومستحل مهور النساء، وكذلك من استدان ولم ينوِ قضاءه»[2].

وعن الرضا (عليه السلام) عن ابائه عن رسول الله (ﷺ):

«ان الله تعالى غافرٌ كلّ ذنب إلا من جحد مهراً أو اغتصب أجيراً اجره، أو باع رجلاً

١ ـ البحار: طبعة مؤسسة الوفاء: ١٠٠/٣٤٩.

٢ ـ نفس المصدر.

حراً»(١).

وقال الصادق (عليه السلام):

«اقذر الذنوب ثلاثة: قتل البهيمة، وحبس مهر المرأة، ومنع الاجير اجره»(٢).

وقد تواترت التوصيات من لدن ائمة المسلمين إلى النساء فيما إذا رأينَ الاجواء مناسبة للتنازل عن المهر لازواجهن فلا يتقاعسنَ عن الارتقاء إلى هذه المرتبة الاخلاقية السامية التي تنم عن الجود والكرم والسخاء والعظمة.

في رواية عن النبي (صلى الله عليه وآله) انّه قال:

«ما منْ امرأة تصدقت على زوجها بمهرها قبل ان يدخل بها الاّ كتب الله لها بكلّ دينار عتقَ رقبةٍ، قيل يا رسول الله فكيف الهبة بعد الدخول؟ قال: انما ذلك من المودة والالفة»(٣).

جهاز العروس

هنالك سنّة سائدة بين المسلمين تتلخص في مبادرة ولي أمر العروس إلى اعداد جهاز فلذة كبده تعبيراً عن ابوته نحوها ومحبة الاسرة لها.

على اسرتي كل من العريس والعروس الالتفات إلى ما يلي: ينبغي للعريس وعائلته ان لا يغفلوا التزام القناعة التي تعد من خصال الانبياء والاولياء والميزة التي تحظى برضى الحق تعالى، وان ينظروا بعين القناعة والرضا والاهتمام ألى ما اعدته اسرة العروس بما تمكنت عليه ووسعته طاقتها، لئلا يحدث ما من شأنه التقريع والاستصغار والتحامل على حيثيات الآخرين، ويتعين على ولي أمر

١ـ البحار: ١٠٠/٣٥٠ـ٣٥١.

٢ـ البحار: ١٠٠/٣٥١.

٣ـ البحار: ١٠٠/٣٥١.

الزوجة مراعاة ظروفه والتقيد بمكانته الاجتماعية حين اعداده للجهاز، هذا من ناحية، وتجنب الاسراف من ناحية اخرى إذ ان الله لا يحب المسرفين.

فلا ضرورة تستدعي اعداد جهازٍ مكلّفٍ يضم اثاثاً غالياً وسلعاً نفيسةً بحيث تخرج تكاليف الجهاز عن الحدود الشرعية والعقلية فيترتب على ذلك ديون تقصم الظهر.

ولابد بهذا الصدد من تجنب تقليد الآخرين وتتبع ما ارتكبوه من اسرافٍ ولا تعملوا على اثارة الطمع لدى الشباب بالجهاز الغالي فينصب همهم بالبحث عمَّن يتمتع أباؤهن بالثروة الطائلة، وبذلك تثار المتاعب والمشاكل امام الآخرين في هذا المجال، فكل ذلك يعد منافياً للمبادىء الانسانية ومدعاةً للغضب الالهي وسبباً لحلول العذاب يوم يقوم الناس لرب العالمين.

عليكم اعداد الجهاز من المال الحلال والطاهر حيث من شأن ذلك ضمان صحة ما يؤديه العريسان من عبادات بالملابس المشتراة لهما والفراش والبيت المعد لهما.

فلا توقعوا انفسكم في المتاعب نتيجة الطموحات العريضة التي يعيشها ابناؤكم، ولا تفتحوا امامكم ـ بسببهم ـ باب العذاب والعقاب يوم القيامة.

المثل الالهي في جهاز العروس

يروي العلامة المجلسي «ﷺ» في مصنفه النفيس بحارالانوار في تاريخ سيدة النساء فاطمة الزهراء (ﷺ) ان علياً لما خطب فاطمة (ﷺ) لم يكن يملك شيئاً غير سيفه ودرعه وناضحه، فقال له (ﷺ): قم فبع الدرع، قال (ﷺ): فقمتُ فبعته واخذت الثمن ودخلتُ على رسول الله (ﷺ) فسكبتُ الدارهم في حجره، فلم يسألني كم هي ولا انا اخبرته، ثم قبض قبضة ودعا بلالاً فاعطاه فقال: ابتع

لفاطمة طيباً، ثم قبض رسول الله (ﷺ) من الدراهم بكلتا يديه فاعطاه ابابكر وقال: ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب واثاث البيت، واردفه بعمار بن ياسر وعدّة من اصحابه.

فحضروا السوق فكانوا يعترضون الشيء مما يصلح، فلا يشترونه حتى يعرضوه على ابي بكر فإن استصلحه اشتروه.

فكان مما اشتروه:

١ ـ قميص بسبعة دراهم.

٢ ـ خمار باربعة دراهم.

٣ ـ عباءة خيبرية.

٤ ـ سرير مزمل بشريط.

٥ ـ فراشين من خيش مصر حشو احدهما ليف وحشو الآخر من جزّ الغنم.

٦ ـ اربع مرافق من ادم الطائف حشوها اذخر.

٧ ـ ستر من صوف.

٨ ـ حصير هجري.

٩ ـ رحى لليد.

١٠ ـ مخضب من نحاس.

١١ ـ سقاء من آدم.

١٢ ـ قعب للبن.

١٣ ـ شن للماء.

١٤ ـ مطهرة مزفتة.

١٥ ـ جرّة خضراء.

١٦ ـ كيزان خزف.

فلما عرض المتاع على رسول الله (ﷺ) جعل يقلّبه بيده ويقول: بـارك الله لاهل البيت[1].

يقول (ﷺ) في كتابه: كان ذلك جهاز بنت مَنْ يدانيه أحد بالهيبة والمحبّة لدى الخلق، وكان اصحابه يفدونه بالارواح والقلوب لا بالذهب والفضة، غير انّه لم يجعل صهره يغرق بالديون ولم يغرف من بيت مال المسلمين لاقامة مظاهر الزينة الزائقة إذا إنه موظف لاعانة المساكين واليتامى والمصالح العامة، ولم يبالغ فـي تكاليف الزواج كي ينجو الاخرون من المتاعب والمنغصات على مر التاريخ من خلال الاقتداء به (ﷺ).

والأهم من ذلك كله، ما اتسم به فعله من بساطة وصلاح وصدق واخلاص، فعندما وجد نفسه عاجزاً عن اعداد جهاز ابنته، أمر صهره ان يبيع الدرع لاعداد اثاث المنزل بثمنه، ولم ير في ذلك مدعاةً لخجله وضعته، فيما لم يُبد الصهر ايَّ اعتراضٍ على ذلك ولم تساوره ازاء ذلك.

فكانت حصيلة ذلك الزواج احد عشر اماماً معصوماً، وثمرتها امتدت مـنذ ذلك الحين حتى عصرنا الحاضر فاينعت الآلاف من الفقهاء والعلماء والحكـماء والشعراء والعارفين والمؤمنين، ذلك الزواج الذي لا نظير له مـن حـيث البـركة والخيرات على مدى تاريخ البشرية.

الدعاء عند الزفاف

تعتبر المناجاة والدعاء والتضرع والتوسل لله تعالى من الاعمال الحسنة ومن العبادات في جميع الاوقات.

١ ـ البحار: ٩٤/٤٣.

ومن بين الاوقات التي يستحب فيها الدعاء ومد الايدي نحو الحق تعالى، هو قبيل المبادرة إلى الزواج، ففيه يكون الدعاء اقرب للاجابة، و تتوفر القاعدة لتحقق الطموحات المشروعة.

يقول أمير المؤمنين:

اللهم ارزقني زوجة صالحة. ودوداً، ولوداً، شكوراً، قنوعاً، غيوراً، إن احسنت شكرت، و ان اسأتُ غفرت، و ان ذكرتُ الله تعالى اعانت، و ان نسيتُ ذكرت، ان خرجتُ من عندها حفظت، وان دخلت عليها سرَّت، وان امرتها اطاعتني وان اقسمتُ عليها أبرَّت قسمتي، وان غضبتُ عليها ارضتني ياذاالجلال والاكرام هب لي ذلك فإنّما اسألك ولا أجدُ إلا ما قسمت لي، فمن فعل ذلك اطاه الله ما سأل.

آداب الزواج واوقاته

يعتقد البعض من العوائل ان مراسم العقد والزواج تعتبر متنفساً للقيام بما تمليه شهواتهم وغرائزهم، إذ يبادر أبناؤهم واستجابة لرغبات الآباء أو المحيطين بالعريسين والاقارب إلى ارتكاب ما حرّم الله متوهمين ان ذلك يضفي على الحفل اجواءً من السعادة والاستمتاع، في الوقت الذي ينبغي أن تقترن مراسم عقد القران والزفاف بالوقار وصيانة الكرامة والشخصية، بعيداً عن المحرمات والمعاصي واسباب إثارة الشهوات، كي تكون سبباً في نزول الرحمة الالهية ووسيلة لهبوط البركة.

وبطبيعة الحال لا بأس من ان تشيع مظاهر الفرح والسرور على أجواء العقد والزفاف وان لا تُغفل المشوقات المباحة كالترانيم بصوت حسنٍ والاعمال المسلّية والمثيرة للسرور.

فليس هنالك مانعٌ شرعي من قراءة التواشيح الدينية والاناشيد الهادفة والاشعار المسلّية التي عادةً ما تروج بين نساء المسلمين في مثل هذه المحافل ومن المتعارف عليه ايضاً السهر فيها، فقد ورد عن الرسول الاكرم (ﷺ)!

«لا سهر الاّ في ثلاث: تهجّد بالقرآن، أو طلب علم، أو عروس تهدى إلى زوجها»[1].

والاسلام يفضل ان يقع الزفاف ليلاً كما هو الحال في زفاف الزهراء (عليها السلام).

عن جابر الانصاري قال:

لما زوّج رسول الله (ﷺ) فاطمة من علي (عليه السلام) اتاه اناسٌ من قريش فقالوا: انك زوجت علياً بمهرٍ خسيس، فقال: ما انا زوجتُ علياً ولكن الله زوّجهُ ليلة أُسري بي عند سدرة المنتهى، اوحى الله عزوجل إلى السدرة ان انثري ما عليك فنثرت الدر والجوهر على الحور العين فهنَّ يتهادينه ويتفاخرن به ويقلنَ: هذا من نثار فاطمة بنت محمد (ﷺ).

فلما كانت ليلة الزفاف اتى النبي (ﷺ) ببغلته الشهباء وثنى عليها قطيفة وقال لفاطمة (عليها السلام) اركبي، وأمر سلمان رحمة الله عليه ان يقودها والنبي (ﷺ) يسوقها فبينا هو في بعض الطريق إذ سمع النبي (ﷺ) وجبة فإذا هو بجبرئيل (عليه السلام) في سبعين الفاً، وميكائيل في سبعين الفاً، فقال النبي (ﷺ): ما اهبطكم إلى الارض؟ قالوا: جئنا نزف فاطمة إلى زوجها، وكبّر جبرئيل وكبّر ميكائيل وكبّرت الملائكة وكبّر محمد (ﷺ) فوضع التكبير على العرائس من تلك الليلة[2].

نعم، يتعين ان تقام مراسم الزفاف وليلة الفرح بنحوٍ يكون مدعاةً لهبوط ملائكة الله عزوجل.

١ـ البحار: ٢٦٧/١٠٠.

٢ـ البحار: ٢٦٦/١٠٠.

قال الصادق (ﷺ):

«زفّوا عرائسكم ليلاً».

وقال الرضا (ﷺ):

«من السنّة التزويج بالليل لان الله جعل الليل سكناً والنساء انّما هنّ سكنٌ».

ورد في الرواية:

انّه صلّى الله عليه وآله أمر بنات عبدالمطلب ونساء المهاجرين والانصار ان يمضينَ في صحبة فاطمة وان يفرحن ويرجُزنَ ويكبِّرن ويحمدن ولا يقولَنَّ ما لا يرضي الله.

ويستحب في الاسلام اطعام الحاضرين ممن تجشموا عناء استجابة الدعوة والموجهة اليهم من اسرتي العريسين.

قال رسول الله (ﷺ):

«لا وليمة الاّ في خمس: في عُرسٍ، أو خُرسٍ، أو عذار، أو وكار أو ركاز، فالعرس التزويج، والخرس النفاس بالولد، والعذار الختان، والوكار الرجل يشتري الدار، والرّكاز الرجل يقدم من مكة».

يروى ان رسول الله (ﷺ) قال لعلي (ﷺ) ليلة زواجه من فاطمة (ﷺ):

«يا علي اصنع لاهلك طعاماً فاضلاً، ثم قال: من عندنا اللحم والخبز، وعليك التمر والسمن، يقول اميرالمؤمنين(ﷺ): فاشتريت تمراً وسمناً، فحسر رسول الله(ﷺ) عن ذراعه وجعل يشدخ التمر في السمن حتى اتخذه حيساً، وبعث الينا كبشاً سميناً فذبح وخبز لنا خبزاً كثيراً وقال لي: ادع من احببت».

وقال رسول الله (ﷺ) مشيراً إلى الدعوة إلى العرس:

«إذا دعيتم إلى العُرسات فابطؤا فإنها تذكّر الدنيا، وأذا دُعيتم إلى الجنائز فاسرعوا فانها تذكّر الآخرة».

على الأُسر ان تقيم محافل عقد القران والزفاف بطريقةٍ تخلوا من كل دواعي الافساد بالنسبة للاطفال واليافعين والشباب وما يعد مشجعاً ومرغباً نحو المعاصي والرذائل، ومن ثم ليتسنى للمؤمنين رجالاً ونساءً الذين وجهت اليهم الدعوة المشاركة وهم مطمئنون مرتاحوا البال.

فالمحفل الذي يقام على ضوء الضوابط الاسلامية وتُراعى فيه الحدود الالهية يعتبر درساً للشباب ومهبطاً تنهال عليه الرحمة الالهية.

آداب الزفاف

ثمة آداب ينبغي اتباعها في الزفاف جرى بيانها من خلال آيات القرآن الكريم والروايات، ومراعاتها تصب في مصلحة العريسين وذريتهما.

وهنا نسترعي انتباهكم إلى التوصيات التي نقلتها الكتب المعتبرة عن النبي (ﷺ) وأهل بيته:

فإذا ما دخلت العروس بيتها على العريس ان يخلع خفّها ويغسل رجلها ويصب الماء من الباب إلى اقصى الدار، فإنّ الله بذلك يُخرج من الدار سبعين نوعاً من الفقر، ويُدخل سبعين نوعاً من البركة ويُنزل سبعين رحمة ترفرف على رأس العروس حتى تنال بركتها كل زاوية من البيت وتأمن العروس من الجنون والجذام والبرص ما دامت في تلك الدار.

وان تُمنع العروس في اسبوعها الاول من الالبان والخل والكزبرة والتفاحة الحامضة لما فيها من اثرٍ سلبي على الرحم ولعلها تصيبها بالعقم.

وقد قال رسول الله (ﷺ): إذا حاضت على الخل لم تطهر ابداً بتمام، والكزبرة تبور الحيض في بطنها وتشدّ عليها الولادة؛ والتفاحة الحامضة تقطع حيضها فيصير ذلك داء عليها.

وتجنب الجماع في اول الشهر ووسطه وآخره، وبعد الظهر، ويكره الكلام عند الجماع، والنظر إلى فرج المرأة ومجامعة المرأة بشهوة غيرها.

ان لا يتجامع الرجل والمرأة إلا ومع كلٍّ منهما خرقة فإنّ ذلك اقرب للوقار والاخلاق.

عدم ممارسة الجماع من قيام فإنّ ذلك من فعل الحمير.

الاحتراز عن ممارسة الجماع ليلة الفطر والاضحى وتحت الشجرة المثمرة وفي وجه الشمس وبين الاذان والاقامة وليلة الخامس عشر من شعبان وعلى سقوف البنيان، واثناء السفر.

ويستحب الجماع ليالي الاثنين والثلاثاء وليلة الخميس ويومه وليلة الجمعة وعصرها وفيه منافع مادية ومعنوية جمّة.

ففي الموارد التي منع فيها الجماع يُحتمل حدوث اضرار بالنسبة للطفل من قبيل الاصابة بالجنون والجذام والحماقة والحول والخرس والعمى والبخل والخنوثة أو الطلاق والعقم أو ان يكون الطفل ذا ستة اصابع أو أربعة، والفقر أو ان يكون الولد قتالاً أو عريفاً أو أعمى القلب أو مشوه الوجه أو معدماً.

أما الاوقات التي يستحب فيها الجماع فيحتمل ان تتحقق فيها للولد امور كثيرة من قبيل حفظ القرآن والرضا بما قسم الله أو الايمان والأمن من العذاب، أو ان يكون رحيم القلب طاهر اللسان، والكرم والسخاء، والعلم والمعرفة، والسلامة في الدين والدنيا أو بلوغ ما وصله اولياء الله.

هذه الطائفة من التعاليم لا يمكن تشخيصها بالآلات المادية أو الاجهزة الطبية، انّها حقائق اوصى بها النبي الكريم (ﷺ) إلى أميرالمؤمنين (ؑ) واوصاه

بحفظها كما حفظها هو (ﷺ) عن جبرئيل(١).

ونُهيَ عن الجماع دون ملاعبة فانه يعد ظلماً للمرأة، فيجب ان تجري المواقعة بعد مقدمات تصب في مصلحة الرجل والمرأة نفسياً وجسمياً.

قال رسول الله (ﷺ):

«ثلاثة من الجفاء: ان يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته، أو يُدعى الرجل إلى طعام فلا يجيب فلا يأكل، ومواقعة الرجل اهله قبل الملاعبة»(٢).

وقال الصادق (ع):

«ثلاث من سنن المرسلين: العطر واحفاء الشعر وكثرة الطروقة»(٣).

ويقول أمير المؤمنين (ع):

وتحرم المواقعة اثناء فترة الحيض، وتركها اكثر من اربعة اشهر بلا عذر أو دون رضىً من الزوجة موجب للغضب الالهي، وكما ان الجماع يكره في حالة الجنب.

يقول علي (ع):

«إذا اراد احدكم ان يأتي زوجته فلا يعجّلها فإنّ للنساء حوائج، إذا رأى احدكم امرأة تعجبه فليأتِ اهله فإن عند اهله مثل ما رأى ولا يجعلن للشيطان إلى قلبه سبيلاً، ليصرف بصره عنها، فإن لم تكن له زوجة فليصلّ ركعتين ويصلّي على النبي وآله ثم ليسأل الله من فضله يبيح له برأفته ما يغنيه»(٤).

ان الثواب المترتب على تلبية حاجة المرأة من الناحية الجنسية من الوفرة

---

١ ـ البحار: ١٠٠/٢٨٠، علل الشرائع: ٥١٤ـ٥١٧، امالي الصدوق ٥٦٦ـ٥٧٠.

٢ ـ البحار: ١٠٠/٢٨٥.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ البحار: ١٠٠ ٢٨٧.

بحيث يدهش المرء، فقد ورد في رواية ان النبي (ﷺ) قال لرجل:

«أصبحتَ صائماً؟ قال: لا، قال فعُدْتَ مريضاً؟ قال: لا، قال: فاتبعتَ جنازة؟ قال: لا، قال فاطعمت مسكيناً؟ قال: لا، فارجع إلى أهلك فأصبهم فإنّه عليهم منك صدقة»[1].

وينبغي تجنب المواقعة بحضور الصبي لما في ذلك من ضررٍ عليه من الناحية النفسية والاخلاقية، وربما يورثه الزنا في المستقبل كما صرح بذلك الامام الصادق عليه السلام[2]، وكذلك ينبغي تجنب الجماع على امتلاء لما في ذلك من اضرارٍ بدنية[3]، والامتناع اتيان الزوجة وهنالك رضيعٌ ينظر اليهما[4].

ما اعظم الاسلام من دين يتمتع بهذه الجوانب الاخلاقية والعاطفية والتربوية، لا سيما ما يتعلق بالمرأة وحقوقها، وادارته لمرافق الحياة باسرها، وما اعجبه من مدرسةٍ تتميز بالرؤية والبصيرة أزاء الشؤون الفردية والأُسرية والاجتماعية، وكافة الجوانب المعنوية والمادية، ولابد أن يكون كذلك لانه تجسيدٌ للوحي الالهي وعلم الله سبحانه ورؤى النبي ﷺ وأهل بيته، وليس منبثقاً عن الفكر البشري المحدود.

---

١ ـ البحار: ٢٨٧/١٠٠.

٢ ـ نفس المصدر: ٢٩٠.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ نفس المصدر: ٢٩٥.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾

البقرة / ٢٢٢

١١

الصحة في الأسرة

أهمية الصحة والنظافة في الاسلام

بعد الفراغ من مقدمات الزواج، وانطلاق الزوجين بحياتهما الزوجية عليهما الاعتناء بالجوانب التي تمثل البنية التحتية للحياة، وعدم الغفلة عنها والتقاعس ازاءها.

ومن بينها الجانب الصحي والنظافة في جميع شؤون الحياة، إذ يجب ان يحظى الجسم بالمزيد من الاهتمام في الجانب الصحي وكذا الشعر والفم والاسنان والملابس والفراش والوسائل المعيشية لا سيما ادوات الطبخ وكل ما له صلة بالحياة اليومية.

هنالك فئة من الازواج الشباب يغفلون عند بداية حياتهم الزوجية عن النظافة والصحة ويصبّون جلّ اهتمامهم على الاكل والشرب والاستمتاع بالملذّات الظاهرية، ويغيب التنظيم والانضباط والطهارة والنظافة من حياتهم، في حين ان ذلك مما ترفضه الفطرة السليمة والعقل السليم، والدين الاسلامي يرفض ذلك رفضاً قاطعاً، بل يستهجنه، ناهيك عن احتمال سيادة هذه الغفلة والفوضى على الحياة بمرور الزمن وتُصبح تهديداً لسلامة البيت واهله في جميع الجوانب الظاهرية والباطنية، لا سيما الاولاد فقد يترك اثاراً سلبية عليهم ويحولهم إلى كيانات تتصف باللامبالاة والتقاعس والوهن تمثل عبئاً على المجتمع، ويغدو وجودهم بؤرة للرذيلة والدناءة وشتى المفاسد والموبقات.

وقد عبّر تعالى في كتابه الكريم عن محبّته للذين يهتمون بطهارتهم ونظافتهم

ظاهرياً وباطنياً ويولون العناية لصحة ابدانهم وارواحهم، ويحافظون عليها من الادران على اختلاف انواعها، إذ يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(١).

ان الاسلام يعتبر لا نظير له بين سائر الاديان في اهتمامه بالطهارة والنظافة والصحة على كافة الاصعدة. والقوانين الصحية لهذه المدرسة التي تربو على الخمسة آلاف قانون والتي جاء جانبٌ منها في الجزئين الاول والثاني من وسائل الشيعة، تفوق القوانين الصحية باسرها، وهي تثير الدهشة في ظرافتها وحثها وترغيبها على الالتزام بهذه القوانين.

وقد حدد الاسلام خمسة عشر شيئاً على انّها من وسائل الطهارة والنظافة، حيث لا يرى مثل هذا السياق والنهج في سائر المذاهب الموجودة في العالم.

وحرّم الاسلام في كثير من الموارد التلوث والتلويث والعمل على التلويث، واعتبر مرتكبه ضالاً يستحق العذاب الالهي يوم القيامة.

فقد اعتبر الماء الجاري وماء البئر والعين والماء الراكد الذي يتجاوز ثلاثة اشبار ونصف طولاً وعرضاً وعمقاً، والماء القليل الذي يسقط على الجسم النجس وهو بمقدارٍ يطهر ذلك الجسم، والارض واشعة الشمس المباشرة والاستحالة، كل ذلك اعتبره من المطهرات.

وقد اشار الرسول الاكرم (ﷺ) في بعض الاحاديث إلى اهمية النظافة والطهارة، تعتبر من عجائب الأحكام الاسلامية.

يقول (ﷺ):

«الطهور شطرٌ من الايمان»(٢).

---

١ ـ البقرة: ٢٢٢.

٢ ـ ميزان الحكمة: ٥٥٨/٥.

واعجبا! إذ يكمن نصف الايمان في الجوانب الاخلاقية والعملية ونصفه الآخر في النظافة والطهارة!!

ويقول (ﷺ) أيضاً:

«أول ما يحاسبُ به العبدُ طهورهُ»(١).

وكان رسول الله (ﷺ) اكثر الناس اهتماماً بصحة الفم والاسنان، وشعر الرأس والوجه، والملابس واثاث البيت، والمحلة والشارع والمدينة، وبل انّه كان شديد الاهتمام ازاء الاموات، فحكمه بتغسيل الاموات بالسدر والكافور والماء الصافي وتحنيط مواضع السجود بالكافور وحفر القبر والدقة والتنظيم بحفر اللحد واهالة التراب كي تُصان الجوانب الصحيحة للمدينة والمنازل والبشر من خلال تحلل جسد الميت داخل القبر وتفاعله مع التراب والكافور، كل ذلك يعد من عجائب احكامه وخوارق علومه ورؤاه (ﷺ).

لقد بلغت عناية ذلك الوجود المقدس بالطهارة ظاهرياً وباطنياً مستوىً رفيعاً بحيث انّ معصوماً كأميرالمؤمنين (ؑ) الذي كان علمه وبصيرته يعتبر تجلياً لعلم الله وحكمته، وصفوه بانه الاطيب والاطهر، ودعا العالمين إلى الاقتداء به (ﷺ) في تطهير الروح والبدن، فيقول (ؑ):

«فتأسَّ بنبيِّك الأطيب الاطهر(ﷺ) فإنّ فيه أُسوة لمن تأسّى»(٢).

وقال رسول الله (ﷺ):

«ان الله طيبٌ يحبُّ الطيّب، نظيفٌ يحب النظافة»(٣).

ان اهمية النظافة والطهارة ومنزلتهما من الرفعة والسمو بحيث يرتبط

١ـ نفس المصدر.

٢ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠.

٣ـ ميزان الحكمة: ٩٢/١٠.

الحديث عنهما بالذات الالهية المقدسة.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«تنظفوا بالماء من النتنِ الريح الذي يتأذى به، تعهّدوا انفسكم فإنّ الله عزوجل يبغض من عباده القاذورة الذي يتأنّف به من مجلس اليه»[١].

ويقول الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله):

«طهروا هذه الاجساد طهّركم الله، فانّه ليس عبدٌ يبيت طاهراً الاّ باتَ معه مَلَكٌ في شعاره ولا يتقلب ساعةً من الليل الاّ قال: اللّهم اغفر لعبدك فانّه بات طاهراً»[٢].

وقال (صلى الله عليه وآله):

«بئس العبدُ القاذورة»[٣].

وعنه (صلى الله عليه وآله) انّه قال:

«هلكَ المتقذرون».

عن جابربن عبدالله، قال: أتانا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره فقال: أما كان يجد هذا ما يُسكِّن به شعره؟ وراى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة، فقال: أما كان هذا يجد ماءً يغسل به ثوبه؟[٤].

وقال الباقر (عليه السلام):

«كنسُ البيوت ينفي الفقر»[٥].

وقال الصادق (عليه السلام):

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٩٢/١٠.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ ميزان الحكمة: ٩٨/١٠.

«غسل الاناء وكنس الفناء مجلبةٌ للرزق»[1].

وقال أمير المؤمنين (ﷺ):

«لا تأووا التراب خلف الباب فإنّه ماوى الشياطين»[2].

وقد اشتقت « الشيطان » من الشطن، وهي تعني الخبيث واللئيم والمخلوق المؤذي الشرّير.

هذه المعجزة العظيمة والخارقة تعتبر نتاجاً للرؤية التي كان يتمتع بها الرسول الاكرم (ﷺ) والائمة الطاهرون (ﷺ) حيث انهم أنبأونا بذلك قبل قرون متطاولة من اكتشاف الميكروبات مستخدمين لفظ الشيطان أي المخلوق الخبيث واللئيم.

قال رسول الله (ﷺ):

«لا تبيّتوا القمامة في بيوتكم واخرجوها نهاراً فإنها مقعد الشيطان»[3].

وعنه (ﷺ) انّه قال:

«تنظفوا بكل ما استطعتم فإنّ الله تعالى بنى الاسلام على النظافة، ولن يدخل الجنّة الاّ كلُّ نظيف»[4].

وقال الرضا (ﷺ):

«من اخلاق الانبياء التنظيف»[5].

وقال (ﷺ) لعائشة:

«إغسلي هذين الثوبين، أما علمتِ ان الثوب يسبّح، فإذا اتسخ انقطع تسبيحهُ»[6].

---

١ ـ نفس المصدر.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ ميزان الحكمة: ٩٥/١٠.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ ميزان الحكمة: ٩٥/١٠.

٦ ـ ميزان الحكمة: ٩٤/١٠.

على ضوء الآيات المتعلقة باسباب التطهير، والطهارة والنظافة ومحبّة الحق تعالى لهما، وكذلك الروايات بشأن الطهارة والنظافة، يتعين على اهل الدار العناية بنظافة اجسامهم وملابسهم ونظافة آثاث المنزل وجوانبه بما وسعته قدرتهم وطاقتهم، واستناداً إلى القاعدة القرآنية التي تحث على التعاون على البر والتقوى، يتعين على صاحب الدار ان يعين زوجته على صعيد التنظيف.

وعلى الزوجة ايضاً ان تلتزم بواجبها الاخلاقي وتحافظ على نظافة الدار وآثاثه وملابس نزلائه، كي تدخل السرور على زوجها بذلك تنال رضى الحق تعالى، وتضمن سلامة اهل الدار وتقضي على اجواء المرض والآلام.

على ربّة البيت ان تعلم بأن العمل من اجل المنزل وتدبير اموره وتوفير سبل الراحة والاستقرار لاهله يُعتبر عبادة تستحق عليها الاجر والثواب ممن لدن الباري تعالى.

صحة الفم والاسنان

تعتبر سلامة الفم والاسنان من اهم الامور في عصرنا الراهن، إذ يقول المختصون ان سلامة اغلب اعضاء الجسم لا سيما جهاز المعدة الحساس ترتبط بسلامة الفم والاسنان.

ان الاسنان التي منّ الله بها على الانسان تعتبر نعمة لا تضاهى وعاملاً بالغ الاهمية من عوامل المحافظة على صحته.

فعملية الهضم انما تجري بواسطة الاسنان وإذا ما جرت هذه العملية بالنحو المطلوب فذلك يضمن استمرار المعدة في عملها الطبيعي وبالتالي فإنّه يعد عاملاً في دوام سلامة الانسان.

ومن بين الامور التي تزعج الآخرين وتثير اشمئزازهم هي رائحة الفم

الكريهة ـ التي قد تبلغ حداً لا يطاق ـ وهي نتاج لاهمال الفم والاسنان ونتيجة لتجمع بقايا الطعام بين الاسنان وتحت اللثة.

ان التسوس الذي يعد من الامراض الخطيرة والذي يفتك بالاسنان واللثة وهو مصدر للكثير من الامراض ومنها مرض القلب، انما هو من مخلّفات عدم الاهتمام بسلامة الفم والاسنان.

وإذا ما خصص الناس قليلاً من أوقاتهم لتنظيف الفم بعد تناول كل وجبة من الطعام وتنظيف الاسنان بالمسواك والمضمضة بقليل من الماء والملح فانهم حينذاك سيساهمون في المحافظة على سلامة الفم والاسنان والبلعوم من جهة، والوقاية من تكاليف العلاج الباهضة التي تُصرف من أجل استعادة سلامة الاسنان التي تُفقد إذا ما اهمل هذا الجانب من جهة اخرى وبوسعهم التنعم باسنانهم سنوات طويلة بل مدى عمرهم.

وبالرغم من بزوغ فجر الاسلام في ارضٍ قاحلةٍ غير ذي زرع وفي مجتمع يخلو ممن يعرف القراءة والكتابة، الاّ انّه طرح من الأحكام والمقررات التي تصون سلامة المجتمع من الناحية الصحية وعلى كافة الاصعدة لا سيما صحة الفم والاسنان ما يكشف عن عظمة هذا الدين وهذه المدرسة، ويبرهن على ان المبشر بهذا الدين قد بُعث من قبل الحق تعالى لهداية الناس وارشادهم وانّه تعالى قد اجتبى الائمة الاثني عشر (عليهم السلام).

تأملوا هذه الطائفة من الأحكام الصادرة عن قادة ديننا فيما يتعلق بسلامة الفم والاسنان:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«لولا ان اشقَّ على امتي لأمرتهم بالسواك مع كلِّ صلاة»[١].

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«من اخلاق الانبياء السواك»[٢].

وقال الباقر (عليه السلام):

«لو يعلم الناس ما في السواك لأباتوه معهم في لحاف»[٣].

وقيل للصادق (عليه السلام):

«اترى هذا الخلق كلّه من الناس؟ فقال: الق منهم التارك للسواك»[٤].

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«ما زال جبرئيل يوصيني بالسواك حتى خفتُ أنْ أدْرَدَ»[٥].

وفي كلام آخر قال (صلى الله عليه وآله):

«ما زال جبرئيل يوصيني بالسواك حتى ظننتُ انّه سيجعله فريضة»[٦].

وقال الامام الصادق (عليه السلام): «في السواك اثنتا عشرة خصلة: هو من السُنَّة، وهو مطهرة للفم ومجلاة للبصر ويرضي الرحمن ويبيض الاسنان ويذهب بالحفر ويشدّ اللثة ويشهّي الطعام ويذهب بالبلغم ويزيد في الحفظ ويضاعف الحسنات ويفرّح الملائكة»[٧].

وفيما يتعلق بطريقة السواك ـ حيث يؤكد الاطباء والمختصون بأمراض الفم

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٥٩٦/٤.

٢ ـ البحار: ١٣١/٧٦.

٣ ـ ميزان الحكمة: ٥٩٧/٤.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ ميزان الحكمة: ٥٩٧/٤.

٦ ـ نفس المصدر.

٧ ـ البحار: ١٢٩/٧٦.

والاسنان على أن يكون السواك عرضياً وبتؤده لعدة دقائق ـ ثمة رواية مهمة عن الرسول الاكرم (ﷺ) لابد من الاعتراف بانها من معاجزه العلمية نظراً لتقدم بعثته (ﷺ) في التاريخ، إذ يقول (ﷺ):

«استاكوا عرْضاً ولا تستاكوا طولاً»[1].

وكان النبي (ﷺ) يستاك كل ليلة ثلاث مرات: مرة قبل نومه، ومرة إذا قام من نومه إلى ورده ومرّة قبل خروجه إلى صلاة الصبح، وكان يستاك بالاراك أمره بذلك جبرئيل[2].

التنظيم والالتزام والصحة في الأكل

ان المعدة والفم والاسنان، والرغبة لتناول الماء والخبز وسائر النعم، كل ذلك يعتبر من الالطاف الالهية على الانسان.

وقد وردت الكثير من الأحكام الهامة في القرآن الكريم والروايات فيما يتعلق باكتساب الارزاق المحللة وطريقة استهلاكها، والاعمال التي لها كامل التأثير على سلامة البدن والعقل والروح وبالتالي سلامة الاسرة والمجتمع، ويبدو ان الالتزام ببعضها يعد واجباً شرعياً والالتزام بالبعض الآخر واجباً أخلاقياً، وبعضها مستحبّ مؤكّد، وان التمرد على تلك التي في حكم الواجب الشرعي يعتبر حراماً يستوجب العذاب الاخروي، والتهاون عن المستحبات يورث الخسران والندم وتصدع البدن فيصبح عندها عرضة للاصابة بالامراض.

ومن أهم الأحكام الواردة في القرآن الكريم وجوب استحصال المال والرزق لادامة الحياة وتوفير السكن والملبس والمأكل عن طريق الحلال. يقول تعالى:

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٥٩٩/٤.

٢ ـ نفس المصدر.

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾(٢).

وقوله تعالى:

﴿ كُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾(٣).

المطروح في هذه الاحكام وهو الطهارة والحلال واجتناب الاسراف، فالواجب طهارة المأكل وحليته، والحرام الاسراف في الاستهلاك.

ان عدم الاهتمام بحلّية المأكل وتناول المواد المحرّمة والخبيثة التي تخلو من الطهارة، والسقوط في حبائل الاسراف، كل ذلك يعتبر تمرداً على الحق تعالى وظلماً بحقٍ النفس والآخرين، وهو مما يؤدي إلى عذاب الله وعقوبته بلا شك ولا ترديد.

ويتعين على صاحب الدار ان يلمّ بالتعاليم السامية التي يطرحها الاسلام في هذا المجال ويعمل على ان تأخذ طريقها إلى اهل الدار كي تحافظ الدار والعائلة على طهارتهما، ويتسنى لاهل الدار طيّ سبيل الكمال والسمو، وبذلك يتحولون إلى روافد خير وبركة بالنسبة لهم وللآخرين.

١ـ البقرة: ١٦٨.

٢ـ البقرة: ١٦٨.

٣ـ الاعراف: ٣١.

اضرار كثرة الأكل

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«كثرة الأكل والنوم يُفسدان النفس ويجلبان المضرّة»[١].

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«مَنْ كثر اكلهُ قلَّت صحته وثَقُلت على نفسهِ مؤونتُه»[٢].

وعنه (عليه السلام) أيضاً:

«كثرة الأكل من الشره، والشرهُ من العيوب»[٣].

وقال الصادق (عليه السلام):

«ليس شيءٌ اضرَّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثةٌ شيئين: قسوة القلب وهيجان الشهوة»[٤].

وقال تعالى مخاطباً بني اسرائيل:

«لا تكثروا الأكل فإنه من أكثر الأكل أكثر النوم، ومن أكثر النوم اقلَّ الصلاة، ومن أقلَّ الصلاة كُتِبَ من الغافلين»[٥].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«اياكم والبطنة فانها مفسدةٌ للبدن ومورثةٌ للسقم ومكسلة عن العبادة»[٦].

وقال (صلى الله عليه وآله) أيضاً:

---

١ ـ ميزان الحكمة: ١١٧/١.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ ميزان الحكمة: ١١٧/١ ـ ١١٨.

٥ ـ ميزان الحكمة: ١١٧/١ ـ ١١٨.

٦ ـ نفس المصدر.

«ليس شيءٌ ابغضُ الى الله من بطنٍ ملآن»[١].

وقال الامام موسى بن جعفر (عليه السلام):

«لو أنّ الناس قصدوا في الطعم لاعتدلت ابدانهم»[٢].

وثمة حكم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشأن الاكل حريٌّ بنا القول انّه من عجائب احكامه (صلى الله عليه وآله) ومن قواعد الطب أذ يقول (صلى الله عليه وآله):

«كُل وانت تشتهي وأمسك وأنت تشتهي»[٣].

من المسلّم به ان الاكل على الشبع يعتبر مضراً للمعدة وتهديداً جدياً لصحة البدن، وان الاكل عن جوعٍ والامساك قبل الشبع يعتبر من أهم عوامل المحافظة على سلامة الجسم وحيويته وطول العمر وتمتع المرء بالذكاء والمهارة.

قصة فيها عبرة

يُروي ان احد الملوك بعث طبيباً حاذقاً إلى المدينة لمعالجة اهلها مجاناً، فبقي فيها مدةً من الزمن دون ان يراجعه أحد أو راجعه القليل من الناس فتعجب لذلك، فذهب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليخبره بذلك فقال له: اني قد امرتهم ان لا يأكلوا الاّ وهم يشتهون ولا يُمسكوا الاّ وهم يشتهون، فقال له الطبيب: لقد اصبتَ الطب كلّه.

وهنالك وصيّة مهمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) للبدء في تناول الطعام، إذ يقول (عليه السلام):

«ابدأوا بالملح في اول طعامكم، فلو يعلم الناس ما في الملح لاختاروه على الترياق

١ ـ نفس المصدر.

٢ ـ الوسائل: ٤٠٦/١٦.

٣ ـ ميزان الحكمة: ١٢٣/١.

المجرّب»[١].

وقد نهى رسول الله (ﷺ) عن أكل الحار حتى يبرد واعلن ان الله سبحانه وضع البركة في البارد، كما نهى (ﷺ) عن ان يُنفخ في الطعام كي يبرد[٢].

كما ورد النهي المؤكد عن ان يأكل المرء وهنالك ذو روح ينظر اليه ولا يطعمه.

عن نجيح قال: رأيت الحسن بن علي (ﷺ) يأكل وبين يديه كلبٌ كلما أكل لقمةً طرح للكلب مثلها، فقلت له: يابن رسول الله؟ ألا ارجمُ هذا الكلب عن طعامك؟ قال: دعه، اني لاستحي من الله ان يكون ذو روحٍ ينظر في وجهي وانا آكل ثم لا أُطعمه»[٣].

نعم، لابد من الأكل وكذلك لابد من الاطعام، فالأكل ضروري للبدن، والاطعام تجسيد للاخلاق والكرم وحل لمشاكل المحتاجين، ومدعاة لنزول الثواب والمغفرة ولطف الله ورحمته، وان التقتير بهذا الشأن ازاء العيال والارحام وسائر الناس يعتبر عملاً منافياً للانصاف ومحاباة للشيطان.

يقول الامام المجتبى (ﷺ): **«في المائدة اثنتي عشرة خصلة يجب على كل مسلم ان يعرفها: اربعٌ منها فرض واربعٌ سنّة واربعٌ تأديب، فاما الفرض: فالمعرفة والرضاء والتسمية والشكر، وأما السنّة: فالوضوء قبل الطعام والجلوس على الجانب الايسر والأكل بثلاثة اصابع ولعق الاصابع واما التأديب: فالأكل مما يليك وتصغير اللقمة وتجويد المضغ وقلة النظر في وجوه الناس»**[٤].

وقال الامام الرضا (ﷺ): **«من اراد ان يكون صالحاً خفيف الجسم فليقلل من**

---

١ ـ الوسائل: ١٢٥/١٦.

٢ ـ الوسائل: ٥١٨/١٦.

٣ ـ ميزان الحكمة: ١٢٥/١.

٤ ـ الوسائل: ٥٣٩/١٦.

عشائه بالليل»[١].

وقال رسول الله (ﷺ): **«مَنْ كثر تسبيحه وتمجيده وقلّ طعامه وشرابه ومنامه اشتاقته الملائكة»**[٢].

وقال (ﷺ) أيضاً: **«إلبسوا وكلوا واشربوا في انصاف البطون فإنه جزءٌ من النبوة»**[٣].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«قلّة الغذاء كرمُ النفس وادوم للصحة»[٤].

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«إذ اراد الله سبحانه صلاح عبده الهمهُ [redacted] الكلام وقلّة الطعام وقلّة المنام»[٥].

وثمة أمور اخرى يترتب على رب الاسرة الالتزام بها بجدية أولاً ومن ثم اهل الدار منها الاحتراز عن التبوغ من قبيل السيجارة والغليون والمخدرات، فالتدخين على اختلاف انواعه يعدُ حراماً في نظر بعض فقهاء الشيعة، لأنّه يمثل تهديداً لكيان الأُسرة وقد يجر إلى المفاسد الاخلاقية والاجتماعية.

ومن الامور الاخرى التي نهي عنها الاسلام هو الاشتراك بالمشط والمنديل والمسواك وسائر المستلزمات ذات الصبغة الشخصية.

ان الأمل يحدونا بأن تلتزم العوائل بأسرها لا سيما اربابها بهذه الجوانب حفاضاً على السلامة البدنية والروحية والاخلاقية بالنسبة للجميع، لان الالتزام بهذه الأحكام يعد عبادة كالالتزام بالاحكام الشرعية وعصيانها ذنبٌ يستلزم العتاب والعقاب الالهيين.

---

١ ـ البحار: ٦٢/٣٢٤.

٢ ـ ميزان الحكمة: ١/١١٦.

٣ ـ ميزان الحكمة: ١/١١٦.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ نفس المصدر.

قال رسول الله (ﷺ): « عليكم بحسن الخلق فإنّ حسنَ الخلق في الجنّة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فإنّ سوء الخلق في النار لا محالة ».

الوسائل ١٠ / ٢٩

(١٢)

الاخلاق الاسلامية في الاسرة

أهمية مكارم الاخلاق

من الضروري ان يلتزم الزوجان بمجموعة من الضوابط الاخلاقية التي ورد المزيد من التأكيد عليها في القرآن الكريم والاحاديث وذلك بغية صيانة نفسيهما وضمان سعادة اولادهما.

وليس من المعتذر التزام فضائل الاخلاق والاحتراز عن قبائحها، واستخدام الاساليب الاخلاقية والابتعاد عمّا ينافيها يسهّل على المرء السير في هذا الطريق الالهي، ويرسخ الرابطة الزوجية ويعمق المحبّة بين الزوجين ويعتبر درساً عملياً للآخرين لا سيما ابناء العائلة، وان تطبيق الضوابط الاخلاقية فيما بينهم يخلق اجواءً يسودها الصفاء والصدق والطهارة والسلامة والامن والراحة والمودة، ويخلق شعوراً لدى الزوجين بأن يتذوقوا طعم الحياة بكافة جوانبها وكأنها احلى من الشهد المصفّى.

وقد اثنى الله سبحانه في كتابه الكريم على الرسول الاكرم ﷺ لتحليه بمكارم الاخلاق ووضعه إياها موضع التطبيق:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

---

١ ـ آل عمران: ١٥٩.

٢ ـ القلم: ٤.

وقال رسول الله (ﷺ):

«الاسلام حسنُ الخلق»[١].

وقال الامام الحسن (عليه السلام):

«انّ احسنَ الحسن، الخلق الحسن»[٢].

وقال النبي (ﷺ):

«حسنُ الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة»[٣].

وقال علي (عليه السلام):

«حسنُ الخلق رأس كلّ بر»[٤].

وقال الصادق (عليه السلام):

«لا عيشَ اهنأ من حسن الخلق»[٥].

وقال رسول الله (ﷺ):

«مَنْ حَسنُتَ خلقه بلّغهُ الله درجة الصائم القائم»[٦].

وعنه (ﷺ) انّه قال:

«أول ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة حسنُ خلقهِ»[٧].

وقال (ﷺ):

«انّ احبّكم اليّ واقربكم مني يوم القيامة مجلساً احسنكم اخلاقاً واشدّكم

---

١ ـ ميزان الحكمة: ١٣٧/٣.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ البحار: ٣٨٨/٧١ ـ ٣٨٩.

٦ ـ البحار: ٣٨٨/٧١ ـ ٣٨٩.

٧ ـ البحار: ٣٨٥/٧١.

تواضعاً»(١).

وقال النبي (ﷺ) لأمير المؤمنين (ع): الا اخبركم باشبهكم بي أخلاقاً؟ قال بلى يا رسول الله، قال:

«احسنكم خُلقاً واعظمكم حلماً وابرّكم بقرابته واشدّكم من نفسه انصافاً»(٢).

ولمكارم الاخلاق وحسن الخلق من الاهميّة والعظمة ما جعل رسول الله (ﷺ) يصرّح بأنها الغاية من بعثته حيث قال ﷺ:

«انما بعثتُ لأتمم مكارم الاخلاق»(٣).

وقوله (ﷺ):

«انما بُعثتُ لأُتمم حسنَ الخلق»(٤).

ان مكارم الاخلاق ومحاسنها تمثل تجلياً لصفات الحق تعالى واخلاق الانبياء والأئمة المعصومين (ع) ومنشأ خيرٍ وبركة لمن تحلّى بها، أما قبائح الاخلاق فهي تجسيد للالاعيب الشيطانية وسببٌ في تأزم الحياة وتدهور العلاقات الاجتماعية ومدعاة لفقدان الامن واثارة التفرقة والتذمّر بين الناس وخراب الدنيا والآخرة.

المودة والتعبير عنها

لقد اودع الباري تعالى المحبة والمودة في قلب كلٍّ من الرجل والمرأة تجاه بعضهما، واعتبر ذلك من آياته، وهذه الحقيقة تمثل تعبيراً عن اهمية قضية المودة

---

١ ـ نفس المصدر.

٢ ـ البحار: ٧٧/٥٨.

٣ ـ ميزان الحكمة: ٣/١٤٩.

٤ ـ نفس المصدر.

بين الرجل والمرأة وعظمتها لا سيما محبة الرجل للمرأة، إذ يقول تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١].

ان هذا المودة والمحبّة تتفتح براعمها وتبلغ ذروتها في مطلع الحياة الزوجية بل وحتى قبل عقد القران، وعلى الزوجين المحافظة على هذه النعمة وهذه العاطفة القلبية السامية التي تبعث السعادة في الحياة والمعاشرة، وتنمّي الصفاء والطهارة من خلال التودد لبعضهما البعض والتحلي بالحلم والعفو ومكارم الاخلاق والتعاون والتسامح بالحقوق المتبادلة وصيانة شخصية الطرفين وحيثياتهما، والتورع عن أسباب تصدع هذه المودة والمحبّة، إذ ان المحافظة على بناء المودة من العبادة، وتهديم عرش المحبّة لا ريب في انّه ذنبٌ ومعصيةٌ توجب العذاب والعقاب الالهيين يوم المحشر، وسببٌ في اثارة الشقاء الدنيوي.

وقد دعا الصادق (عليه السلام) لمن تمتع بقدرة كسب محبة الآخرين، إذ يقول (عليه السلام):

«رحم الله عبداً اجتر مودة الناس إلى نفسه...»[٢].

ان تبديل المودة والحب إلى بغض وضغينةٍ وعداء دون توفر مبررٍ عقلي وشرعي لذلك، انما هو تبديل النعمة إلى كفران، والمحافظة على المودة وتفعيلها ونقلها إلى الطرف المقابل تعتبر سبباً في تحقق السعادة الدنيوية والاخروية.

قال الامام الصادق (عليه السلام):

«ويل لمن يبدل نعمة الله كفراً، طوبى للمتحابّين في الله»[٣].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٢٠٥/٢.

٢ ـ ميزان الحكمة: ٢٠٥/٢.

٣ ـ الوسائل، ١٧١/١٦ طبعة آل البيت.

«أفضل الناس مِنّةً مَنْ بالمودة»[١].

والانسان محكومٌ بأن يبذل المودة لمن يستحق المحبة والود والصداقة فضلاً عن المقربين اليه من الزوجة والاولاد.

ورد في حديث قدسي:

«الخلقُ عيالي، فاحبُّهم اليَّ الطفهم بهم واسعاهم في حوائجهم»[٢].

على ضوء ما تقدم فإنّ المحبّة الكامنة في قلب المرأة تجاه الرجل وبالعكس تعتبر من آيات الله سبحانه ومن النعم الالهية الخاصة، وأهم دافع لتشكيل الحياة الصالحة واستمرارها، وشيوع الصفاء والصدق في ربوع الحياة، وعليه من الواجب المحافظة عليها والعمل على اضطرادها وتجنب عوامل زوالها.

قال الصادق (عليه السلام):

«من أخلاق الأنبياء حبُّ النساء»[٣].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«جُعل قرة عيني في الصلاة، ولذّتي في الدنيا النساء، وريحانتي الحسن والحسين»[٤].

وقال الصادق (عليه السلام): «ما تلذذ الناس في الدنيا والآخرة أكثر لهم من لذة النساء وهو قول الله عزّوجلّ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ...﴾ إلى آخر الآية، ثم قال: وان أهل الجنة ما يتلذذون بشيء من الجنة اشهى عندهم من النكاح، لا طعام ولا شراب»[٥].

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٢١٠/٢.

٢ ـ الكافي: ١٩٩/٢.

٣ ـ الوسائل: ٢٢/٢٠ ـ ٢٣ طبعة آل البيت.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ الوسائل ٢٣/٢٠ ـ ٢٤.

وقال النبي (ﷺ):

«قول الرجل للمرأة اني احبك لا يذهب من قبلها ابداً»[1].

وقال الصادق (ع):

«العبدُ كلّما ازداد للنساء حباً ازداد في الايمان فضلاً»[2].

وبطبيعة الحال لابد من الالتفات هذه الحقيقة وهي ان لا تأخذ المحبّة والمودة تجاه المرأة طابع الافراط. فالافراط بالمحبّة يحول دون سلوك المرء لصراط الله المستقيم والقيام بالاعمال الصالحة وبذل الخيرات والمبرّات، لا سيما إذا حاولت المرأة التحكم بالرجل من خلال استغلال محبته لها وفرض المزيد من رغباتها عليه.

يجب ان يكون حبُّ المرأة وكل شيء تابعٌ لايمان الانسان بالله سبحانه والمعاد وان لا يعيق الانسان عن السير نحو الكمالات والقيام بالصالحات.

وإذا ما اراد حبُّ المرأة ان يتحول إلى بؤرة للمعاصي والذنوب والاسراف والتبذير، أو البخل والحرص أو سببٌ في الامساك عن اداء القرائض، يجب والحالة هذه تصحيح مساره، فمثل هذا الحبّ انما خليطٌ مع نفثات الشيطان ويعيدٌ عن رضى الحق تعالى.

الانصاف في الآمال

ان لكل رجلٍ وامرأة قابليته وامكانيته الخاصة به من الناحية البدنية والروحية، وان تفهم هذه القابلية والامكانية مرتبط بفترة المعاشرة والسلوك الطبيعي والاخلاقي.

---

١ ـ نفس المصدر.

٢ ـ نفس المصدر.

وبعد مدة وجيزة يتفهم الزوجان بعضهما البعض نوعاً ما ويتعرف كلٌّ منهما على قابلية الآخر بدنياً وروحياً، وعلى الزوجين أن يدركا انّ الحق تعالى قد وضع في الاعتبار مسألتين حين شرع التكليف للانسان:

اولهما: انّه تعالى لم يكلف الانسان ما يخرج عن امكانيته ويفوق طاقته ووسعه، وثانيهما: انّه تعالى وضع التكاليف والواجبات الشرعية على ضوء وسع الانسان وهو ما عبّر عنه المحققون بالمرحلة التي تقل عن حدود قدرته.

وهذا ليس سوى تجلٍّ لرحمة الله ورأفته بعباده والبشر قاطبة إلى قيام يوم الدين، وقد اشار تعالى إلى هذه الحقيقة في الآيات ٢٣٣ و٢٨٦ من سورة البقرة والآية ١٥٢ من سورة الانعام والآية ٤٢ من سورة الاعراف والآية ٦٢ من سورة المؤمنون.

﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾

وقوله ايضاً:

﴿لاَ يُكَلِّفُ ٱللهُ نَفْساً﴾

بناءً على ذلك يتعين على كلا الزوجين التأسي بهذه الاخلاق الكريمة والصفات الرحيمية للحق تعالى في قضية الطلبات والطموحات المتقابلة، إذ عليهم:

اولاً: عدم الطلب من الطرف المقابل ما يخرج عن الطاقة والقابلية على الصعيدين المادي والمعنوي إذ ان فرض ما هو خارجٌ عن حدود القدرة وطلب ما لا يمكن تحمله يعد ظلماً، وجوراً على البعد الروحي، ومدعاة لحلول العقاب الالهي.

ثانياً: مراعاة قابلية بعضهما البعض اثناء طرح الطلبات، بل تحديد الطلبات والطموحات على ضوء الوسع والقابلية، وطرح التكاليف الطبيعية والحياتية

بينهما والطلب من بعضهما البعض بنحوٍ يجري انجازه بكل شغفٍ ولهفة.

وإذا كان بوسعهما ـ وهو كذلك ـ التحلّي بالانصاف ازء بعضهما البعض إذ ان ذلك من اخلاق الله تعالى ومن فعال الانبياء والائمة ومن خصال اولياء الله.

ربما تتخذ المبالغة بالآمال طابع تكليفٍ يفوق الطاقة، ولا شك بأن المطالب الثقيلة لو لم تُنفد من قبل الزوج فإنّ ذلك مما يعكر الاجواء ويؤلم القلوب وبالتالي يثير الضغينة والنفور وتكون نتيجة ذلك تأزم الحياة وانهيار صرح الصفاء والصدق والمودة.

ان المبالغة بالآمال خصلة مذمومة وحاصل الكبر والغرور وهو مرض نفساني وفعلٌ خارج عن اطار الانسانية وصفةٌ قبيحة.

والتسامح بالطموحات انما هو ثمرة الوقار والتأدب وحاصل المعرفة والكرم، وثمرء طيبة من ثمار التواضع.

فإنّ اردتم حياةً تفوق في حلاوتها الشهد المصفى لا مجال فيها لاختلاف يعتد به، ولا يتعرض الزوج إلى ما يكدر صفو حياته، ولا تتعرض شخصيته للاحتقار، ولا ينتقل التأزم والمرارة إلى الآخرين، فعليكم التسامح بالطموحات ازاء بعضكم البعض في جميع شؤون الحياة واعلموا ان ذلك مدعاة لبلوغ رضى الحق تعالى بالنسبة لكم لانه نفحةٌ من رحمته تعالى في الحياة الدنيا.

على اية حالٍ، على الزوجين التحلّي باللين والصفاء وان يكونا مصدر مودةٍ ومحبةٍ ويتسامحا فيما بينهما على كافة الاصعدة الحياتية، إذ ان هذا التسامح يعتبر باباً من ابواب المعروف، وان اهل المعروف ومَنْ تطهروا وتطيّبوا عن المنكرات روحياً واخلاقياً هم ممن تشملهم عناية الباري عزوجل وممن يستحقون الاجر الجميل والثواب الجزيل من لدنه تعالى.

قال رسول الله (ﷺ):

«اول مَن يدخل الجنة المعروف واهله، واول من يرد عليَّ الحوض»[١].

وقال الصادق (عليه السلام):

«ان للجنّة باباً يقال له: المعروف، لا يدخله الّا أهل المعروف، وأهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الآخرة»[٢].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«كلّ معروف صدقة»[٣].

وفي القرآن الكريم اكد جل شأنه ان ثواب كلّ معروفٍ بعشرة امثاله:

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٤].

ان التسامح في الطموح ضربٌ من المعروف وحسنةٌ من محاسن الروح ونوع من الصدقات تقابل بعشرة اضعافٍ من الاجر، فلِم لا يبادر الزوجان إلى هذه التجارة الرابحة ويحرمان انفسهما من هذه النعمة الالهية مدى الحياة؟ حيث ان حرمان النفس من عناية رب العالمين ورحمته ظلمٌ فاحشٌ وذنب لا يغتفر وخسارةٌ لا تعوّض.

الحلم والعفو

ربما يرتكب الزوج أو الزوجة خطأً تجاه بعضهما البعض، إذ ربما تقع الزوجة في الخطأ اثناء تدبيرها لشؤون البيت كاعداد الطعام ومداراة الاولاد واداء حق الزوج، وقد يخطىء الزوج ايضاً في سلوكه وتصرفه واخلاقه واسلوبه

---

١ ـ الوسائل: ٣٠٣/١٦ طبعة آل البيت.

٢ ـ الوسائل: ٣٠٤/١٦ ـ ٣٠٥.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ الانعام: ١٦٠.

في ادارة شؤون البيت وتقييمه لزوجته، فما كان من الاخطاء يمكن التغاضي والحلم عنه من قبل الطرفين فالتجاوز يكون في محله، اما في الاحوال التي تكون الحياة تقطع اشواطها الطبيعية فلا مجال فيها للتجاوز.

ان الواجب الشرعي والاخلاقي يحتّم على الزوج العفو عن زوجته عند الحاجة، وكذا بالنسبة للمرأة، ومن القبيح هنا التشبث بالمكابرة والتعنّت والانانية وعدم الاعتناء بحيثيات الطرف المقابل والتنكّر للتعاليم الإلهية ووصايا الانبياء والائمة فيما يتعلق بالعفو والحلم وذلك مما يعد محرماً في بعض الحالات ويستوجب العقاب الالهي.

العفو والحلم من متفرعات الاحسان، والمُحسن استناداً للمنطق القرآني يعتبر حبيب الله:

﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

والعفو والحلم من الاهمية بمكان بحيث ان أجر العافي يقع على الله تعالى:

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[2].

قال الامام الصادق (عليه السلام):

«ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلمُ إذا جُهل عليك»[3].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«ان الله عفوٌ يحبُّ العفو»[4].

---

١ ـ آل عمران: ١٣٤.

٢ ـ الشورى: ٤٠.

٣ ـ البحار: ٤٠٠/٧١.

٤ ـ ميزان الحكمة: ٣٦٧/٦.

وقال (ﷺ) أيضاً:

«مَنْ اقال مسلماً عثرته اقال الله عثرته يوم القيامة»[١].

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«إنّا أهل البيت مُروتُنا العفو عمّن ظلمنا»[٢].

وقال النبي (ﷺ):

«تجاوزوا عن ذنوب الناس يدفع الله عنكم بذلك عذاب النار»[٣].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«قلّة العفو اقبح العيوب، والتسرع إلى الانتقام اعظم الذنوب»[٤].

وعنه (عليه السلام) انه قال:

«شر الناس من لا يعفو عن الزلّة ولا يستر العورة»[٥].

وقال الصادق (عليه السلام):

«عفواً من غير عقوبة، ولا تعنيف ولا عتب»[٦].

واستناداً إلى الآيات القرآنية والروايات، فإنّ الله يحب العفو، وهو تعالى تكفل بأجر العافي، والعفو من مكارم الدنيا والآخرة، ومدعاة للنجاة من النار، واتباع لاهل البيت (عليهم السلام)، وقلّة العفو دليل على المرض النفسي وشرانية نفس الانسان.

فلماذا لا يعفو الزوجان عن بعضهما البعض إذا بدر من احدهما خطأٌ خلال

---

١ ـ نفس المصدر.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ ميزان الحكمة: ٦/٢٦٨ ـ ٢٧٠.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ نفس المصدر.

٦ ـ نفس المصدر.

مسيرة حياتهما كي يصبحا احباء الله وينعما بثوابه ويتحولا إلى منهلٍ لمكارم الدنيا والآخرة، ويعبّرا عن ولائهما لائمة أهل البيت (عليهم السلام) ويصبحا من زمرتهم، فكل ذلك انما هو ثمرة تجارة معنوية مع الله سبحانه من غير المعقول تضييعها، لا سيما وان التحلّي بذلك يعتبر فعلاً يسيراً وبسيطاً لا تكليف فيه.

فإذا ما اتخذ الزوجان من العفو منهجاً لهما ومارسا هذه الخصلة الالهية لفترة وجيزة، فانها سوف تترسخ لديهما وبذلك يصبحا ممن اتصف بهذه الميزة الالهية بعد قصيرٍ من الوقت.

التغافل أو التناسي

التغافل، من الخصال الحميدة والرفيعة والهامة التي يندر مَنْ يتحلّى بها بين عامة الناس.

ان الاطلاع على الخطأ والتقصير والوقوف على العيب والنقص، والتغاضي عنه بنحوٍ يطمئن الطرف المقابل بعدم اطلاع أي انسان عليه، يعتبر من أسمى المزايا الروحية واعظم الخصال الانسانية.

انّها ذروة الكرم والعظمة في الشخصية ان يرى الرجل خطأً من زوجته أو تشاهد المرأة خطأً من زوجها، فيتعمد التغاضي بكل رجولةٍ وإباءٍ وكرمٍ، ويحافظ على حالة التغاضي في كل ما يطرأ مستقبلاً.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«ان العاقل نصفه احتمالٌ ونصفه تغافلٌ».

وعنه (عليه السلام):

«اشرف اخلاق الكريم كثرة تغافله عمّا يعلم»[1].

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«لا عقلَ كالتجاهل، لا حلم كالتغافل»[2].

ان التدقيق والشدة في المحاسبة وتصور عصمة الطرف المقابل من جميع الجوانب وعدم الصفح وتثبيت الاخطاء وكما تعارف عليه التنقيب عن الخطأ كل ذلك مما ينافي الاخلاق، وكما يعبّر أميرالمؤمنين (عليه السلام):

ان العفو والصفح والاسمى منهما التغافل والتجاهل هي من الامور الضرورية التي لابد للرجل والمرأة التحلي بها وعن طريق هذه الخصال الحميدة والاخلاق الفاضلة تهنأ الحياة وتعمّها السعادة، وتتمتع الاعصاب بالراحة التامة، ويسلمُ كلٌّ من البدن والروح من الكثير من الامراض.

ان العفو والصفح والتجاهل والتغافل ما هي الاّ ثمرة طيبة لكبح جموح الغضب أو ما عبر عنه القرآن الكريم «كظم الغيظ»، وتجنب الحدّة والهروب من نيرانها.

والغضب والحدّة والمراء والعناد والجدال غير المبرر، انما هي مما يرفضه الحق تعالى، ومن شعب جهنم، وصفات ذميمة، وخُلقٌ عدوانيّ، ومما يؤدي إلى انهيار صرح الحياة ودافعٌ ينتهي إلى الطلاق والانفصال، والغرق في وحل الكثير من المعاصي والموبقات، والانغماس بكل ما هو شرٌ وباطل.

وقد ورد بشأن المراء بالباطل والعناد:

ان رجلاً قال للحسين بن علي(عليه السلام) اجلس حتى نتناظر في الدين، فقال(عليه السلام): يا هذا انا بصيرٌ بديني مكشوفٌ عليَّ هُداي فإنْ كنتَ جاهلاً بدينك فاذهب واطلبه، مالي

١ ـ ميزان الحكمة: ٢٦٨٧٧.

٢ ـ نفس المصدر.

وللممارة، وان الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه...(١).

مما لا شك فيه ان الجدال والنقاش إذا كان من أجل اثبات الحق ومن مصاديق الجدال بالتي هي احسن، فذلك مما لا اشكال به، بل يمثل السبيل للتطور العلمي واستجلاء الحقيقة ومما يقره العلم والعقل والشرع، اما إذا كان من باب العناد ومحاولة تحطيم الطرف الآخر والنيل من كرامته وخلخلة الاستقرار، فلا شك في انّه محرّمٌ يعتبر مرتكبه عاصياً ويستحق عليه العقاب.

قال الامام الرضا (عليه السلام) لعبد العظيم الحسيني.

يا عبدالعظيم! ابلغ عنّي اوليائي السلام وقل لهم ان لا يجعلوا للشيطان على انفسهم سبيلاً، ومُرهُمْ بالصدق في الحديث واداء الامانة، ومرهم بالسكوت وترك الجدال فيما لا يعنيهم(٢).

الغضب والحدّة

لقد حذّرت الروايات والتعاليم الاسلامية ومن قبلها آيات القرآن الكريم من الغضب والحدّة معتبرة الغضب من العوامل المدمّرة ودليلاً على الطيش وسبباً في الهلاك، وجمرة من جمار الشيطان، وضربٌ من الجنون وهو مفتاح كل شرٍّ.

في كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا الشأن انّه قال:

«**الغضب شرٌّ ان اطلقته دمّر**»(٣).

«**الغضب مركبُ الطيش**»(٤).

---

١ ـ البحار: ٢/١٣٥.

٢ ـ البحار: ٧٤/٢٣٠.

٣ ـ ميزان الحكمة: ٧/٢٣١.

٤ ـ ميزان الحكمة: ٧/٢٣٠ ـ ٢٣١.

«الغضب يثيرُ كوامنَ الحقد»[1].

وقال الامام الصادق ﷺ :

«الغضب مفتاح كل شرٍّ»[2].

نعم، فالمغتاظ يرتكب ما شاء من الاخطاء، ويتحامل على كرامة الطرف المقابل، ويثير اعصابه وقلبه، فتنتفخ اوداجه ويحمرّ وجهه، فيضرب ويدمّر ويحرق ويطلِّقُ ويلحق الضرر و... الخ.

قال رسول الله (ﷺ):

«الغضب جمرة من الشيطان»[3].

وقال علي (ﷺ):

«الحدّةُ ضربٌ من الجنون لأن صاحبها يندم فإن لم يندم فجنونه مستحكمٌ»[4].

وقال (ﷺ) أيضاً:

«الغضب يُفسد الالباب ويُبعد من الصواب»[5].

ويقول (ﷺ) متحاملاً على هذه الميزة الشيطانية:

«ليس منّا مَنْ لمْ يملك غضبه»[6].

وقال (ﷺ):

«مَنْ غلبت عليه غضبه وشهوتُه فهو في حيِّز البهائم»[7].

١ـ نفس المصدر.

٢ـ نفس المصدر.

٣ـ نفس المصدر.

٤ـ ميزان الحكمة: ٢٣٢/٧ـ٢٣٣.

٥ـ نفس المصدر.

٦ـ نفس المصدر.

٧ـ نفس المصدر.

قال الباقر (عليه السلام) بشأن كظم الغيظ :

«مَنْ كظمَ غيظاً وهو يقدرُ على امضائه حشا الله قلبه امناً وايماناً يوم القيامة»[١].

وقال علي (عليه السلام):

«مَنْ كفَّ غضبهُ ستر الله عورتَهُ»[٢].

وكتب إلى الحارث الهمداني :

«واكظمِ الغيظ، وتجاوز عند المقدرة، واحلمُ عندَ الغضب، واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة»[٣].

وقد تواترت الروايات في الكافي، ووسائل الشيعة وبحار الانوار تؤكدان الامان والقرب من الله يوم القيامة هو الأجر الذي يستتبع كظم الغيظ .

سُئل المسيحُ (عليه السلام) عن العلة في الغضب فقال :

«الكبر والتجبّرُ ومحقرة الناس».

وجاء في وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤنين (عليه السلام):

«لا تغضب، فإذا غضبتَ فاقعد، وتفكّر في قدرة الربّ على العباد وحلمه عنهم، وإذا قيل لك اتَّقِ الله فانبذ غضبك وراجع حلمك».

التفاخر

ان التفاخر على الآخرين من قبائح الاخلاق، ومما عدَّه الاسلام من المعاصي والذنوب، ومن ابتلى بهذا الوباء الشيطاني يستحق النقمة الالهية الا ان يتوب ويؤوب إلى رشده وتواضعه .

---

١ ـ الكافي : ١١٠/٢ .

٢ ـ ميزان الحكمة : ٢٣٦٧/٧ .

٣ ـ نفس المصدر .

ان الزوجين إذ يجمعها ميثاق اخلاقيٌ وشرعيٌ، بعد ان ارتضى كلٌّ منهما الآخر من خلال لقائهما قبل الزواج ومعرفتهما باحوال كلٍّ منهما من ناحية الاسرة والثروة والجمال والقبيلة، واصبحا الآن يعيشان حياة مشتركة، يتعين عليهما ـ إذا ما حدث طارىءٌ ـ ان يتجنبا التفاخر الأُسري والمادي وذكر الحسب والنسب والثروة والجمال والشباب والعلم، إذ ان ذلك من شأنه إثارة كوامن النفس والغليان الباطني، وربما يثير الخجل، ويتسبب في اشعال نار الغضب والتذمر والحقد والعداء ويؤدي إلى ردود فعلٍ معاكسة لدى الطرف الآخر، وغالباً ما يجر إلى النزاع والمخاصمة والتفرقة والطلاق، وكل ذلك من العواقب الوخيمة الناجمة عن التفاخر ولا تقع تبعاتهما الّا في رقبة المتفاخر.

قال امير المؤمنين (عليه السلام):

«لا حُمقَ اعظمُ من الفخر»[1].

وفي كلام له (عليه السلام):

«ضع فخرك واحطُط كبرك، واذكر قبرك»[2].

ان التفاخر والخيلاء من القبح بمكان بحيث ان السجاد (عليه السلام) يدعو الله تعالى ضمن دعائه التاسع عشر في الصحيفة قائلاً:

«واعصمني من الفخر».

وقال علي (عليه السلام):

«ما لابنِ آدمَ والفخر، اوله نطفة وآخره جيفة، لا يرزقُ نفسه ولا يدفع حتفه»[3].

وقد ذكر الباري تعالى في كتابه وفي مواضع عديدة، ان الله لا يحب المتفاخر

١ ـ ميزان الحكمة: ٤١٤/٧.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ البحار: ٢٩٤/٧٣.

المتكبر، منها قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(١).

على اية حالٍ، ينبغي على كلٍّ من الزوج والزوجة تجنب التفاخر فيما بينهما على صعيد الاسرة والجمال والثروة والعلم، فكل ذلك زائل لا محالة، وان هذه الخصال الشيطانية انما هي مصدرٌ للمتاعب والازمات وذهول الفكر وسببٌ في زوال المودة والمحبّة ومدعاة لاثارة الخصام والنزاع والحرمان من رحمة الله سبحانه.

السلوك

يجب ان تكون تصرفات الزوجين ازاء بعضهما مثالاً للتأدب والوقار والرفقة والصداقة والتعاون والانسجام والمحبة والود والتواضع، وان يكون تعاملهما فيما بينهما قائماً على اساس الاحترام المتبادل وتقدير شخصية الطرف المقابل.

على الرجل ان يعرف ان المرأة مخلوقٌ رقيق ولطيف وهي منهلٌ للعاطفة والحنان ومصدرٌ للمحبة والود والحياء، وعليه ان يلحظ هذه الجوانب في تعامله معها، وعلى المرأة ان تعلم بأن الرجل مخلوقٌ قويٌّ وخشنٌ ويتميز بمواصفات تختلف كثيراً عن المرأة، وباختصار فإن صرح الحياة يقوم بوجود.

قال تعالى:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾(٢).

من هنا يتعين على الزوجات ملاحظة هذه الجوانب في تعاملهن مع

---

١ ـ لقمان: ١٨.

٢ ـ النساء: ٣٤.

ازواجهنَّ إذ ان الانسجام والحياة الهانئة انما تتحقق في ظل مراعاة هذه الحقائق من قبل الطرفين.

لنسعى من أجل أن يكون سلوك كلٍّ منا وتصرفه تجاه الآخر مصداقاً واقعياً للعمل الصالح والسلوك الصائب كي نفلح في تمشية الامور الحياتية، وكذلك ننعم بالأجر والثواب الاخروي نتيجة ما نقوم به من عملٍ وارضائنا بعضنا لبعض.

المنطق

ينبغي لكلٍّ من الزوج والزوجة ان يكون حديثهما وكلامهما فيما بينهما مقروناً بالحبّ والمودة وتعبيراً عن المشاعر والعواطف، ومثالاً للتعقل والاحساس والانصاف.

يجب اثناء تبادل الحديث التزام العدالة بالقول[١] والقول الحسن[٢]، والقول اللين[٣]، والقول الميسور[٤] والقول الاحسن[٥].

فعندما يصطبغ الكلام بالصبغة الالهية، ويكون التقييم تقييماً صائباً، وإذا كان الحديث سلساً ومبسطاً، والقول نابعٌ من العدل والانصاف فانه يضفي على الحياة الدفء والاستحكام والمحبّة والسلامة.

وإذا كان القول حقاً ويتصف ويتصف بنبرةٍ دافئةٍ مقترنة بالحنان والمحبّة، فإنّ جزاءه تفتح عين البصيرة واستماع نداء الحق تعالى، وهذا ما يؤيده قول رسول (ﷺ):

---

١ ـ الانعام: ١٥٢.

٢ ـ البقرة: ٨٣.

٣ ـ طه: ٤٤.

٤ ـ الاسراء: ٢٨.

٥ ـ فصلت: ٣٣.

«لو لا تكثير في كلامكم وتمريجٌ في قلوبكم لسمعتم ما اسمع ولرأيتم ما ارى»[١].

«فعليكم الكف عن اللغو والاسفاف في الكلام والادلاء بما لا ينفع في الدنيا والآخرة.

قال رسول الله (ﷺ):

«منْ حُسنِ اسلام المرء تركهُ الكلام فيما لا يعنيه»[٢].

مرَّ اميرالمؤمنين (عليه السلام) برجل يتكلم بفضول الكلام فوقف عليه، ثم قال: يـا هذا انك تُملي على حافظيك كتاباً إلى ربك فتكلّم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك.

وقال ابوذر (رضي الله عنه):

«اجعل الدنيا كلمتين: كلمة في طلب الحلال، وكلمة للآخرة، والثالثة تضرُّ ولا تنفع فلا يَرِدْها»[٣].

وقال رسول الله (ﷺ):

«كلُّ كلام ابنِ آدم عليه لا له الّا أمرٌ بمعروفٍ أو نهيٌ عن منكر أو ذكرُ الله»[٤].

وقال أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«مَنْ كثُر كلامه كثُر خطأهُ ومن كثر خطأه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعهُ مات قلبهُ، ومن مات قلبه دخل النار»[٥].

على الزوجين ان يـنصبَّ حـديثهما داخـل المـنزل حـول شـؤون الحـياة ومتطلبات المنزل وما يحتاجانه وكذلك ما يحتاجه الاولاد، وابداء الود والمحبّة تجاه بعضها البعض، والتواصي فيما بينهما بالحق والصبر، والمحافظة على اسرار بعضهما البعض وعدم نقل ما يـدور فـي المـنزل إلى بـيوت الاهـل والاقـارب

---

١ ـ كنز العمال.

٢ ـ ميزان الحكمة: ٨/٤٣٤ ـ ٤٤٠.

٣ ـ ميزان الحكمة: ٨/٤٣٤ ـ ٤٤٠.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ نفس المصدر.

والاصدقاء، ويجعلا من الدار موطناً يُتداول فيه قول الحق، والصلاة وتلاوة القرآن، وبُناى فيه عن الكذب والغيبة وقول السوء والفحشاء، إذ يستفاد من آيات القرآن الكريم والروايات ان الكذب والغيبة والبهتان والفحشاء وقول السوء والسخرية والاحتقار تُبعد الانسان عن رحمة الباري تعالى وتلقي به في لهوات النقمة الالهية.

على الرجل ان يحترز من استضافة اهل المعاصي في منزله واقامة المجالس التي تتنافي والتعاليم الالهية، إذ ان اضرار ذلك ستحيق به وبعياله وبذلك يضع اخرته وآخرة عياله في مهب الريح.

وعلى الزوجة ان تتورع عن الاسراف في تمشية شؤون الحياة وتتجنب الاهدار في الانفاق الذي ربما ينجم عن تقليد الآخرين، إذ ان لكلّ دينارٍ حساباً خاصاً يوم القيامة.

على الزوجين ان ينقلا حالة الوقار والتأديب والتدين وطهارة النفس بشكلٍ عمليٍّ إلى ابنائهما والمحيطين بهما وذلك من خلال سلوكهما وحديثهما وتصرفهما، وإذ ان هداية شخصٍ واحدٍ وان كان الولد بمثابة هداية الناس جميعاً.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾

النور / ٣١

(١٣)

الحجاب وطهارة المرأة

فوائد الحجاب

ان الخمار أو الحجاب الذي يستر محاسن المرأة وزينتها ويصونها من اعين المتطفلين الفاقدين للاب ومَنْ انغمسوا بالشهوة الحيوانية، والوقوع في احابيل الشيطان، انما هو حكمٌ قرآني وقانون الهي ومسؤولية انسانية وعملٌ اخلاقي.

والحجاب الاسلامي ـ وافضل انواعه الخمار الذي يمثل إرثاً تركته لنا رمز العفة والطهارة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ـ لا يحول أبداً بين المرأة وبين طلب العلم وبلوغ الرشد والكمال، بل يصونها من الكثير من الاخطار والمصائد التي نصبها ذوو الطبائع الحيوانية في طريق الجميلات والفتيات، ويحافظ على طهارتها وعفّتها وحيائها ويجعل ذلك منحصراً بزوجها، أو بمن سيكون من نصيبها في المستقبل ان لم تتزوج بعد.

ان جوهرةً نفسيةً وجميلة كالمرأة إذا ما حُفظت بين اكناف الحجاب فانها ستكون بمأمنٍ عن تطاول المتلصصين والناهبين والراكسين في وحل المعصية والرذيلة.

فإذا ما تحصنت الشابات عن الانظار ولم تقع أعين الناس على وجوههن الطاهرة البريئة، حينها ستخمد جذوة الاهواء والرغبات، وستنطفىء نيران الغرائز والشهوات ولا تقضي بلهيبها على طهارة أُمةٍ بكاملها ولا تدمّر صرح المبادىء المعنوية لبلدٍ بأكمله.

وإذا لم تقع اعين الشباب على جمال الفتيات والنساء ومحاسنهنّ التي تبهر

الانظار في الشارع والسوق والمتنزهات والاماكن العامة والمستشفيات والمؤسسات والمراكز التجارية. لا يطلقون حينها العنان لنظراتهم واهوائهم وميولهم في مطاردة الفتيات والتجاوز على نواميس الناس، ولا يُصابون بالركود الذهني والانهيار العصبي والبلوغ العاجل، ولا يلجأون إلى الاستمناء واللواط والزنا ولا يستحوذ عليهم شرود الافكار والمنغصات والقلق وفقدان الاهتمام بالتحصيل العلمي، والعلاقات غير المشروعة والامراض النفسية، وبالتالي تعطيل قدراتهم الانسانية.

بناءً على ذلك ينبغي القول: ان الحجاب واجبٌ على المرأة، وفرضٌ مبرمٌ، ولا شك في كفر من ينكره وخروجه عن الاسلام وهو يعلم بأنّه من ضروريات الدين وهو من اوامر الله التي وردت في القرآن الكريم.

والشاب الذي يُنكر الحجاب لا يمكنه الزواج من المسلمة، إذ أنّ هذا الزواج باطلٌ ولا يترتب ايُّ أثر للعقد الموقع بينهما، والعلاقة التي تجمعهما تعتبر علاقة محرّمة، وابناؤهما ابناء حرامٍ وفعلهما بحكم الزنا، وكذا الحال بالنسبة للمرأة التي تنكر الحجاب فإنّ الأحكام ذاتها تجري بحقها.

فالحجاب يحافظ على وقار المرأة وشخصيتها وكرامتها وعظمتها ويحتفظ بجمالها ومحاسنها للزوج فحسب.

وفي نفس الوقت الذي تلتزم به المرأة بحجابها فإن بامكانها تسلق مدارج التحصيل العلمي وطيّ سبيل الكمال والفضائل، وما يثار من أنّ الحجاب يمثل حائلاً لها في طريق التكامل والرقي ما هو الآ من وساوس الشيطان وايحاء فكريٌ خاطىء القاه المستعمرون الناهبون واللصوص الذين ينقضون على النواميس واذناب الشرق والغرب.

ان حالة التآلف التي تسود كيان العائلة واستحكام العلاقة بين الزوجين

ودوام الحياة الزوجية واستكانة قلوب الرجال ورسوخ انسجام الرجل ومحبته مع زوجته الشرعية وتشييد الكيان العائلي وتوطيد ثقة الرجل وركونه لزوجته، كل ذلك مرهون بالتزام نساء البلد بالحجاب وعدم وقوع انظار الرجال على محاسن وجمال غير نسائهم.

فإذا ما تسنى للرجال ان تمتد ايديهم للنساء بيسر وسهولة وفي جميع المرافق الاجتماعية فلن يكون هنالك ضمان للمحافظة على محبتهم وتعلقهم بزوجاتهم وسيؤدي تهييج شهواتهم ورغباتهم إلى قتل حالة الرغبة فيهم نحو حياتم الزوجية وسيتحولون إلى معاول تدمر كيان العائلة الدافيء.

ان الاضرار الناجمة عن السفور واطلاق العنان للنساء والحرية الممنوحة لهنّ بنمطها الغربي، مما لا تعد ولا تحصى، فقد تسبب السفور إلى الآن باغواء الملايين من الرجال، وانزلاق آخرين في الموبقات، وتفشي الطلاق بين الوائل، وبروز ظاهرة الغرام بين الرجل والمرأة المتزوجة، والعلاقات غير المشروعة، وكما اراد اليهود والنصارى فقد اصبح سبباً في خروج الكثير من الرجال والنساء من رحاب الاسلام والتدين.

وقد شعر الذين أرسوا قواعد السفور بالانزعاج من هذه الظاهرة معتبرين إياها من الظواهر المشؤومة التي برزت خلال القرون المتأخرة.

لقد كان نظام الاسرة في ايران نظاماً قوياً راسخاً يقوم على اساس الحياء والعفاف والاتزان والآداب، والايمان والتقوى ومن النادر ان يحصل فيه، بيد إنه ومنذ ان سلّط الاستعمار ذلك الجاهل اللئيم والخائن القذر رضاخان بهلوي وبادر إلى خلع الحجاب من النساء تبدل وضع البيت والاسرة فارتفعت حالات الطلاق إلى الحد الذي بلغت فيه طلبات الطلاق المقدّمة إلى المحاكم خلال الفترة الاخيرة من حكم هذه العائلة سيئة الصيت ما بين ستة آلاف إلى سبعة آلاف طلب

في الشهر الواحد، فاصبح المتزوجون بلا نساء والمتزوجات بلا رجال، وبذلك فقد انضمت الفئتان إلى المجتمع متفرغين من رباط الزوجية واخذوا بنشر الفساد والافساد.

وبعد واقعة كشف الحجاب كان المرجع الكبير آية الله الشاه آبادي (ﷺ) ـ وكما نقل لي من استمع له ـ ينادي كراراً من على منبره وفي المحافل العامة والخاصة: ان رضاخان بسطوه على الحجاب وقتله للثائرين ضد السفور في مسجد گوهرشاد وحرم الامام الرضا (ﷺ) قد قصم ظهر مائه واربعة وعشرين الف نبي!!

نعم، فإنّ ذلك العارف المتألّه البصير الذي كان مجتهداً متضلعاً في الأحكام الاسلامية والفلسفة ومتبحراً قلّ نظيره، كان يعتبر كشف الحجاب والسفور قصماً لظهور رسل الله!!

يقول سيد قطب في كتابه «هل نحن مسلمون؟»: طبقاً للوثائق التي بحوزتي، فإنّ أحد البابوات جمع كافة القساوسة والكاردينالات في الفاتيكان وطلب منهم تقديم ما يقترحونه من اجل القضاء على الاسلام واخماد جذوته باسلوبٍ لا يكلّف الفاتيكان والمسيحية الكثير من التكاليف، فتشكلت اللجان لهذا الغرض، وبادر الكل لابداء وجهات نظرهم، ومن بين جميع الآراء والنظريات حظي رأيٌ واحدٌ بموافقة البابا وسائر القساوسة والكاردنيالات، ومفاد هذا الرأي: ان امضى سلاحٍ وأزهد سبيل للقضاء على الاسلام يتمثل في اخراج النساء المسلمات من الحجاب وتعريضهن امام الشباب والرجال سافرات في الزقاق والسوق والاماكن العامة والمتنزهات وصالات السينما والمؤسسات والمراكز التجارية والمسارح والمراكز الاجتماعية!

وقد جرى تنفيذ ذلك على ايدي الخونة، وقد ساعدت رغبات ونزوات من

ضعف ايمانهن أو فقدن الايمان على اضرام نار هذه الفتنة المدمرة، ووصل الحال في البلاد الاسلامية ولا سيما في ايرن إلى ان يمحى الاسلام من الوجود، الاسلام الذي يعتبر حصيلة جهود الانبياء والائمة والعلماء، ويُخمد نبراس هدايته، الّا ان يد الحق تعالى امتدت من جديد عن طريق سليل النبوة وحفيد الامامة، أي محطم الاصنام الخميني الكبير (ﷺ) لتوجه صفعة للناهبين وتنقذ الاسلام من قيود الاشرار وتعيد الحجاب التستر به نواميس المسلمين.

يتعين على ابناء الامة الاسلامية الحافظة على هذه الثورة التي قادها ذلك الرجل الالهي، والدفاع عن قيمها وان لا يَدعُوا مجالاً للاعداء في تشويه هذا النور أو اخماده ويعيدوا الشعب الايراني إلى الوراء، كي يتسنى تصدير ثقافة الثورة بكل صلابة وثبات واعادة سائر الشعوب الاسلامية إلى حظيرة الاسلام.

من خلال ما تقدم ندرك اهمية قول المفكر الشهيد المطهري الذي طالما نادى في خطبه: ان الحجاب صيانة وليس تقييداً.

نعم، فالحجاب صيانةٌ للمرأة وزوجها واسرتها والمجتمع لا سيما الشباب ومَنْ لم يدخلوا بيت الزوجية بعد، صيانةٌ من آلاف الاخطار وشتى المفاسد، وسداً يقف امام انهيار كيان الاسرة الدافيء.

وقد أكد المحققون ان حجاب المرأة قد ذُكر في اربع عشرة آية من آيات القرآن الكريم فيما يعتقد البعض ان هذا المعنى يستشف من ما يناهز الخمس وعشرين آية.

في كلام لأميرالمؤمنين (ﷺ) مع ابنه الحسن (ﷺ) ـ وبالحقيقة انه (ﷺ) يخاطب الناس جميعاً ـ يقول (ﷺ): «... **واكفف عليهنّ من ابصارهنّ بحجابك إياهنّ فإنّ شدّة الحجاب خيرٌ لك ولهنّ من الارتياب، وليس خروجهنّ بأشد من دخول من لا**

يوثق به عليهنّ. وان استطعت ان لا يعرفن غيرك من الرجال فافعل»[1].

وفي رواية ، يقول الراوي : **كنت قاعداً في البقيع مع رسول الله(ﷺ) في يوم دجنٍ ومطر إذ مرّت امرأة على حمار فهوت يد الحمار في وهدةٍ فسقطت المرأة فاعرض النبي(ﷺ) بوجهه، قالوا: يا رسول الله! انّها متسرولة، قال: اللهم اغفر للمتسرولات، ثلاثاً، يا ايّها الناس! اتخذوا السراويلات فانها من استر ثيابكم وحصّنوا بها نساءكم إذا خرجن**[2].

على المرأة ان تعترف بعبوديتها لله تعالى وترعى ما وهبها من نعمٍ، ورعاية مواهب المنعم والمالك والربّ الحقيقي تتمثل بتعظيمه والخشية من المعاد ومحكمته، وان تطيع أحكامه التي وردت في القرآن الكريم وجرت على لسان الانبياء والائمة كي تأمن هي واسرتها ومجتمعها من الوقوع فريسة للسفور والتبرج، وقد قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ «٤٠»
فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[3].

ومما يؤسف له ان الكثير من البنات والنساء في هذا الزمان وعلى امتداد عالمنا قد سلكن طريق التحلل واطلقن العنان لشهواتهن وغرائزهن وبسطنَ مائدة الفساد والافساد بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ، وما يحزّ في النفس إن طائفة من بنات المسلمين ونسائهم ممّن يُحسبنَ على رسول الله (ﷺ) قد اخذن بتقليد تلكم النساء.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) بشأن هاتيك النساء :

---

١ ـ البحار : ٢١٤/٧٧.

٢ ـ ميزان الحكمة : ٢٥٩/٢.

٣ ـ النازعات : ٤٠ ـ ٤١.

«يظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة، وهو شر الازمنة، نسوةً كاشفات عاريات، متبرجات، من الدين خارجات، في الفتن داخلات، مـائلات إلى الشـهوات مسـرعاتٌ إلى اللذات، مستحلات المحرمات، في جهنم خالدات»[1].

واقعةٌ مدهشة

قرأت ذات مرّة في صحيفة كيهان واسعة الانتشار، ولا أتذكر العدد:

ان امرأة شابة ـ وهي نموذج لما ورد في الرواية عن أمـير المـؤمنين (عليه السلام) ـ نتيجة لما تتمتع به من حرية على النمط الغربي وكثرة الوافدين على بـيتها مـن اصدقاء زوجها، وظهورها امامهم سافرة شبه عاريةً وترددها عـلى المـجالس المختلطة، ومع انّها كانت أُماً لطفلة في الثالثة من العمر، وقعت في غرام شـابٍ واخذت تراودها أحلام الوصول اليه، فيما كان ذلك الشاب منغمساً في الشـهوة فاقداً للدين واخذت هذه الشابة المتزوجة تثير نزواته، فـقال للـمرأة: ان هـذه الطفلة تعرقل ما نصبو اليه ولابد من ازاحتها عن طريقنا!!

فاستمر الجدال بين العشيقين الفاسقين ذوي النفس الحيوانية حول الطـفلة البرئية إلى ما يقرب من اربعة اشهر، اندفعت بعدها الأُم ـ التي خُلقت لتكون منهلاً للحنان والعاطفة ومنبعاً للرحمة والرأفة ـ ونتيجة لغلبة الشهوة عليها ورغبتها في السقوط بين احضان الآخرين وتناسب امومتها فجّرت طفلتها البـريئة الجـميلة ذات الشعر الذهبي إلى الحمام وخنقتها بيديها الآثمتين، كي تـزيل مـا يـضايق شهوتها ونزوتها، ويصيب ذلك الشـباب المـنحرف مـراده للـحظات مـعدودةٍ، وتحقق المرأة المتزوجة رغبتها الجنسية لبضع دقائق دون حياء، وبذلك تـلوث

---

١ ـ الوسائل: ١٩/١٤.

سمعتها إلى الابد وتحرق كيان زوجها بنارٍ لا تخمد ابداً وتبتليه بمصيبة اليمة .

لو كان زوج تلك المرأة غيوراً ولا يَدَع زوجته الشابة الجميلة تتلاقفها العيون وبامكان الجميع النظر اليها وهي على ذلك الجمال الجذّاب لما قُتلت تلك الطفلة البريئة واحترق فؤاد أبيها بنارٍ ابديةٍ ، ولما خُدشت عفة زوجته ، ولما وقع الشاب بهذا الشكل في اتون الشقاء والتعاسة ، ولما انهار كيان هذه الاسرة الفتية ، نعم فالحجاب صيانة وليس تقييد .

آراء مفكري الغرب حول اوضاع المجتمع الغربي

في مقالة له كتب بيزرائيلي أحد رؤساء الوزراء في بريطانيا ـ البلد الذي يعد في طليعة مراكز الفساد والافساد : ما اكثر الاعمال الجنونية التي اواجه خطر ارتكابها ، بيد انني احاول تجنب واحدٍ منها بكل حزمٍ وان لا اخطوا فيه خطوة واحدة ، وذلك هو الزواج عن طريق الغرام ، فكلما تصادفني فتاة في الشارع أو السوق اميل اليها واقول انّها الزوجة المثالية بالنسبة لي .

ان هؤلاء الجهلة اخرجوا هذه الجوهرة النفيسة الطاهرة من رحاب العفة والبراءة والحجاب واطلقوا لها اليد في ان تمارس ما تمليه الشهوة ثم القوا بها جانباً بذريعة الهروب من الزواج الغرامي ، لانهم وجدوا هذه الجوهرة قد فقدت قيمتها واهميتها واخذت تتنقل بين الاحضان وترتكب كلَّ ما يتنافى مع العفة والادب ويتعارض مع الوقار والانسانية .

وكتبت السيدة ـ ال زيماري ـ وهي شاعرة وكاتبة سويدية في مقالةٍ مهمة لها في صحيفة اكسبرس حول المجمتع الاوربي ، تقول : ان الرجال لا يعرفون للوفاء والصدق معنىً ، فهم يمكرون بالنساء ! نقول لهذه السيدة : منذ ان اوقعتم المرأة في وحل التبرج والتحلل والسفور وجعلتموها رهينة الشهوات والنزوات الطائشة

باسم الحرية، واستطاع الرجال امتاع انظارهم منها وهي شبه عارية بكل يسر وسهولة متى ما شاؤوا، حينها فقدوا ما لديهم من وفاء وصدقٍ تجاه زوجاتهم وعوائلهم وتحولوا إلى اناسٍ ماكرين مخادعين.

ان آثار التبرج والسفور وحريه المرأة في اقامة العلاقات مع من تشاء وما نجم عن هذه الظاهرة من افرازات هو مما يستعصي على الحاسبات حصرهُ.

نتيجة لرؤية الرجال لهذه المشاهد فقد تنصلوا عن زوجاتهم، وكما يعبر عنه بالخلاص من تكاليف المنزل التي كانت على عواتقهم، وتوجهوا نحو الاسواق الحرّة لاشباع غرائزهم، وحيث ان من لم يتزوج من الشباب وجدوا ما يطفيء جذوة شهوتهم بازهد الاثمان فقد عزفوا عن بناء الحياة الزوجية وتوجهوا نحو المغازلة واصطياد نواميس الناس، وهكذا انهار البناء العائلي في الغرب ومَن قلّدهم من الشرقيين وتحولت الاوضاع إلى ما يشبه حياة الغاب.

وتضيف السيدة الزيماري في مقالتها: هنالك الكثير من الآنسات الحسناوات في جميع انحاء السويد حالياً ممن يحملن بالزواج، وكثيرٌ منهنَّ قد اضطررن لاقامة علاقات مع الرجال.

نعم، فهنَّ بانتظار من يتقدم للزواج منهنّ، ولكن ليس هنالك من يتقدم للزواج، لان الشباب بامكانهم الحصول على النساء بايّ كيفية شاؤوا، ولا يرون بأنفسهم حاجة للزواج، وهنالك الكثير من الرجال المتزوجين قد طلّقوا زوجاتهم كي يتسنى لهم ارضاء غرائزهم بحرية!!

ثم تقول السيدة الزيماري: وصيتي للفتيات ان لا يقمن أي علاقة مع أي رجلٍ قبل الزواج.

أيُّ دعوة مهمةٍ هذه؟ انّها دعوة لا تمثل حلاً عملياً لما تعيشه المرأة حالياً من وضعٍ في العالم قاطبة، ومع ما يعيشه الرجل من طيش في المجتمع الغربي، فإذا

ما اراد العالم ان ينال الصلاح والسداد عليه العمل بالاحكام الشرعية والانسانية للاسلام فيما يتعلق بالمرأة، وفي مقدمة هذه الأحكام عودة المرأة الى حـجابها ورجوعها إلى عفتها وبراءتها ووقارها وحيائها، وفي غير ذلك ليس هنالك مـن علاج لهذه المفاسد الهدّامة.

ان الظلم الذي مارسه الغرب بحق المرأة لا نـظير له عـلى امـتداد التـاريخ البشري، فقد وجّه اهتمام المرأة وارادتها نحو الزينة والتـبذل وغـوايـة الرجـال والظهور في الشوارع والاسواق واشاعة الفساد في كافة جوانب الحياة، وبدَّلها إلى سلعة رخيصة لاثارة الشهوات، واسـتغلها لكسب المـال والثـروة وارضـاء الشهوات.

قال علي (عليه السلام) في نهج البلاغة:

«ان البهائم همُّها بطونها، وان السباع همُّها العدوان على غيرها، وان النساء همُّهنَّ زينة الحياة الدنيا والفساد فيها، ان المؤمنين مستكينون، ان المـؤمنين مشـفقون، ان المؤنين خائفون»[1].

درس من واقعة الحسين (عليه السلام)

يروى ان الحسين (عليه السلام) اوصى اخته زينب (عليها السلام) قبل ان يتوجه إلى سـاحة القتال ان تجمع ما لدى النساء من حلِّي وإذا ما استشهد (عليه السلام) وهجم الاعداء على المخيم تلقي تلك الحلي أمامهم لينشغلوا بها وتتمكن العيال من اللجوء إلى مكانٍ آمنٍ.

وقيل ان يزيداً لما اخذ يضرب ثغر الحسـين (عليه السلام) بـالقضيب رأت احـدى

---

١ ـ نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩، ب٢٠١٣، ص ١٦٠.

جواريه الزهراء (ﷺ) في المنام وهي تدعو بالويل على يزيد، فقامت هذه الجارية من نومها مذعورة مضطربة وتوجهت إلى مجلس يزيد حاسرة الرأس ولما رآها يزيد صاح بها والقى عليها إزاره.

واعجبا! إذ ان يزيداً شارب الخمور اللاعب بالكلاب والقردة لم يتحمل ان تخرج جاريته حاسرة الرأس والقى عليها ازاره وابعدها عن الاجانب، الا ان هنا لك من الرجال مَنْ غيرة له على ناموسه فيخرج زوجته سافرة متزينة ويدعها تذهب اينما شاءت أو يصطحبها معه!!

قال النبي (ﷺ) حول الغيرة.

«ان الغيرة من الايمان»[1].

وقال الصادق (ﷺ):

«ان الله غيورٌ يحبُّ كلَّ غيور، ومن غيرته حرَّم الفواحش ظاهرها وباطنها»[2].

الحجاب ونظرة السوء في القرآن

ان التبرج والسفور من الممارسات القبيحة، ومفاسدهما ما لا حصر لها، وان تحريمهما نابعٌ من غيرة الله سبحانه، فطوبى لمن سار على هدي الحق تعالى وغار على ناموسه.

وحيث انّه لا مناص للرجل والمرأة من التردد في الشوارع والاسواق وبيوت الاقارب والحضور في المحافل والمدارس والجامعات لكسب العلم، والسفرات الترفيهية ولغرض الزيارة، فقد ورد في القرآن الكريم ما يعد حكماً واجباً بحق المرأة، وآخر بحق الرجل والمرأة لغرض المحافظة سلامتهما العقلية

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٣٥٧/٧ـ٣٥٨.

٢ ـ نفس المصدر.

والروحية، اما بشأن النساء فقد قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾(١).

اما فيما يتعلق بالاثنين:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾(٢).

قال الامام الصادق (عليه السلام): ان عيسى قال لاصحابه:

«إياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة، وكفى به لصاحبها فتنة، طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل بصره في عينه»(٣).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«ليس في البدن شيء أقل شكراً من العين فلا تعطوها سُؤلها فتشغلكم عن ذكرالله عزوجل»(٤).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله):

«لكل عضوٍ حظٌّ من الزنا، فالعين زناه النظر»(٥).

وحينما قالت بنتُ شعيب لابيها ـ وهو ما اورده القرآن ـ:

«يا ابتِ استأجره انَّ خير من استأجرت القوي الأمين.

قال لها شعيب (عليه السلام): **يا بنيّة هذا قويٌّ قد عرفتيه بدفع الصخرة، الأمين من اين عرفتيه؟ قالت: يا أبتِ اني مشيت قدّامه، فقال: امشِ من خلفي فإنْ ضللتُ فارشديني إلى**

---

١ ـ الاحزاب: ٥٩.
٢ ـ النور: ٣٠ ـ ٣١.
٣ ـ البحار: ٢٨٤/٧٨.
٤ ـ البحار: ٣٦/١٠٤.
٥ ـ نفس المصدر.

الطريق فانا قومٌ لا ننظر في ادبار النساء»[١].

وقال رسول الله (ﷺ):

«مَن ملأ عينه من حرامٍ ملأ الله عينه يوم القيامة من النار الّا ان يتوب ويرجع»[٢].

وعن رسول الله (ﷺ) عن الله سبحانه:

«النظر سهمٌ من سهام ابليس، من تركها من مخافتي ابدلتُهُ ايماناً يجدُ حلاوته في قلبه»[٣].

محارم المرأة في نظر القرآن

ان كتاب الله الذي يعتبر كتاب هداية ومصدر سعادة وبناءٍ للذات ومبعث خير للعالمين في الدنيا والآخرة وضَّح من خلال آيةٍ واحدةٍ مَنْ هم محارم المرأة كي تعرف الذين يحلّ لها ان تبدي زينتها أمامهم، ومَنْ تُخفي زينتها أمامهم، يقول تعالى:

﴿...وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ، وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤].

---

١ ـ البحار: ٣٢/١٣.

٢ ـ ميزان الحكمة: ٧٨/١٠.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ النور: ٣١.

فيا ايّتها المسلمات، والبنات من امة محمد (ﷺ) ! اطعنَ الأحكام الالهية من أجل خير دنياكنَّ وآخرتكنَّ.

ويا ايّها الغيارى، ايّها الشباب! حافظوا على نواميسكم من تجاوزات الطائشين وذلك بالتزام الحجاب الاسلامي، واجعلوا من زوجاتكم ملكاً لكم، لا أن يتلذذ الآخرون بجمالهنَّ وزينتهن واجسادهنَّ. وهذا خلاف الغيرة والرجولة والاخلاق والشرف والمروة.

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾

النساء / ٧٩

١٤

الامن في الحياة

الحسنات والسيئات

ان الانسان كائن مركّب من العقل والقلب والروح والجسم، ولكل بعدٍ من كيان الانسان هنالك حسنات وسيئات، والحسنات جميعها من الله سبحانه، أما السيئات فمنشؤها الإنسان نفسه.

ولا يصدر عن الوجود المقدّس المذكورة اوصافة في كتاب الله مثل الرحيم، الرحمن، الرب، الودود، الغفور، الكريم، اللطيف، البارىء، المصور، القدوس، العزيز الّا الخير والاحسان والرحمة والبركة.

ولا نتيجة عن الجهل والحقد والحسد والضغينة وضيق الصدر والحرص والطمع والكسل غير السوء والشر والخسران.

ان كسب الحد الأدنى من العلم والمعرفة والبصيرة التي تحرّك عجلة الحياة وتنوّر الحياة بشقيها الباطني والظاهري وتساعد على ادارة شؤون الزوجة والولد وتمنح الانسان رؤية صحيحة للكون وعالم الوجود، يعتبر تارةً واجباً عينياً على الانسان واخرى واجباًكفائياً، فتعلُّم القضايا الأساسية كمعرفة الله والمعاد والنبوة والولاية يعتبر أمراً ضرورياً وواجباً عينياً، وتعلّم المسائل الفقهية والعلوم المادية بقدر الحاجة يعتبر واجباًكفائياً.

ان العلم والمعرفة بمثابة لقمة لذيذة وخير عظيم قرنه الله سبحانه بالنجاح الضروري لنموّ عقل الانسان وكماله وقابليته على الادراك.

وحينما يقترن العقل ـ وهو هبة من الله ـ بخير آخر وهو التوفيق والمعرفة

يتلألأ في باطن الوجود بحرٌ من نورٍ يوفر جانباً من الأمان الباطني الذي يسري بشكلٍ طبيعي من الانسان إلى الزوجة والولد، حيث ينهلان إلى جانبه من نعمة الأمن الباطني، وبالتالي تتنور اجواء الحياة بنور الاستقرار إلى حدٍ ما.

ان العلوم الدينية في حدود الواجب العيني، والمسائل الفقهية، اي معرفة الحلال والحرام، والعلوم المادية بالقدر الضروري، ضرورية بالدرجة الاولى لرب الأُسرة الذي يمسك بزمام إدارتها، وفي المرحلة اللاحقة تعتبر ضرورية للمرأة والولد ليعيشوا معاً في مملكة البيت الصغيرة متعمتعين بالمعرفة والبصيرة والوعي ويأمنون شر الجهل واضراره والخسائر المترتبة على عدم الفهم.

نعم، ان المعرفة بحدود سعتها تفيض بالأمن، أما الجهل فهو يفرز الخسران والدمار.

الجهل

ثمة روايات مهمة وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) اعتبرت الجهل موتاً معنوياً، واضرُّ للحياة من الأكلة الضارة بالنسبة للبدن، وانّه داءٌ وعياءٌ وسببٌ في الانحدار والشقاء الأبدي، ومفسدٌ للمعاد، وأصلُ الفساد على كافة الأصعدة، ومعدن الشر، وعدوٌ لدود للانسان، وسبب الكفر والضلال، وحائلٌ دون قبول الموعظة والنصيحة، ودافعٌ نحو الافراط والتفريط.

قال أمير المؤنين (عليه السلام):

«الجهل موتٌ... الجهل داءٌ وعياءٌ، الجهل يُزلُّ القدم، الجهل يفسد المعاد، الجهل أصل كلِّ شرٍّ، الجهل معدنُ الشرّ»[1].

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٢: ١٥٤.

وسُئل رسول الله (ﷺ) عن علامات الجاهل، فقال:

«إن صَحِبْتَهُ عنّاك، وان اعتزلته شتمك، وان اعطاك مَنَّ عليك، وان اعطيته كفّرك، وان اسررت اليه خانك»[1].

وإذا كان رب الأُسرة جاهلاً بالمسائل المعنوية والأصولية والجوانب المادية والظاهرية فإنّه يصبح مصدراً للاضطراب واللاأمن والأذى والعناء في البيت وخارجه، وعندها يتعرض المال والثروة والحياة الزوجية والأولاد إلى الخطر والخسران.

ان تأكيد الاسلام على كسب المعرفة والتحلي بالبصيرة في الأمور المعنوية والمادية بالمقدار اللازم إنما هو من أجل توفير الأمان ظاهرياً وباطنياً وغرسه في نفوس الزوجة والأولاد والمحافظة عليهم من شر الانسان وخطره، ولا يلحق الضرر بدنياهم وآخرتهم أو يستحوذ عليهم الشقاء.

ورد في الكتب الاسلامية ان المسيح شوهد يوماً هارباً فسأله رجلٌ عن السبب فكان جوابه انّه هرب من الجاهل.

نعم، يجب الهروب من الجهل والجاهل اتباعاً لسيرة الأنبياء وتأميناً للسعادة في الدنيا والآخرة.

ان الجاهل فقيرٌ وان كان ثرياً، والعالم الواعي ثريٌ وان كان فقيراً.

العلم والمعرفة

على ضوء ما جاء في كتاب الله الخالد: ان الذين يعلمون ليسوا بمنزلة واحدة مع الذين لا يعلمون على جميع الأصعدة.

١ـ تحف العقول: ٢٨.

﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١].

وقال رسول الله (ﷺ):

«إذا أتى عليَّ يومٌ لا ازداد فيه علماً يقربني إلى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع الشمس ذلك اليوم»[٢].

وعنه (ﷺ) انّه قال:

«قلبٌ ليس فيه شيءٌ من الحكمة كبيتٍ خربٍ، فتعلّموا وعلّموا وتفقّهوا ولا تموتوا جهالاً فإنّ الله لا يعذر على الجهل»[٣].

وفي كتاب غرر الحكم ينقل عن أمير المؤمنين (ﷺ) وصفه العلم والمعرفة بما يلي: العلم يُنجد، العلم حجابٌ من الآفات، العلم أفضل غنية، العلم مصباح العقل، العلم نعم دليل، العلم افضل هداية، العلم جمال لا يخفى، العلم أفضل الأنيسين، العلم أفضل الاحساب، العلم ضالة المؤمن، العلم قائد الحلم، لاكنز انفع من العلم، كفى بالعلم شرفاً.

وفي جملة موجزة يوضح رسول الله (ﷺ) كافة الحقائق الناجمة عن العلم والمعرفة في الدنيا والآخرة.

«العلم رأس الخير كلّه»[٤].

ويذكر الامام علي (ﷺ) سبعة فوارق جوهرية بين المال والعلم حيث يقول (ﷺ):

الأول: العلم ميراث الأنبياء، والمال ميراث الفراعنة.

---

١ ـ الزمر: ٩.

٢ ـ ميزان الحكمة: ٤٤٩/٦.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ البحار: ١٧٥/٧٧.

الثاني: العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص بها.

الثالث: يحتاج المال إلى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه.

الرابع: العلم يدخل في الكفن ويبقى المال.

الخامس: المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل الّا للمؤمن خاصة.

السادس: جميع الناس يحتاجون إلى صاحب العلم في أمر دينهم ولا يحتاجون إلى صاحب المال.

السابع: العلم يقوّي الرجل على المرور على الصراط والمال يمنعه[1].

ان السفينة الفارغة أكثر تعرضاً إلى خطر الأمواج والتحطم والتيه والغرق في عرض البحر، أما السفينة المحمّلة والثقيلة فهي تشق الأمواج وتسير باطمئنان وامانٍ نحو غايتها، والأولى مثلها كالانسان الجاهل، أما الثانية فهي كالبصير الواعي والعارف.

كيف يتصرف مَنْ تحلّى بباطنٍ زاهرٍ بنور التوحيد، وقلبٍ مطمئنٍ بالحقيقة وفؤادٍ يعيش في ظل القيامة، ويعلم ان ذلك اليوم يوم:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[2].

ويرى انّه مسافرٌ في هذه الدنيا، وان الآخرة هي دار البقاء، ويعتبر نعم الله امانةً لديه، وانّه مكلّفٌ ومسؤول تجاه كل واحدة من هذه النعم، ويرى ان الزوجة والأولاد والبيت والمتجر والثروة كلها من عطاء الله وتقوم علاقته مع جميع الأشياء على ضوء المعرفة؟

من المسلّم انّ تصرفه سيكون نابعاً من الحكمة، وعمله نورانياً، وتحركاته عين الحقيقة، وتعامله مع كل شيء لا سيما الزوجة والأولاد يقوم على أساس

---

١ ـ البحار: ١/١٨٥.

٢ ـ الزلزال: ٧ ـ ٨.

الصلاح والسداد والرأفة والرحمة والكرامة، ومثل هـذا الانسـان يـفيض امـاناً وطمأنية سواء في داخل البيت أو خارجه، ويعيش الآخرون معه بكل اطمئنان وهدوء وثقة، وهذا ما يريده الاسلام من الرجل بصفته رباً للاسرة وزوجاً وأباً.

القلب مصدر الحقائق

وردت في النصوص الاسلامية تعابير عجيبة بشأن القلب، مثل: حرم الله[1]، عين[2]، امام[3]، سلطان[4]، وعاء[5]، ونسبت إلى القلب بعض الأوصاف منها: السلامة، المرض، الطيب، الخبث، اللين، الكبر، النورانية، العمى، السقوط، الاقبال، الادبار، الحياة، الموت، السعة، الختم، الطبع، الزيغ، القسوة، وهي تعابير وردت في القرآن الكريم وفي كتب مثل الكافي، الشافي، البحار، الوسائل، المستدرك، تحف العقول، روضة الواعظين، المحجة البيضاء، وقد ذكر لكلٍّ من هذه التعابير معنىً.

والقلب وعاءٌ عجيبٌ يحرز صاحبه الراحة والاطمئنان أذا ما صُبَّ فيه الايمان بالحق تعالى واليوم الآخر بالطهارة، والنورانية والحياة والخوف من العذاب، والاخلاص والرأفة، والرحمة والمحبة، ويعيش صاحبه بأمانٍ وسلامة مع من يرتبط بهم، وأما إذا كان هذا الوعاء مركزاً للطمع والبخل والحرص والحسد والضغينة والنفاق والكفر والشرك والقسوة وسوء الظن وما شابه ذلك من

١ـ البحار: ٢٥/٧٠.

٢ـ ميزان الحكمة: ٢١٢/٨.

٣ـ البحار: ٥٣/٧٠.

٤ـ ميزان الحكمة: ٢١٦/٨ـ٢١٨.

٥ـ نفس المصدر.

الطبائع فإنّ صاحبه سيتحول إلى مخلوقٍ خطير وضارٍ خبيث وظالمٍ لا يأمنه أحد.

ولابد من الاشارة إلى من لم يتزوج بعد من الشباب: إذا رأيتم قلوبكم قد تلوثت بهذه الطبائع الذميمة فعليكم المبادرة إلى اصلاحها ومن ثم المبادرة إلى الزواج كي تشعر البنات بالأمن وهنّ يغادرن بيوتهن ويودعنّ احضان آبائهن وامهاتهنّ الطافحة بالمحبة والحنان يحدوهنّ الأمل نحو بيوتكم ومن ثم ينجبن لكم الذرية، ويعشنّ معكم بكل طمأنينة، فيتمكن من اداء مسؤليات الزوجية والأمومة على أحسن وجه.

وان الدار التي تفتقد للأمن، والانسان المخل بالأمن مثلهما كجهنم، والويل لمن لا يأمنه عياله ويحيون معه بمرارةٍ وشقاء دائم، والويل لمن يتجرع زوجها وأولادها منها الشقاء والعناء والتي تعمل على تبديل جو الأُسرة إلى جوٍّ مليء بالرعب والفوضى دون وجلٍ من الله سبحانه، والويل للذين يؤذون والديهم ولا يأمن جانبهم.

ولأميرالمؤمنين (ﷺ) تصورٌ عجيب حول القلب فهو ان لم يرتبط بالله سبحانه ويكون مفعماً بمحبته فايُّ بلاءٍ سيجلبه لصاحبه، يقول (ﷺ): أعجبُ ما في الانسان قلبه وله موادُّ من الحكمة، واضدادها من خلافها فان سنح له الرجاء أذلّهُ الطمع، وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وان سعد بالرضا نسي التحفظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمن استلبته الغرّة، وإن جدّدت له النعمة اخذته العزّة، وان اصابته مصيبةٌ فضحهُ الجزع، وإن استفاد مالاً اطغاه الغنى، وإنْ عضّته فاقة شغله البلاء، وإن جهده الجوع قعد به الضعف، وإنْ افرط في الشبع كظّته البطنة،

فكلُّ تقصير به مضرٌّ، وكل افراطٍ به مفسدٌ[١].

وحول سلامة القلب ومرضه روي عن رسول الله (ﷺ) قوله:

«في الانسان مضغةٌ إذا هي سلمت وصحّت سلم بها سائر الجسد، فإذا سقمت سقم بها سائر الجسد وهي القلب»[٢].

وعنه (ﷺ) انّه قال:

«ان لله تعالى في الأرض أواني الا وهي القلوب، فاحبُّها إلى الله ارقُّها واصفاها واصلبها، أرقُّها للاخوان، واصفاها من الذنوب، واصلبها في ذات الله»[٣].

وروي عن أميرالمؤمنين حديث غاية في الأهمية بشأن سلامة القلب اذ قال (عليه السلام):

«لا يسلم لك قلبك حتى تحب للمؤمنين ما تحب لنفسك»[٤].

ما أعجبه من اقتراح عجيب لسلامة القلب، وياله من حديث مفعم بالنور والحكمة ورد عن سيد الأولياء والعاشقين؟!

أجل، فإذا اراد المرء للآخرين ما يريده لنفسه، طهر قلبه من الرذائل تدريجياً فيتحول حينها إلى قلب سليم، وعند ذاك يمتلىء ايماناً وحبّاً ورافة ورحمة وكرامة واخلاصاً وسينعم الناس جميعاً لا سيما المرأة والأولاد إلى جانبه من بخير الدنيا والآخرة.

على الشباب الذين لم يدخلوا عش الزوجية بعد العمل على سدّ ما يجدونه من نواقص في قلوبهم، والّا فإنّهم سيظلمون زوجاتهم وأولادهم فيما بعد، وعلى

---

١ ـ البحار: ٥٢/٧٠.

٢ ـ ميزان الحكمة: ٢١٦/٨ ـ ٢١٨.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ البحار: ٨/٧٨.

المتزوجين المبادرة إلى علاج ادران الرذائل إن هُم احسّوا بوجودها في قلوبهم، والّا فلن يكون زوجاتهم وأولادهم في مأمنٍ منهم، وليعلم الجميع حقيقة ان عذاب البرزخ انما يصيب الذين يشقى عيالهم معهم نتيجة ابتلائهم بسوء الخلق.

إذا ما رُفد العقل بالعلم وتخلّق القلب باخلاق الله، حينها تصبح النفس نفساً نورانية وتتحول حركات البدن إلى حركات ملكوتية، ويصبح للانسان إلى منهل خير وفضيلة وأمان، والآن تأملوا هذه الآية الكريمة بهذا الصدد:

﴿ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[١].

نعم، كما تقدم في بداية البحث فإنّ الحسنات جميعها من الله سبحانه أمـا السيئات فهي من الانسان، ويمكن اكتساب الحسنات ومحو السيئات من صفحة الوجود من خلال الاقبال على الله عن طريق التمسك بالانبياء والقرآن والأئـمة والعلماء الربانيين واستثمار القوى الظاهرية والباطنية.

وبعد اكتساب الحسنات تكون مسؤولية الانسان العمل على نقلها إلى الآخرين لا سيما زوجته وولده، وفي هذا المجال يعتبر الاهمال ذنباً كبيراً يستوجب عقاب الله.

لقد دعانا الأئمة (عليهم السلام) إلى ان نكون اسوة للآخرين باعمالنا لا بالسنتنا، حيث ان كلَّ انسان يلمس جمال الباطن في شخص ما فهو يندفع إلى اكتسابه.

على رب الأُسرة ان يكون حجة لله في بيته وان يكون اسوة حسنة لعياله على صعيد الجمال بجوانبه المعنوية والأخلاقية والعملية، ولا يكون هكذا ما لم يغذّي العقل والروح والبدن بالقدر الممكن من العلم والأخلاق والصفاء والطهارة والتقوى والعمل الصالح حتى يتحول بيته وأهله إلى شعبةٍ من دار أهل

---

١ ـ الأنعام: ٨٢.

البيت (عليهم السلام) ومظهر لاولياء الله، وهنا تتضح ضرورة المشاركة في المجالس الدينية النافعة وارتياد المساجد ومجالسة الفقيه، والعالم الرباني، فيما ينجم من الابتعاد عن هذه الحقائق تراكم الجهل وتفشي الأمراض القلبية والانحرافات النفسية والعميلة.

ومع تجلّي الوحي في القرآن الكريم وما وصلنا من آثار الأنبياء والأئمة في الكتب القيمة والمعتبرة، وتوفّر المساجد والمجالس الدينية، والعلماء الربانيين، لسلوك الصراط الالهي وطريق السلامة، لن تبقى لأيٍّ أحدٍ حجة ولا عذر عندالله سبحانه.

العذاب في عرصات القيامة

ان نيران جهنم سببها الجهل وفساد القلب والانحرافات العملية، ولم يشأ الله الرحيم ان يعذّب كل أحدٍ تعذيباً الزامياً، وانما هي والرذائل الأخلاقية هي التي تظهر يوم القيامة بصورة عذاب يحيط بالمذنب، ولولا الذنوب والمعاصي والانكار والكفر ومعاندة الله لم يكن ثمة وجود لعذاب البرزخ والقيامة.

جاء في دعاء الكميل:

فباليقين اقطع لولا ما حكمت به من تعذيب جاحديك وقضيت به من اخلاد معانديك لجعلت النار كلّها برداً وسلاماً وما كان لأحدٍ فيها مقراً ولا مقاماً لكنك تقدّست أسماؤك اقسمت ان تملأها من الكافرين من الجنة والناس أجمعين، وان تخلّد فيها المعاندين.

بناءً على هذا فإنّ الناس هم الذين يمهدون العذاب لأنفسهم من خلال ارتكاب الذنوب والمعاصي، وليس الله الرحيم، الغفور، الكريم، بل هو الذي هيأ جميع الوسائل اللازمة لحصول عباده على الحسنات التي تكون نتيجتها الأمان

في الدنيا والآخرة.

على أية حالٍ، يتعين على الزوجين العمل على توفير الأمان المطلوب في الحياة الدنيا لهم ولأولادهم وارحامهم واقربائهم مستعينين بالايمان والأخلاق والعمل الصالح والصفاء والوفاء والصدق والحلم والصبر وسعة الصدر، لينالوا بذلك الأمان يوم القيامة بالاضافة إلى ما ينعمون به من أمان في هذه الدنيا حيث يقول النبي (ﷺ):

«الدنيا مزرعة الآخرة».

ويقول الامام الباقر (ع):

«ولنعم دار المتقين»[1].

فالمتقون يتزودون من دنياهم لآخرتهم، ويعمّرون آخرتهم بدنياهم، فيعيشون في الدنيا سعداء، وفي الآخرة أكثر سعادة.

ان المؤمنين والمتقين يتاجرون ويكسبون ويزرعون ويملكون ويتزوجون، ويديرون شؤون البيت والحياة على أحسن وجه ويقضون حوائج الناس ويتزاورون ويتصدقون، وخلاصة القول يتمتعون بدنياهم في أجواء ملؤها السلامة والأمان والايمان والاخلاق، ومن بعدها يحظون بآخرةٍ افضل.

ليت البيوت جميعها تعيش الأمان والسلامة، ويا ليت ديارنا باسرها يسودها الايمان والأخلاق والعمل الصالح، ويا ليت جميع الرجال والنساء مزينون بالمحاسن ومطهرون من الرذائل، لئلا يتعرض أحدٌ إلى المشاكل ويعيش الجميع سويةً مستظلين بظلال السلامة لاطمئنان ويهنئون بالمواهب الالهية.

وقد وصف جعفر بن محمد الصادق (ع) المؤمن الحقيقي قائلاً:

---

١ ـ البحار: ١٠٧/٧٣.

«الناس منه في راحةٍ ونفسه منه في تعب»[١].

الآباء الصالحون

ان تحلّي كلٍّ من الرجل والمرأة بالفضائل وابتعادهم عن الرذائل والقبائح من شأنه ان يحوّل كل منهما إلى منهلٍ للامان والاستقرار ازاء بعضهما البعض، ويمثلان عامل تكامل ورقيٍّ بالنسبة لاولادهما.

فلا يهملان متطلبات اولادهما فإذا ما احتاج اولادهما، إلى المحبة أو النفقة أو الدراسة والتعلّم أو التزاور أو النزهة أو الزواج فإنّهما يبادران إلى تلبية متطلباتهم بمنتهى الودّ والحنوّ والعطف، وإذا عجزا عن تلبية متطلباتهم فهما يقنعانهم من خلال الأخلاق وسعة الصدر وحسن الخلق والبشاشة والأولاد بدورهم يتقلبون ذلك بكل ادبٍ واتزان.

ان الأبناء الصالحين إذا ما دعوا احياناً لارتكاب المعصية من قبل الوالدين وقد تصدر هذه الدعوة عن جهلٍ منهما ـ فهم يرفضونها بمنتهى الأدب وبذلك لا يُعرّضون أنفسهم إلى الخطأ والالتباس، كالتي غضبت على ولدها لأنه اسلم على يد الرسول (ﷺ)، بل انها امتنعت عن الطعام، غير انّها لما سمعت برضى الله سبحانه عن ولدها واهمل طاعتها انهت اضرابها والتزمت جانب الصمت ازاء ابنها.

فيا ايّها الآباء والامهات! حينما يثير رسول الله (ﷺ) اهتمامكم بالسقط حتى انّه قال: ... ان السقط يجيء محبنطئاً على باب الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: لا حتى يدخل ابواي الجنة قبلي[٢].

---

١ ـ البحار: ٣٧/٧٨.

٢ ـ الوسائل: ١٤/٢٠ طبعة مؤسسة آل البيت.

فلماذا لا تولون ولدكم ـ هذه النعمة الالهية ـ الاهتمام الذي يستحقه على الأصعدة المادية والمعنوية ؟ فإنّ الظفر بالولد والاهتمام به وتلبية متطلباته الانسانية يُعد تجارةً رابحةً في الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ﷺ : « من تزوّج لله ولصلة الرحم توجّه الله بتاج المُلك »

الوسائل ٢٠ / ٥١

(١٥)

تجليات الفضيلة في الاسرة

اخلاص النية

تترتب على الزواج معطيات ونتائج ايجابية كثيرة منها: استئناس الزوجين بعضهما البعض، التخلص من العزلة، زيادة الرزق، قرّة العيون، المحافظة على نصف الدين، نيل رضي الباري تعالى، التلذذ والاستمتاع الجنسي، الانجاب، الظفر بمعينٍ، الخ..

وإذا اخلص المرء نيته لله سبحانه في مسألة الزواج فإنّه بالاضافة إلى ما تقدم من منافع فهو يمارس بذلك عبادة مهمة وطاعة عظيمة تسمو به إلى مستوى الملائكة فيتوّج بتاجٍ كتاج أهل الملكوت، فلماذا لا نبادر إلى عملٍ ينوره نور رضى الله سبحانه تفوق قيمته كلّ شيء؟

لنبني صرح الزواج والحياة الزوجية منذ البداية على اساسٍ من الاخلاص، وعلى رجالنا ونسائنا ايلاء هذا الأمر كامل الاهتمام كي يتشرف ظاهرا الحياة وباطنها بلطف الله ورحمته وقبوله.

ذروة اخلاص النيّة

في هذا المجال نلفت انتباهكم إلى قصة عجيبة من موسى بن عمران (عليه السلام):

لما دخل موسى على شعيب إذا هو بالعشاء مهيأ فقال له شعيب: اجلس يا شاب فتعشَّ فقال له موسى: اعوذ بالله، قال شعيب: ولمَ ذاك؟ الست بجائع؟ قال: بلى، ولكن اخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيتُ لهما، وإنا من أهل بيتٍ لا

نبيعُ شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً، فقال له شعيب: لا والله يا شابّ ولكنها عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف ونطعم الطعام، فجلس موسى فأكل[1].

واعجبا! بعد تلك الفترة الطويلة التي مضت على خروج موسى من مصر وتنقله في الصحراء دون ان يحصل على طعام اذ كان يتغذى على اعشاب الصحراء، فهو يدخل على شعيب (ﷺ) ويرى مائدته قد أُعدّت، بيد انّه ابى تناول الطعام بالرغم مما كان عليه من جوعٍ لئلا يؤثر ذلك في عمله الذي قام به خالصاً لوجه الله سبحانه، لكنه عندما اطمئن إلى خلوص نيّة شعيب في هذه الضيافة جلس امام المائدة.

لقد ادى اخلاص شعيب إلى ان يرعى اغنامه أحد انبياء اولي العزم لمدة ثماني سنوات، فيما اثمر اخلاص موسى عن زواجه من ابنة شعيب!

اخلاص عجيب

ذكر لي أحد العلماء ممن اتصف بالاخلاص والولاء لأهل البيت (ﷺ) وقد كانت تجمعني به علاقة تمتد إلى سنوات متمادية، ونهلت من اخلاقه وسلوكياته: لما غادرت طهران إلى قم المقدسة لدراسة العلوم الدينية كان حينها آية الله العظمى الشيخ عبدالكريم الحائري زعيماً للحوزة العلمية في قم.

بعد فترة عرفتُ بالحاج الشيخ لما كنت اتمتع به من ميزة خاصة في ذكر مصائب أهل البيت (ﷺ) فطلب مني الشيخ الحائري (ﷺ) ان اقرأ له ذكر مصائب أهل البيت (ﷺ) في المناسبات.

وشيئاً فشيئاً اشتهرت بذلك، وكنت افتخر بانني اقف بين الذاكرين للإمام

١ ـ البحار: ٢١/١٣.

الحسين (عليه السلام).

وفي يوم خميسٍ دُعيت إلى منزل أحد كبار العلماء في اطراف المدينة، فطلب مني ان ارتقي المنبر فاجبتهم إلى ذلك فتحدثت عن الموت مستنداً إلى بضع احاديث من نهج البلاغة، فبكى صاحب الدار بكاءً شديداً واستمر بكاؤه حتى نهاية المجلس، وفي الخميس القادم دُعيتُ ثانية الى ذلك البيت وطُلب مني ان اتحدث باسلوب اكثر بساطة لان هذا الرجل الجليل يبكي بكاءً مرّاً حين يتذكر ما تناولت في المحاضرة السابقة، ثمّ ذكروا لي قصة مثيرة عن اخلاصه.

فكان مما قالوا: عندما كان اعزباً لم ينفع مع الحاحنا عليه بالزواج، غير انّه وافق على الزواج في آخر المطاف، فاقترح عليه الزواج من شابة لم تتزوج بعد، وبعد لقائه بها حسب التعاليم الشرعية رفض الزواج منها، ثم مضت مدة من الزمن فسمعنا انّه تزوج من امرأة ارملةٍ سوداء الوجه قبيحة المنظر ولها من الأولاد ثلاثة فدهشنا لذلك، وعندما سألناه عن السبب أجاب: حين رأيت الفتاة الباكر اعجبتني وكلما حاولت ان اخلص نيتي في هذا الزواج واقدم على ذلك قربة لوجه الله سبحانه الّا انني لم افلح فتركتها، ولما رأيتُ هذه الأرملة فقيرة الحال ومعها ثلاثة أيتام لا رغبة لأحدٍ بالزواج منها، حينها عثرت على قاعدة الاخلاص فتزوجت قربة إلى الله وطمعاً في الربح الحقيقي يوم القيامة!!

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«طوبى لمن اخلص لله عمله وعلمه وحبّه وبغضه واخذه وتركه وكلامه وصمته وفعله وقوله»[1].

وقال (عليه السلام):

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٥٦٧/٣ ـ ٥٨.

«الاخلاص اشرف نهاية»[١].

وعنه (عليه السلام):

«في الاخلاص يكون الخلاص»[٢].

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«الاخلاص ملاك العبادة»[٣].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«طوبى للمخلصين اولئك مصابيح الهدى، تنجلي عنهم كلُّ فتنة ظلماء»[٤].

وقال الامام الحسن العسكري (عليه السلام) واصفاً عظَمة المخلصين:

«لو جعلت الدنيا كلّها لقمةً واحدةً ولقمتها مَنْ يعبدُالله خالصاً لرأيت اني مقصرٌ في حقه»[٥].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«أخلصوا اعمالكم لله فإنّ الله لا يقبل الّا ما خلص له»[٦].

وقال (عليه السلام):

«ضاع من كان له مقصدٌ غير الله»[٧].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«تمام الاخلاص اجتناب المحارم»[٨].

---

١ ـ نفس المصدر.
٢ ـ نفس المصدر.
٣ـ نفس المصدر.
٤ ـ ميزان الحكمة: ٣/٥٩ ـ ٦٢.
٥ ـ نفس المصدر.
٦ ـ نفس المصدر.
٧ ـ نفس المصدر.
٨ ـ ميزان الحكمة: ٣/٦٣.

إذا لم يطغَ الهوى والغرائز والتقليد الأعمى والتعلق المفرط بالامور المادية، والغفلة فإنّ زهرة الاخلاص ستتفتح في كلِّ عملٍ من دوحة الباطن فيملأ عطرها كل ارجاء الحياة.

ما اجمل ان يبني الرجل والمرأة الزواج على اساس من الاخلاص ويستمران على ذلك في مسيرة الحياة رغم العراقيل.

يقول تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١).

ان الرياء في الواجبات مبطلٌ لها، وفي المندوبات سببٌ للتقليل منه قيمة العبادة.

التقوى والعبادة

على الزوجين مراعاة الأحكام الالهية والتعاليم الاسلامية ازاء بعضهما البعض، ومن المتعذر مراعاة هذه الحقائق الا بالتقوى والعدالة، اي اجتناب السيئات والقبائح والأخلاق السيئة والسلوك المذموم، والعدالة تعني عدم الافراط والتفريط في الأمور كافة.

ان ظلم الرجل للمرأة وظلم المرأة للرجل مهما كان مقداره أمرٌ قبيحٌ وان كان بعضه لا يستحق الاهتمام بنظرهما.

ان المرأة لا تتمتع بقدرة بدنية عالية وقد لا يتوفر لديها الاقتدار الروحي بالمستوي العالي، فعلى الرجل ان يأخذ بنظر الاعتبار الجوانب البنيوية لزوجته خلال تعامله معها مثلما راعى الباري تعالى قدرة المرأة وأعفاها من بعض

---

١ ـ الأنعام: ١٦٢.

التكاليف والمسؤوليات.

ان نقاط ضعف المرأة يجب ان تُجبر بالتعامل الطيب للرجل، فهي غير قادرة على ان يحاربها الرجل ويجعل من البيت ساحةً للحرب والجدال معها، وفي هذا الصدد ادعوكم لتدبر هاتين الروايتين.

فقد كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ابنه الحسن (عليه السلام) ذكّره فيها بقضايا مهمّة، منها ما ذكره حول ماهية المرأة فقال (عليه السلام):

«فإنّ المرأة ريحانةٌ وليست بقهرمانة»[1].

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«أكثر اهل الجنة من المستضعفين النساء، علم الله ضعفهنّ فرحمهنّ».

لهذا يتعين على الرجل ان يتقي الله ويتعامل مع زوجته برحمة ورأفة ومحبّة، ويراعي في تعامله معها وضعها الجسمي والروحي بوصفها باقة وردٍ عطرةٍ ويتجنب الافراط والتفريط والاجحاف بحقها باي نحو كان، فالله تعالى ـ وهو خالق المرأة ـ يأمر بمراعاة التقوى ازاء النساء والاحسان إلى أمة الله[2] في البيت بشكلٍ مناسب على الأصعدة المادية والمعنوية.

ولكن على المرأة ان تدرك ان الرجل يتحمل المصاعب لادارة هرون البيت ولا بد ان يسعى لتوفير السكن واللباس والطعام من أجل سعادة زوجته وولده وتدبير امورهم وهي امور لا تتحقق دون مواجهة المصاعب ومزاولة العمل وتحمّل مشاق السفر والحضر، من هنا عليها ان تستقبله حين يعود إلى البيت

---

١ ـ الوسائل: ١٦٨/٢٠.

٢ ـ ورد هذا التعبير بشأن المرأة والذي يبين عناية الله ورحمته الخاصة بها، في رواية مهمة في الصفحة ١٣ الجزء ٢٠ من كتاب وسائل الشيعة طبعة مؤسسة آل البيت وذلك فيما يتعلق بزواج آدم وحواء.

بتعامل كريم واخلاق حسنةٍ وتلبي رغباته الطبيعية فتعطّر اجواء المنزل بالسلوك الحميد والابتسامة والثناء على جهوده خارج البيت.

أجل، ان التقوى والعدالة والأخلاق الفاضلة والتصرف الممدوح والابتسامة التي تنم عن الرضا وتثمين الجهود والمحافظة على الهدوء والاستقبال اللائق. كلها فضائل يجب أن تُلقي بظلالها على الحياة الزوجية للزوجين وتتنور حياتهما ببركة هذه الحقائق.

وفي روايات الشيعة هنالك فصلٌ هامٌ يتناول مسألة معاشرة المرأة مع زوجها والرجل مع أهل بيته، يثير الاعجاب من حيث عدد تلك الروايات وما يتضمنه ذلك الكلام الملكوتي من مفاهيم.

فلا يجوز ان يظلم احدهما الآخر ولو بمقدار حبة خردل، وعلى الظالم ان يعلم انّه سيواجه عقوبةً شديدةً.

ان المرأة ليست ملكاً للرجل كي يتصرف بها كما يشاء، والمرأة لا تتمتع بالحرية التامة ازاء الرجل حتى يحق لها القيام بأي عملٍ دون وازعٍ، بل هنالك تكاليف ومسؤوليات لكلٍّ منهما فرضها الله ورسوله والأئمة المعصومون، وفي اطار تلك التكاليف يمكنهما التعامل فيما بينهما، وكلُ عملٍ آخر يخرج عن الحدود الالهية والواجبات الانسانية والأخلاقية هو ظلمٌ له مردوداته في الدنيا والآخرة.

وفيما يرتبط بظلم الزوجة للزوج وظلم الزوج للزوجة ـ وهو عملٌ شيطاني يتنافى مع الكرامة والفضيلة ـ ثمة رواية مهمة جداً عن رسول الله (ﷺ) حريٌّ بنا التأمل بها، حيث يقول (ﷺ).

من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعنيه وترضيه وان صامت الدهر قامت واعتقت الرقاب وانفقت الأموال في سبيل الله، وكانت

اول من ترد النار، ثم قال رسول الله(ﷺ): وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً..[١].

ليعلم امثال هذه المرأة والرجل ان الله تعالى عبّر في كتابه عن سخطه على الظالم وابعاده عن دائرة محبته:

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢].

وعلى الرجل والمرأة ان يعرفا ايضاً ان الظلم لا ينحصر بالظلم البدني والايذاء الجسمي، بل ان النظرة المصحوبة بالغضب وسوء الخلق والكلام البذيء والسب والاحتقار وعدم التمكين من مصاديق الظلم.

ان المرأة التي تظلم زوجها، والزوج الذي يظلم زوجته ليسا في عداد المسلمين الحقيقيين، وانما ممن خرج عن دائرة الهداية وغرق في مستنقع الضلال، لقوله تعالى:

﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٣].

وقال رسول الله (ﷺ):

«بين الجنة والعبد سبع عقبات أهونها الموت، قال انس: يا رسول الله فما اصعبها؟ قال: الوقوف بين يدي الله عزوجلّ إذا تعلّق المظلومون بالظالمين»[٤].

وقال أمير المؤمنين (ع):

«بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد».

وقال (ع):

---

١ ـ الوسائل: ١٦٣/٢٠ طبعة مؤسسة آل البيت.

٢ ـ آل عمران: ٥٧.

٣ ـ لقمان: ١١.

٤ ـ ميزان الحكمة: ٥٩٦/٥.

«الظلمُ يزِلُّ القدم ويسلبُ النّعم ويهلك الأمم»[١].

وعنه (عليه السلام) انّه قال:

«والله لو أعطيتُ الأقاليم السبعة بما تحت افلاكها على ان اعصي الله في نملةٍ اسلبها جلبُ شعيرة ما فعلت»[٢].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«اتقوا الظلم فإنّه ظلمات يوم القيامة»[٣].

وقال رجلٌ لرسول الله (صلى الله عليه وآله):

«أُحب أن احشر يوم القيامة في النور؟ قال: لا تظلم أحداً، تحشر يوم القيامة في النور»[٤].

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«كلُّ ظلم الحادّ وضربُ الخادم في غير ذنبٍ من ذلك الالحاد»[٥].

وجوهٌ فاضلة

ان المؤمنين والمؤمنات يتميزون بمزايا تتجلى آثارها العملية في حياتهم وتؤدي إلى اضفاء رونق على الحياة والتمتع بها وتكون سبباً في ظهور جيل صالح وموجباً لاعمار آخرتهم.

قال تعالى:

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَولِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٥/٥٩٥ ـ ٥٩٦.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ ميزان الحكمة: ٥/٥٩٩ ـ ٥٦٠.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ نفس المصدر.

ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وهذه الآية من جملة الآيات القرآنية التي وردت بشأن المؤمنين تكفي لوحدها للاطلاع على ظاهرهم وباطنهم.

ومثل هؤلاء الرجال والنساء حينما يعيشون حياةً زوجية، تكون حياتهم مزيجاً من النور والصفاء والطهارة والخير والبركة والصدق، فالرجل في هذه الحياة تعتبر مثالياً وكذا المرأة، وحياتهما طيبة ودنياهما وآخرتهما عامرتان.

يقول العلامة المجلسي (رحمه الله): هنالك من الرجال مَن إذا خرج إلى العمل قال له عياله: اياك وكسب الحرام فإنا نصبر على الجوع والضرّ ولا نصبر على النار فايٌّ فضيلةٍ اسمى من الصبر والاستقامة ازاء المشكلات والمصاعب حفاظاً على النفس من عذاب يوم القيامة؟

وقد رأيت بنفسي بعض العظماء ينهون نساءهم وأولادهم عن المطالبة بما يفوق طاقتهم متوسلين بالاسلوب الطيب والكلام اللين مع الوعد بتلبيتها عند تحسن الوضع. فيوافق العيال ويتجنبون ايذاء آبائهم روحياً وممارسة الضغط عليهم، فيهنئون في حياتهم وينعمون بحياة هادئة نورانية لطيفة.

لقد كانت خديجة الكبرى تشاطر زوجها الكريم المعاناة والآلام أيام محنته، وعاش النبي (صلى الله عليه وآله) معها حياةً بحيث انه (صلى الله عليه وآله) كلّما ذكرها بعد وفاتها دعا لها بالرحمة وبكى عليها.

ففي بداية زواجها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلت كلّ ثروتها له وهو (صلى الله عليه وآله) كان يصرفها لقضاء حوائج المحتاجين والرسالة الاسلامية حتى لم يبق من تلك

---

١ ـ التوبة: ٧١.

الثروة شيء يذكر، وفي اواخر حياتها عاشت خديجة مع زوجها في بيتٍ متواضع بسيط الاثاث، وهي في الرمق الأخير وفي تلك الظروف الصعبة، سألت رسول الله (ﷺ): ان كان قد رضي عنها، فهبط أمين الوحي مخبراً الرسول (ﷺ) برضى الله عن خديجة ففرحت خديجة فرحاً غامراً فعبّرت عن ان الموت والحياة بالنسبة لها في غاية العذوبة.

وحينما افتقدت فاطمة الزهراء (ﷺ) امها وهي لم تتجاوز آنذاك سن الرابعة، سألت أباها عنها فاخبرها (ﷺ) بأنها قد ارتحلت إلى الملكوت الأعلى.

نعم، ان المؤمنة التي تتجلى آثار ايمانها في افعالها واخلاقها انما هي كائن ملكوتي ومنهل لرضى الحق تعالى، ومنبعٌ للفضائل والكمالات.

قصة ذات عبرة

عاش جدّي وجدتي لأمي معاً ما يقرب من سبعين عاماً في منتهى الصفاء والوئام والصدق والايمان والاخلاص، وكانا يواظبان بشوقٍ على اداء الواجبات والمستحبات، فلم يغفلا حتى أيامهما الأخيرة عن صلاة الليل وتلاوة القرآن وزيارة الأئمة واقامة المجالس الدينية واستضعافة الناس وحل مشكلاتهم وزيارة الأقارب وحضور صلاة الجماعة، كما ان جدّي وجدّتي لابي عاشا كذلك وأكثر منه لما يربو على الخمسين عاماً.

وفي مطلع شهر محرم وأيام عزاء سيد المظلومين وبالذات قبيل صلاة الظهر توفيت جدّتي لأُمي فيما كان جّدي لأُمي يتمتع بالسلامة والصحة.

وبعد دفنها أراد الأقارب الاعلان عن مجلس الفاتحة غير ان جدّي لأُمي قال: لا تتكلفوا كتابة الاعلان واقامة المجلس، تمهّلوا فإنّني مغادركم غداً بعد صلاة العشاء فاقيموا مجلس الفاتحة لنا نحن الاثنين!!

ساور القلق الجميع، الّا انّه كان يواسيهم، فلم يكن هنالك من يـعقل ذلك، وفي مساء اليوم التالي وبعد فراغه من الصلاة توجه لله بالدعاء قائلاً: الهـي لقـد وعدت باغاثة المحتاج، وأنا الآن محتاجٌ اليك حيث اسافر إلى القيامة فاعنّي، ثم نطق بكلماتٍ طيبة وفارق الدنيا وهو على سجادة الصلاة، وقد دُفـنا فـي قـبر واحد.

وذات ليلة رايته في عالم الرؤيا فقلت له: اين انت الآن؟ فـاجابني: بـقيت وزوجتي في المكان الذي دُفنّا فيه لمدة ثلاثة ايام ثم نقلنا عند سيدالشهداء (ع) ونحن الآن نعيش حياةً هانئة في اجواء البرزخ الملكوتية!

واقعة عجيبة

في أيام طفولتي وصباي، تعلّقتُ بماكان يتحلّى به والدي من طبائع اسلامية وتصرفه ازاء أهل العلم ورواد المسجد والمجالس الدينية، فاحببت علماء الدين والمساجد والمجالس الدينية، فأخذت اتردد على المـراكـز الديـنية وازدادت مجالستي للعلماء وكان البلد ونسبة عالية من الشباب في عهد الطاغوت غارقين في الفساد، فأثر ذلك في نفسي وتبلور شخصيتي، ونتيجة في عـهد الطـاغوت غارقين في الفساد، فأثر ذلك في نفسي وتبلور شخصيتي، ونتيجة لما كسبته من هذه الينابيع ـ اي الأُسرة والمسجد والعالم الرباني ـ اتجهت برغبة خالصة نـحو الحوزة العلمية في ١٩٦٣ م وكنت حينها في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من العمر، وبطبيعة الحال فقد اتسعت الآفاق امامي هناك ازاء العلم والعلماء.

وخلال مرحلة كسب العـلوم الاسـلامية تـمكنت مـن الالتـقاء بـالعارفين والشخصيات المرموقة، وقد سمعت بقصة من أحد العلماء ـ لا اتذكره ـ وكانت قصة لطيفة ومعبّرة تبين المكانة الفكرية والروحية للمرأة عندما تـمتزج طـينتها

بندى الايمان والأخلاق الحسنة والعمل الصالح.

فقد ذكر ذلك الرجل العظيم: ان الذي بنى مسجد جوهر شاد المجاور لمرقد الامام الرضا (عليه السلام) ـ وهو يعد اليوم من أهم المساجد على وجه الأرض حيث تُصلى فيه آلاف الركعات يومياً وتقرأ فيه الزيارات آلاف المرات وتُنعقد فيه عشرات المجالس وحلقات الدرس لتعلّم العلوم الاسلامية والتربية على أيدي العلماء الربانيين ـ كانت امرأة كريمة فهيمة متدينة عالمة عفيفة.

وقبل الشروع ببناء المسجد طلبت من البنّائين والمسؤولين عن العمل ان يوفروا أوانٍ لتقديم الماء والعلف للحيوانات التي كان من المقرر أن تنقل مواد البناء على طول الطريق الواصل بين مكان هذه المواد والمسجد لئلا تنقل الحيوانات حمولتها وهي تعاني الجوع والعطش، لأن ذلك مما لا يرضاه الحق تعالى والوجدان، وقالت لهم: لا يحق لاصحاب المراكب ضرب الحيوانات، ويجب تحديد ساعات العمل، وعليكم التعامل برافةٍ ورفق مع البنائين والعمال وتسديد اجورهم على قدر جهودهم، وفي حالة الحاجة إلى التنبيه يتم ذلك بلينٍ، ولا تزعجوا احداً واشتروا البيوت المجاورة بقيمة مناسبة فنحن نريد بناء مسجد للعبادة ومكاناً للزيارة ومحلاً لدراسة العلوم الالهية، واياكم ان تظلموا انساناً أو حيواناً ولو بمقدار ذرةٍ لما في ذلك من أثر في قيمة العمل.

جاء في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام): **فإنّكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم**.

واضاف ذلك العالم قائلاً: كانت السيدة جوهر شاد كثيراً ما تزور المسجد للاطلاع وتقديم التعليمات اللازمة.

وفي أحد الأيام شاهدها أحد العمال خلسةً فتعلّق بها ولم يجرؤ على البوح بذلك، لخطورة الموقف، حيث ان السيدة جوهر شاد كانت زوجة الميرزا

شاهرخ وكنّه تيمور گورگاني فلا معنى لهذا التعلق والحبّ، لكن هذه الأمور لم تكن مفهومة لدى ذلك العامل البسيط.

ومرض العامل، فعرفت بمرضه من خلال تقرير العمل اليومي، وكان يسكن مع امه في بيتٍ خرب، فذهبت لعيادته، فوجدته ملقىً على فراش المرض يئن مصفر الوجه ناحل البدن، وبعد ان سألت عن حاله واصرّت على معرفة سبب المرض اندفعت امه ـ بسذاجة تفوق سذاجة ابنها ـ فافصحت عن السبب، فلم تغضب السيدة جوهر شاد ولم تستغل سلطانها وانما توجهت باللوم لام العامل، وعبّرت عن استعدادها للزواج منه بعد الانفصال من زوجها، وطلبت ان يدفع المهر قبل الاقدام على ذلك الأمر وهو أن يتعبّد الشاب لمدة اربعين يوماً في محراب المسجد الذي هو في طور السيناء.

فقبل الشاب وراح يتعبد لعدة ايام يدفعه إلى ذلك حبّه وتعلقه القلبي، الّا ان موقفه تغير بعد ذلك بتوفيق الله ورعاية الامام الرضا (عليه السلام) وهي الحقيقة التي كانت جوهر شاد على علم بها.

وبعد أربعين يوماً ارسلتْ اليه تسأل عن حاله فقال لمبعوث السيدة جوهر شاد: لو عرفت لذة ترك اللّذة لما اعتبرت لذة النفس لذة.

بامكاننا تحويل اجواء البيت إلى مظهر للفضائل المعنوية والأثار الالهية والانسانية من خلال الايمان بالله والحذر من القيامة والتحلّي بالاخلاق الفاضلة والسلوك الحميدة، وهو ليس بالأمر الصعب، ومن ينال توفيق الله يسهل عليه قطع الطريق وان شقَّ على الآخرين.

(١٦)

الإسلام والجوانب المادية للأسرة

خير المال وشرّه

ان حاجة المرء للمال تعتبر حاجة طبيعية لادارة شؤون الحياة لا سيما وانّه يتحمل مسؤولية ثقيلة تتمثل في عياله.

ولا ينطوي المال والثروة أو الكسب والتجارة بذاتها وبعيداً عن تدخل الانسان على اي نوع من الخير والشر.

على سبيل المثال، ان الحديد يعتبر من الأملاك وهو يمتاز بامكانية تصنيعه، اذ تصنع منه مختلف الآلات، إلّا أنّه مادام بعيداً عن تصرف الانسان فهو يعتبر مادة صمّاء تفتقد للخير والشر، فإذا ما وقع بيد مؤمن عاقلٍ ذي نفس كريمة يتحول آنذاك إلى وسيلة خيرٍ، أما إذا وقع بيد شرّير أناني فإنّه يتحول إلى اداةٍ للشرّ.

فعندما وقع الحديد بيد ابن ملجم أقدم على قتل امام الموحدين ومولى المتقين وسيد العارفين، وهو في محرابه في ليلة القدر فأصبح مصداقاً لاشقى الأشقياء، إذن، تحول الحديد بيده ـ نظراً لوضعه الباطني ـ إلى مصدرٍ للشر والفساد والخسران حيث تسبب بخسارة لا تعوض ابداً.

وعندما وقع الحديد بيد أمير المؤمنين (عليه السلام) أصبح وسيلة لبقاء الدين وانتشار نور الهداية، وفُضِّلت ضربةٌ من ضرباته على عبادة الثقلين إلى يوم القيامة كما عبّر بذلك النبي (صلى الله عليه وآله) حين قال: «**ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين**».

ان الأموال وما تدرّه التجارة تعتبر بالنسبة لمن توسّم الآداب الالهية وعشق الحق تعالى، منطلقاً للعروج نحو الملكوت ووسيلة لبلوغ القرب من رب العالمين وسبباً في نزول صلواته ورحمته وموجباً لنيل الثواب العظيم والنعم الأبدية.

نعم، فالمال بالنسبة للمؤمن الذي تحلّى بالجود والكرم والرأفة وتخلّق باخلاق الله سبحانه، يعتبر رأس مالٍ للاتجار من أجل الآخرة ووسيلة للسفر نحو النعيم الأبدي، ومنبع خيرٍ في الدنيا والآخرة.

أوَلَم يعبّر الباري تعالى في سورة البقرة عمّا يتركه المؤمن بعد رحيله من الدنيا بـ« الخير » ؟[١]

نعم، ان رمز ايمان المؤمن وكرمه وجوده ورأفته يتمثل في وصيته بأمواله حيث ينفق ثلث منها في اعمال البرّ وفقاً لوصيته، أما الثلثان الآخران فيكونان من حصة الورثة طبقاً لما يقرّه القرآن الكريم.

وفي بيانه لمضمون الآية الكريمة:

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾[٢].

يقول الامام الصادق (عليه السلام):

«رضوان الله والجنّة في الآخرة، والسعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا»[٣].

بناءً على ذلك، يعتبر المال والثروة بمثابة المصنع الذي يدرّ برضى الله والجنان على المؤمنين، اذ ان المؤمن يكسب المال عن طريق الحلال ومن خلال

---

١ ـ البقرة: ١٨٠.

٢ ـ البقرة: ٢٠١.

٣ ـ البحار: ٧١ ٣٨٣.

اتباعه للجوانب الشرعية بعيداً عن التعامل المحرّم ملتزماً بما خُلِّل من المعاملات، وباختصار مستظلاً بظلال طاعة الله سبحانه، ثم ينفقه على عياله ويؤدي ما عليه من واجبات كالخمس والزكاة، ويبادر إلى اعانة السائل والمحروم، يأخذ بيد الضعيف والمظلوم، ويعين الأقربين والمعارف.

وفي الحقيقة فإنّ انفاق المال المكتسب عن طريق الحلال في هذه الموارد الشرعية والطبيعية يعتبر طاعة وعبادة، وكما عبّر القرآن الكريم عنه بخير الدنيا والآخرة، ومن هنا عُبّر في كتاب الله عن المال والثروة بالخير او الحسنة، وكسبه وانفاقه كالعبادة بالنسبة للمؤمن ومدعاة للحصول على الأجر العظيم والثواب الأبدي.

وما يقوله أميرالمؤمنين (عليه السلام) بشأن وقوع المال بأيدي من لا دين له ومَنْ وقع اسيراً لهواه جديرٌ بالاستماع، اذ يقول (عليه السلام):

«المال مادّة الشهوات، المال نهبُ الحوادث، المال يقوّي الآمال، المالُ سلوةُ الوارث، المال يكرمُ صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة»[1].

وقال رسول (صلى الله عليه وآله):

«ان الدينار والدرهم أهلكا مَنْ كان قبلكم وهما مُهلكاكم»[2].

وقال (صلى الله عليه وآله):

«ان لكلِّ أُمة عجلاً وعجلُ الأمة الدينار والدرهم»[3].

نعم، فمن ضعف ايمانهم ينحدرون من خلال المال في الشهوات وطغيان الطموحات وخزي الدنيا والآخرة، وكما يعبّر النبي (صلى الله عليه وآله) بانهم يصابون بعبادة العجل ولكن بصورة عبادة المال.

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٩/٢٧٧ـ٢٧٨.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر.

الحلال والحرام

لا شك في ان ما يحصل عليه الانسان نتيجة عـمله فـي التـجارة والكسب المحلّل يعتبر من الكسب والاتجار الذي أمر الله به وقد عُبِّر عنه فـي فـقه اهـل البيت (ﷺ) بالحلال، وكل ما اكُتسب بصورة غير مشروعة كالرشوة والاغتصاب والسرقة والسلب والمكر والنهب والربا انما هو حرامٌ.

ان السعي من أجل كسب الحلال يعتبر عبادة وموجباً للحصول على الأجر والثواب، اما السعي من أجل نيل الحرام فهو معصيةٌ ويـعتبر سـبباً فـي حـلول العذاب والغضب الالهيين.

ومن انحرف عن طريق الحلال وسار في طريق الحرام وإذا مـا نُـصح فـهو يدّعي الاضطرار لان الله قدّر له ذلك، لاشك بأنه يتّهم الباري عـزوجل ويـقول شططاً ويرتكب كذباً محضاً.

هنالك الكثير من الآيات التي تؤكد ان الله سبحانه قدّر لجميع الناس الرزق من الحلال الطيب ودعاهم لكسب الحلال والأكل منه، ولم يقدِّر لاحدٍ الرزق من الحرام، اذ ان الحرام يعتبر مصدراً لانحراف الانسـان عـلى الصـعيدين الفكـري والأخلاقي وسبباً في تدني ايمانه.

ان نسبة الحرام إلى الله عملٌ قبيحٌ وتهمةٌ لا طائل منها وذنبٌ لا يغتفر يورث العذاب الأليم يوم القيامة.

فليس من العدل والحكمة ان يقدر الباري تعالى الرزق من الحرام فيما تتركز أوامره على أكل الطيبات، ولو كان الأمر كذلك لكان تناقضٌ في ارادته وأوامره والحال ان التناقض منتفٍ عن الذات الالهية المقدسة، غير ان الجهلة من الناس هم الذين يفترون على الله ذلك نتيجة حماقتهم وجهلهم.

يقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۞ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَٱلْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

ويقول تعالى في موضع آخر:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ ﴾.

وقال الامام الباقر (ﷺ):

«ليس من نفسٍ الا وقد فرض الله لها رزقها حلالاً يأتيها في عافيةٍ، وعرض لها بالحرام من وجهٍ آخر، فإن هي تناولت من الحرام شيئاً قاصَّها به من الحلال الذي فرض الله لها وعندالله سواهما فضلٌ كبير»[2].

لا تحرموا انفسكم من الحلال

دخل علي (ﷺ) المسجد وقال لرجل: أمسك عليَّ بغلي، فخلع لجامها وذهب به، فخرج علي (ﷺ) بعد ما قضى صلاته وبيده درهمان ليدفعهما اليه مكافأة له، فوجد البغلة عُطلاً، فدفع الى غلمانه الدرهمين ليشتري بهما لجاماً، فصادف الغلام اللجام المسروق في السوق قد باعه الرجل بدرهمين فاخذه بالدرهمين وعاد الى مولاه، فقال (ﷺ): ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدِّر له[3].

١ ـ البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩.

٢ ـ البحار: ١٤٧/٥.

٣ ـ ميزان الحكمة: ٤/ ١٢٣.

انفقوا على عيالكم من الحلال

هنالك مجموعة من الآثار الظاهرية والباطنية المترتبة على الحلال والحرام مما لا مفر لأحدٍ من الابتلاء بها.

ففي الحلال يكمن رضى الباري تعالى والحافز نحو العبادة، والنشاط الروحي وصفاء القلب والشفاء من كل داء، والحرام على العكس من الحلال تماماً.

ومن بين الأمور الفقهية التي تناولتها الآيات واحاديث أهل البيت (عليهم السلام) بشكل ملفت للنظر هو وجوب النفقة على العيال وذلك ما يقع على عاتق رب الأُسرة.

اذن ان توفير السكن والملبس والطعام حسب القدرة للزوجة وأولاد يعتبر من التكاليف الشرعية المناطة بالرجل.

وإلى جانب هذا التكليف الذي يعدّ مسؤولية الهية تقع على عاتق رب الأُسرة، ثمة تكليف آخر وهو وجوب طلب الحلال لسدّ مخارج العائلة.

وعلى رب الأُسرة تقدير هذين التكليفين الالهيين بكل وجوده، اذ عن طريق هذين التكليفين تتفتح براعم الحياة في جانبها الأخلاقي وذلك لا يتسنى الا من خلال الاهتمام بالشؤون الحياتية للزوجة والأولاد، كما انّ ذلك يعتبر عبادة غاية في الأهمية ومفعمة بالأجر بالنسبة للانسان، وان السعي لطلب الرزق الحلال بمثابة جهادٍ في سبيل الله.

وإذا ما تغذى العيال من الحلال ستظهر على كيانهم آثارٌ ايجابية وملكوتية وذلك ما يساعد على سيادة الأمان والاستقرار القلبي والنفسي لافراد العائلة.

النبي ﷺ ولقمة الحلال

ان ما فعله الرسول الأكرم (ﷺ) يجب ان يكون درساً بالنسبة للمسلمين كافة، اي ان يولوا دقة كافية للحلال والحرام لئلا يحملوا على ظهورهم اوزاراً ويحل في ساحتهم الوبال حياة عابرةٍ يصعب عليهم افراغ عواتقهم منها.

قال رسول الله (ﷺ):

«طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة»[١].

وقال (ﷺ) أيضاً:

«طلبُ الحلال واجبٌ على كلّ مسلم»[٢].

وعنه (ﷺ):

«طلب الحلال جهاد»[٣].

وقال (ﷺ):

«مَن أكلَ من كدِّ يده حلالاً فتح له ابواب الجنّة يدخل من ايّها شاء»[٤].

وقال (ﷺ):

«العبادة عشرة اجزاء، تسعةُ اجزاءٍ في طلب الحلال»[٥].

وقال الرضا (ع):

«ان الذي يطلب من فضل يكفُّ به عياله اعظم اجراً من المجاهد في سبيل الله»[٦].

---

١ ـ البحار: ٣:١٠٣ ـ ٧ ـ ٩، ميزان الحكمة: ١١٩/٤.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ نفس المصدر.

٦ ـ البحار: ٣٣٩/٧٨.

وقال الباقر (عليه السلام):

«من طلب الدنيا استعفافاً عن الناس وسعياً على أهله وتعطفا على جاره لقيَ الله عزوجل يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر»[١].

وقال الصادق (عليه السلام):

«لا خير في مَنْ لا يحبّ جمع المال من حلالٍ فيكفُّ به وجهه ويقضي به دينه»[٢].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«مَنْ بات كالاً من طلب الحلال بات مغفوراً له»[٣].

وقال (صلى الله عليه وآله):

«ان الله يحبُّ ان يرى عبدهُ تعِباً في طلب الحلال»[٤].

وقد ورد في الروايات ان سعة الرزق وضيقه انما هو ابتلاء للعبد كي ينال رفيع الدرجات من لدن الباري عزوجل.

«طوبى لعبد جاع وصبر وشبع فشكر»[٥].

فالمؤمن لا يهن إذا ما ضاق رزقه، ولا يصاب بالغرور إذا توسع عليه، وإذا ما ضاق رزقه فهو لا يجانب الحلال، وإذا ما وُسّع عليه فهو يأكل ويطعم ويبادر إلى اداء التكاليف الالهية.

موجبات سعة الرزق

نلمس في آيات القرآن الكريم والأحاديث الكثير من موجبات زيادة

---

١ ـ الوسائل: ١١/١٢.

٢ ـ البحار: ٧/١٠٣.

٣ ـ البحار: ٢/١٠٣.

٤ ـ ميزان الحكمة: ١١٩/٤.

٥ ـ مستدرك الوسائل ج ١٦ ٢١٨

الرزق، وبالاضافة إلى ان الالتزام بها يؤدي إلى زيادة الرزق، فإنّها تبعث على تنامي الجانب الأخلاقي والعاطفي لدى الأُسرة والمجتمع.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق»(١).

وقال (عليه السلام):

«العسرُ يُفسد الأخلاق، التساهل يدرُّ الأرزاق»(٢).

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«مواساة الأخ في الله يزيد الرزق»(٣).

وعنه (عليه السلام):

«استعمال الامانة يزيد في الرزق»(٤).

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«مَنْ حَسُنَ برُّه أهل بيته زيد في رزقه»(٥).

وعنه (عليه السلام):

«ان البرّ يزيد في الرزق»(٦).

وقال (عليه السلام):

«حسن الخلق يزيد في الرزق»(٧).

---

١ ـ البحار: ٣٨٩/٧٧.
٢ ـ ميزان الحكمة: ١١٧/٤.
٣ ـ البحار: ٣٩٥/٧٤.
٤ ـ البحار: ١٧٢/٧٥.
٥ ـ البحار: ٤٠٧/٦٩.
٦ ـ البحار: ٨١/٧٤.
٧ ـ البحار: ٣٩٦/٧١.

وقال علي (عليه السلام):

«استنزلوا الرزق بالصدقة»(١).

وقال الباقر (عليه السلام):

«عليك بالدعاء لاخوانك بظهر الغيب فإنّه يُهيل الرزق»(٢).

وعنه (عليه السلام):

«الزكاة تزيد في الرزق»(٣).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«من حسُنت نيّته زيد في رزقه»(٤).

المال الحرام

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله:

«مَنْ لم يبالِ من ايِّ بابٍ اكتسب الدينار والدرهم لم أُبال يوم القيامة من ايِّ ابواب النار ادخلته»(٥).

وقال (صلى الله عليه وآله):

«مَنْ كسبَ مالاً من غير حلّه افقره الله».

وعنه (صلى الله عليه وآله):

«مَن اكتسب مالاً من غير حلّه كان زاده إلى النار».

ان الأموال التي لا تُخمّس ولا تُزكى ولا يؤدىٰ منها حق السائل والمحروم

---

١ ـ البحار: ٦٠/٧٨.

٢ ـ البحار: ٦٠/٧٦.

٣ ـ البحار: ١٥/٦٦.

٤ ـ البحار: ١١/١٠٣.

٥ ـ البحار: ١١/١٠٣.

وسائر الحقوق الشرعية انما هي بحكم الحلال المختلط بالحرام، وهي مما لا يجوز التصرف به، واطعام العيال من الحرام أو ما اختلط به يعتبر بحد ذاته معصية غير المعصية التي ترتكب في كسب الحرام أو منع الحقوق الشرعية.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«شرّ الأموال يخرج منه حق الله سبحانه»[1].

وقال الامام الباقر (عليه السلام):

«ان الله تبارك وتعالى يبعث يوم القيامة ناساً من قبور هم مشدودة ايديهم الى اعناقهم، لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيس أُنملة، معهم ملائكة يعيرونهم تعييراً شديداً، يقولون: هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً من خيرٍ كثيرٍ، هؤلاء الذين اعطاهم الله فمنعوا حقَّ الله في أموالهم»[2].

وقال الامام المجتبى (عليه السلام):

فيا اخوتي، يا من تتحملون اليوم مسؤولية توفير الجوانب المادية والتربية الروحية لزوجاتكم واولادكم، ويا من تزمعون بناء الحياة الزوجية في المستقبل!

ان لعيالكم حقاً عليكم، وهو الحق الذي عُبِّر عنه في الكتب الفقهية بالنفقه، وهم ليسوا مسؤولين عن عملكم وتجارتكم، وفي المحشر اذ لا خبر لديهم عن ما يحيط بكم لا يتحمّلون ما اكتسبه رب الأُسرة من حرام، فنيران الحرام لا تحقيق الا بمن كسب الحرام اذا عليه ان يتجرع ضعفين من العذاب، عذاب نتيجة كسبه للحرام، آخر لاطعامه الآخرين منه، فعليكم التزام جانب الحذر فيما يردكم من دخلٍ وعليكم التزام القناعة بمااحلَّ الله لكم، واجتناب ما حرّم الله، وعليكم اداء ما على الأموال من حقوق شرعية كي تعمر دنياكم وآخرتكم.

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٣٠٨/٩.

٢ ـ البحار: ١٩٧/٧.

التائب حبيب الله

في احدى اسفاري إلى مشهد التقيت بشخصٍ كأنه يعرفني منذ سنوات، وبعد حديث طال بيننا لعدة دقائق دعاني لا ذهب حيث يجلس. وحيث انني التقيه لاول مرة فقد لبيتُ دعوته، فتبين انّه ممن كان يستمع لمحاضراتي أيام محرم وصفر، اذ انّه كان يعرفني الّا انني كنت لا اعرفه.

وبعد ان غادر المجلس لدقائق معدودة سألت عنه مَنْ كان برفقته فلمّا ذكر اسمه عرفته جيداً، فقد كان رجلاً قوياً يحسب له اقوياء طهران وشجعانها الف حساب.

كان يعمل في بيع المشروبات الكحولية والتهريب وقبض التذاكر في صالات القمار والحانات، ولم يكن هنالك من يجاريه في طهران، فجمع ثروة طائلة من الحرام.

وإذا بالنور الالهي يشرق على قلبه ويحالفه التوفيق الرباني، وإذا بوجدانه وفطرته وعقله يستنقذوه من مخالب السطوة والتهور، فباع كل ما لديه من املاك وآثاث ووضع ما لديه من نقود في صرّةٍ وتوجه إلى آية الله العظمى البروجردي (ﷺ) في قم، فاستقبله مرجع الشيعة الأعلى آنذاك بوجهٍ صبوحٍ وثغرٍ باسم بعد ان اطّلع على احواله عن طريق خادمه، فقال للسيد البروجردي: ان كلَّ ما في هذه الصرّة حرامٌ ولا طاقة لي على تحمل حساب يوم القيامة فازل عن كاهلي هذا الوزر العظيم.

فرد عليه السيد: إذاكنت صادق التوبة فاخلع ما عليك من ملابس وعد إلى طهران بالقميص والملابس الداخليه، فخلع ملابسه، فتأثر السيد كثيراً لموقفه اذ لمس منه صدق التوبة، فاعاد له ملابسه وما بقي له من امواله وكانت تقدر آنذاك بخمسة آلاف تومان مبشراً إياه بمستقبل زاهرٍ مليء بالبركة.

وكفّ عن الحرام فعاد إلى طهران بذلك المبلغ وطوى صفحة الماضي، واشتغل بكسب الحلال بتلك النقود فتحسن وضعه كثيراً وتغيرت حياته ووجّه زوجته واولاده للسير في طريق الحق تعالى، وتكفل باقامة مجلسٍ ديني، حتى توفي في عام ١٩٩٤م وكانت وفاته في ليلة جمعة، ولما لم يبق من عمره سوى لحظات خاطب الامام الحسين (عليه السلام) بعيون باكية: إنني قد افنيت شطراً كبيراً من عمري في خدمتك والآن يحدوني الأمل بأن احظى برعايتك، وكما تنقل زوجته وولده: فقد توجه ببصره نحو زاوية من الغرفة وسلّم على سيد الشهداء (عليه السلام) ثم اسلم روحه إلى باريء الأرواح.

نعم ايّها الأحبة، فإنّ باب التوبة مفتوحٌ للجميع، والتوبة تطهير للباطن وتنويرٌ للقلب وتهذيبٌ للاخلاق وتنقية لظاهر الحياة. وتطهير للمال من الحرام، فلماذا لا ننعم بهذه التجارة الرابحة؟ ولماذا لا نخرج من الظلمات نحو النور ونحن نعيش أيامنا الأخيرة؟ حيث ان جميع ما في الدنيا من ثروات لا تستحق البقاء في ظلمات المعصية، لنتب إلى الله فالتائب حبيب الله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ...﴾(١).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«ليس شيء احبُّ إلى الله من مؤمنٍ تائبٍ أو مؤمنة تائبة»(٢).

وقال (صلى الله عليه وآله):

«أما والله اشدّ فرحاً بتوبةِ عبده من الرجل براحلته»(٣).

وعنه (صلى الله عليه وآله):

---

١ ـ البقرة: ٢٢٢.

٢ ـ ميزان الحكمة: ١/٥٤٠ ـ ٥٤١.

٣ ـ نفس المصدر.

«لله افرحُ بتوبة من العقيم الوالد، ومن الضّال الواجد، ومن الظمآن الوارد»[١].

وقال (ﷺ) أيضاً:

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[٢].

وقال علي (ؑ):

«التوبة تطهِّرُ القلوب وتغسل الذنوب»[٣].

وللتوبة النصوح آثار اشار اليها النبي (ﷺ)، وإذا ما تجلّت تلك الآثار حينها يمكن اليقين بحصول التوبة والاّ فلا بدّ من التشبث بانوار التوبة من جديد.

يقول (ﷺ):

«التائب إذا لم يستبن اثر التوبة فليس بتائب: يُرضي الخصماء، ويعيد الصلاة، ويتواضع بين الخلق، ويتّقي نفسه عن الشهوات، ويهزل رقبته بصيام النهار»[٤].

وقال أمير المؤمنين (ؑ) لقائل بحضرته ـ استغفر الله ـ: ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار؟ ان الاستغفار درجة العليين وهو اسمٌ واقعٌ على ستة معانٍ، أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود اليه ابداً، والثالث أن تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة، والرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيّعتها فتؤدي حقّها، والخامس أن تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة لما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول:

استغفر الله[٥].

---

١ ـ نفس المصدر.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ البحار: ٣٥/٦ ـ ٣٦.

٥ ـ البحار: ٣٦/٦.

﴿ تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾

المائدة / ٢

١٧

المرتكزات المعنوية للاسرة

النعم المعنوية

لقد منّ الله سبحانه على الانسان بنعمٍ لا يقوى على معرفة قدرها واهميتها احدٌ سواه جلّت قدرته، وذلك كي يحيا الانسان طاهراً زاكياً نقياً.

وبعض هذه النعم يتمثل في العقل والكتاب والنبوة والامامة والعلماء ومجموعة الآثار المترتبة على هذه المناهل وتتجلى بصورة مجموعة من المسائل العقائدية العملية والأخلاقية.

ولغرض ان يتعرف القرّاء الكرام على مفهوم كلٍّ منها لا بأس بالتطريق اليها على نمو الاجمال:

العقل

والمراد منه قوة الادراك، حيث انّه يتولى ادراك الحق والباطل في الأمور النظرية، والخير والشر والمضار والمنافع في الأمور العملية.

وهو مجهز بحواس ظاهرة يدرك من خلالها ظواهر الأشياء، وحواس باطنة يدرك من خلالها المعنويات والروحيات كالارادة والحب والبغض والرجاء والخوف ونحو ذلك، وهو يستخدم كلاً من هذه الحواس على ضوء ما يقتضيه الوضع والزمان، وله حكمٌ نظريٌ في النظريات وحكمٌ عملي في العمليات.

والعقل فعالٌ ما دامت له الغلبة في كيان الانسان وكانت جميع قوى الانسان رعيةً له، اما إذا تغلبت قوةٌ ما في كيان الانسان على العقل آنذاك يصاب العقل

بالضعف والشلل وينحرف الانسان عن صراط الاعتدال وينحدر إلى اودية الافراط والتفريط.

فالذين هوَوْا في الافراط أو التفريط في حياتهم انما ذلك نتيجة لغلبة شهوتهم وغضبهم وحرصهم وطمعهم على عقلهم.

ان اطلاق العنان للشهوات والغرائز، ومعاشرة اهل البدع والمعاصي، وانكار الحقائق، هي من العوامل التي تُضعف العقل وتوهنه، وتشل هذه الموهبة الالهية، وإذا ما عُطل العقل عن العمل حينذاك يصعب بل يتعذر تشخيص الحق والباطل ومعرفة الحقائق، وعندها يستحق الانسان خزي الدنيا وعذاب الآخرة وان تشبث بألف وسيلةٍ من المكر والخداع لبلوغ الخير المادي وأمن الشر الظاهري[1].

وهذا ما يؤكده خطاب خزنة جهنم لاهلها:

﴿... أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ«٨» * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[2].

والتعقل ممكنٌ ما لم تكن قوةٌ اخرى هي صاحبة الكلام في وجود الانسان، فإذا كانت الشهوة هي صاحبة الكلام حينها يفقد العقل قدرته على هداية الانسان.

سُئل الامام الصادق (عليه السلام) عن العقل، قال:

«ما عُبد به الرحمن واكتُسب به الجنان»[3].

---

١ ـ موجز عن حديث طويل في الميزان ج ٢: ٢٤٧ ـ ٢٥١.

٢ ـ الملك: ١٠.

٣ ـ البحار: ١/١٣١.

فقيل له: فالذي كان في معاوية؟ فقال: تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل.

فأيُّ نعمةٍ عظيمة هذه حيث يغدو الانسان في ظلها عبداً حقيقياً لله سبحانه ينال على أثرها الجنّة.

قال أمير المؤمنين (ﷺ):

«همّةُ العقل ترك الذنوب واصلاح العيوب»[1].

ونور هذه النعمة من القوة بمكان بحيث ان أمير المؤمنين (ﷺ) يقول:

«لو لم ينهَ الله سبحانه عن محارمه لوجب ان يتجنبها العاقل»[2].

وما يقصده (ﷺ) هو ان هذه القوة المعنوية تتمتع بعظيم الادراك.

وجاء في باب العقل من كتاب غرر الحكم، عن أمير المؤمنين (ﷺ) انّه قال:

«العاقل من غلب هواه ولم يبع آخرته بدنياه، العاقل من عصى هواه في طاعة ربّه، العاقل من يملك نفسه إذا غضب وإذا رغب وإذا رهب، شيمة العقلاء قلةُ الشهوة وقلة الغفلة»[3].

وقال رسول الله (ﷺ):

«انّما يدرك الخير كلُّه بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له»[4].

وقد ورد في الكثير من الروايات ان عقاب الانسان يوم القيامة منوط بالعقل فهو ملاك المسؤولية والتكليف[5]، والانسان هو الذي يجب عليه استثمار العقل للتفريق بين الحق والباطل والخير والشر، والاقبال نحو الحقائق، وان تعطيل

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٤١٩/٦.
٢ ـ نفس المصدر.
٣ ـ غرر الحكم، باب العقل.
٤ ـ البحار: ١٥٧/٧٧.
٥ ـ الكافي: ٢٦/١.

العقل انما هو ذنبٌ لا يغتفر.

يتعين على رب الأُسرة صيانة العقل من جموح الشهوات والغرائز والمفاسد وذلك كي يتنعم بعقله الذي يعدّ مصباح الهداية والحجة الباطنية ومصدر ادراك الحق والباطل والخير والشر، وان لا يدع عقله يقع اسيراً للشهوات والأهواء النفسية وكذا يفعل مع افراد اسرته، اذ ان تعطيل العقل عن ممارسة دوره يجعل الانسان ينحدر من صف الأدمية إلى حضيرة الحيوانية.

وعلى هذا الصعيد، لا بد من الحؤول دون تردد المفسدين واهل البدع إلى البيت والاتصال بالعائلة، وعدم التردد على بيوتهم، وان تخضع الزيارات والمعاشرات والضيافات للقواعد الاسلامية.

قال رسول الله (ﷺ):

قال عيسى بن مريم للحواريين: تحبّبوا الى الله وتقرّبوا اليه، قالوا: يا روح الله بماذا نحب الى الله ونتقرّب؟ قال: ببغض أهل المعاصي والتمسوا رضى الله بسخطهم، قالوا: يا روح الله فمن نجالسُ اذن؟ قال: مَن يذكّركم الله رؤيته، ويزيد في عملكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله[1].

وقال الامام علي بن الحسين (ع):

«مجالسة الصالحين داعيةٌ إلى الاصلاح»[2].

وقال النبي (ﷺ):

لا تجلسوا إلّا عند كلّ عالمٍ يدعوكم من خمسٍ الى خمس: من الشك الى اليقين، ومن الرياء الى الاخلاص، ومن الرغبة الى الرهبة، ومن الكبر الى التواضع، ومن الغش الى

١ ـ البحار: ١٤٧/٧٧.

٢ ـ البحار: ١٤١/٧٨.

النصيحة[١].

وقال أمير المؤمنين (ﷺ):

«لا يأمن مجالس الأشرار غوائل البلاء»[٢].

وقال الرسول الأكرم (ﷺ):

«اياكم ومجالسة الموتى، قيل يا رسول الله من الموتى؟ قال: كلُّ غنيٍّ أطغاه غناه»[٣].

وعن علي (ﷺ):

«جانبوا الأشرار وجالسوا الأخيار»[٤].

فإذا ما اردتم ان يسود العقل في حياتكم، جنّبوا انفسكم واهليكم مصاحبة الأشرار ومعاشرة المفسدين، وغلبة الشهوات.

وفي عصرنا الراهن تعتبر اشرطة الفيديو واللاقطات الفضائية من جملة الأشرار التي تلف البشرية قاطبة. فالجلوس امام مصدري الشر هذين يفسد العقل ويدمّر الأخلاق ويطيح بصرح الانسانية.

القرآن

القرآن هو كتاب الله، ومنار الهدى، وشفاء لما في صدور، ودليل نحو حياةٍ افضل، وفيه ذكر الله، وهو منظمٌ لشؤون البشرية ومنهلٌ للمواعظ والعبر ومنبع المعرفة والبصيرة وفيه علاجٌ لعمى القلوب، وهو الصراط المستقيم والفرقان بين

١ـ البحار: ١٤١/٧٨.
٢ـ البحار: ١٨٩/٧٤.
٣ـ نفس المصدر.
٤ـ نفس المصدر.

الحق والباطل ومبيّنٌ لفضائل الأخلاق وتفصيل لحياة الصادقين والأبرار، وحجة الله يوم القيامة.

والرجل والمرأة مسؤولان امام هذه النعمة الالهية، ومسؤوليتهما تتمثل في تعلم القرآن والعمل بمضمون آياته على كافة الأصعدة الحياتية.

ان هجران كتاب الله يعدّ ذنباً عظيماً ومعصيةً لا تغتفر. فالقرآن رسالة من الله إلى عبده يتوجب على العبد الاجابة عليها، والاجابة تكون من القلب وتتمثل بالايمان بالعقائد الحقّة، ومن النفس وتكون بالالتزام بفضائل الأخلاق، ومن البدن وتكون بالانهماك في صالح الأعمال.

قال رسول الله (ﷺ):

«إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنّه شافعٌ مشفّعٌ وما حلٌ مصدق، ومن جعله امامه قادة إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلُّ على خير سبيل»(١).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أفضل الذكر القرآن به تُشرح الصدور، وتستنير السرائر»(٢).

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«مَنْ لم يعرف الحقَّ من القرآن لم يتنكَّب الفتن»(٣).

وعن علي (عليه السلام):

«ان احسن القصص وابلغ الموعظة وانفع التذكر كتاب الله عزوجل»(٤).

---

١ ـ البحار: ٩٣/١٧.

٢ ـ ميزان الحكمة: ٨/٦٧ ـ ٦٩.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ نفس المصدر.

وعنه (عليه السلام) أيضاً:

«ان فيه شفاءً من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغيُّ والضلال»[١].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«القرآن غنىً لا غنى دونه ولا فقر بعده»[٢].

وقال الصادق (عليه السلام):

«ينبغي للمؤمن ان لا يموت حتّى يتعلّم القرآن أو يكون في تعلّمه»[٣].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«خيارُكم مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه».

على ضوء هذه الروايات المهمة تتضح اكثر عظمة المسؤولية الملقاة على عاتق رب الأُسرة.

فعلى رب الأُسرة ان يتعلم القرآن ويوفر الأجواء من اجل ان يتعلمه اهله أيضاً، ومن ثم يبادرون جميعاً للعمل بتعاليم كتاب الله، كي تتطهر ربوع الحياة من الخبائث وتغدو زاكيةً طاهرةً، وبالتالي تتحول الدار والعائلة إلى نفحة من نفحات الجنّة الأخروية.

انها دارٌ خلت من الظلم والعدوان، وتتنعم بالبر والتقوى، وتتعطر اجواؤها بالامن والاستقرار والصدق والأمانة.

وهي الدار التي لجأ اهلها إلى القرآن ومنه ينالون كمالهم العقلي والفكري، اذا ان اتساق العقل مع القرآن يجعل منه عقلاً ملكوتياً ومنهلاً الهياً، تكون معطياته عبادة الحق تعالى وبلوغ جنّة الخلد.

---

١ ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦.

٢ ـ البحار: ١٩/٩٢.

٣ ـ نفس المصدر.

الأنبياء

وهم هداة البشرية إلى الصراط المستقيم، والدعاة للتوحيد وهم الكاشفون عن الحقائق الظاهرية والباطنية.

والأنبياء هم الدعاة لعباده الله سبحانه والمنذرون من عبادة الطاغوت، وهم الذين يوضحون السبيل لان يحيا الانسان حياةً طيبة، ويلتزم المعروف وينأى عن المنكر.

ودعوة الأنبياء انما هي دعوة الحق التي ان اجيبت فإنّ نتيجتها الحياة الطيبة.

قال علي (عليه السلام) بشأن نبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته»(١).

فقد بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليتلو على الناس آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وليخرجهم من الظلمات إلى النور.

وما جاء إلّا ليأمر بالعمروف وينهى عن المنكر، ويحلُّ الطيبات ويحرِّم الخبائث، ويضع عن الناس ما حُمِّلوا من أوزار والاغلال التي كبَّلت اعناقهم.

وان الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا القرآن الذي جاء به هم المفلحون(٢).

انّه جاء ليتم الحجة على الناس جميعاً لئلا يقول الضالون يوم القيامة لو كان فينا رسول لما وقعنا في الشقاء والغواية.

لقد جعل الله سبحانه من سيرة الأنبياء حجةً على جميع العباد وعبّر عنهم بالقدوة والأسوة.

---

١ ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧.

٢ ـ موجز الآيات المتعلقة بالنبوة في القرآن الكريم.

فالاحسان والجود والصبر وقضاء حاجة المؤمن والطهارة والبُشر وحب النساء واقامة الصلاة والتعطّر، كلها من أخلاق الأنبياء.

وقد دعا الأنبياء الناس إلى التقوى والطهارة والأمانة والصدق والشجاعة والوفاء والصلاح والتكامل والرأفة والعطف والاحسان، وانذروهم من ارتكاب قبائح الأعمال.

والأنبياء هم ميزان الاعمال يوم القيامة وبهم يقاس الناس فإن كان الناس على ما هو عليه الأنبياء نجوا والّا فالعذاب مصيرهم.

الأئمة

لقد اجتبى الباري تعالى اتماماً لنعمته واكمالاً لدينه أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب (ﷺ) وأحد عشر اماماً من ولده كي يثبت الناس من بعد رسول الله (ﷺ) على الصراط المستقيم مستنيرين بكتاب الله وعترة رسول الله (ﷺ) وينجون من الضلالة إلى الأبد.

وبالرغم مما تعرض له الأئمة (ﷺ) من قبل الأشرار والحكومات الطاغوتية التي عاصرتهم الّا انهم لم يتوانوا لحظة واحدة عن بيان الحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن الأدعية التي تعتبر تبياناً للمعارف الالهية لغرض تربية الناس، وبذلك اتموا الحجة على الناس من خلال فعلهم وقولهم وشهادتهم.

والأئمة شأنهم شأن الأنبياء يعتبرون ميزاناً يوم القيامة، فإذا وافقت حياة البشر ما كان عليه الأئمة نجوا والّا فالعذاب موئلهم.

العلماء

والفقهاء المختصون بالمعارف الالهية والمتبحرون بعلوم القرآن والأحاديث

هم حجج الله على خلقه ايضاً بعد الأنبياء والائمة، وعلى الناس اتباعهم، اذ ان اتباع العالم الجامع للشرائط بمثابة اتباع النبي أو الامام وذلك مدعاة للنجاة والفلاح.

على رب الأُسرة ان يعي هذه الحقيقة وهي وجوب ان يخصص جانباً من وقته لتعلم القرآن ومعرفة الأنبياء والأئمة وولاية الفقيه، وان يبادر إلى تعريف عائلته بهذه الحقائق أو يتولى ذلك مَنْ له اختصاص بها، اذ ان التزود العملي من كتاب الله والأنبياء والائمة وقيادة العلماء الجامعين للشروط يعدّ موجباً لبلوغ خير الدنيا والآخرة واشراقة الحياة الطيبة.

ان التخلّي عن العقل والابتعاد عن القرآن والغفلة عن الأنبياء والأئمة وتجاهل العالم الرباني ما هو الّا خسرانٌ وهلاك ومبعث لحلول الخزي في الدنيا والآخرة.

وعلى افراد الأُسرة اعانة رب الأُسرة في هذا المجال، وان يقدّروا له ما يقوم به من اعمال صالحة ومفيدة ويتعرفوا على التعاليم الالهية بما وسعهم، وهذا هو معنى التعاون على البر والتقوى ليس الّا.

وإذا ما اصيب رب الأُسرة بالوهن في هذا الجانب، عى زوجته واولاده تشجيعه وترغيبه وحثه على توفير الأرضية اللازمة لتجلّي هذه الحقائق، اما إذا ابدى عناداً فعليهم عدم الانصياع له ولكن بالتزام الأدب والرصانة ويبادرون بانفسهم من اجل تعلّم القرآن ومعرفة النبي والامام والعالم الرباني كي ينالوا السعادة نتيجة ما توفر لديهم من ارادة.

على رب الأُسرة ان يُعطّر اجواء الدار بقراءة القرآن والدعاء والمناجاة والتضرع وذكر الله لا سيما الصلاة كي تتسق دنياهم مع دينهم وبذلك ينال اهل الدار حسن العاقبة.

الصلاة

ان الصلاة بشكل صحيح وبحضور قلب ليست الواجب الوحيد الذي يتحمله رب الأسرة، بل ان القرآن الكريم يرى بأن الله تعالى قد وضع مسؤولية تعليم ابناء الأسرة على عاتقه ايضاً. ويتعين عليه الأخذ بيد عياله نحو رحاب الصلاة باسلوب لطيفٍ وتشجيهم لاداء هذه الفريضة الساميه.

قال تعالى:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1].

ونقرأ في القرآن الكريم ان مما امتاز به اسماعيل (عليه السلام) أمره اهله بالصلاة.

وكان يأمر أهله بالصلاة...[2]

كما نقرأ أن ابراهيم (عليه السلام) دعا الله سبحانه ان يجعله وذريته ممن اقام الصلاة.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾[3].

وفي روايات عديدة عبّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الصلاة بانها قرة عينه[4].

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«... ما من شيء بعد المعرفة يعد هذه الصلاة»[5].

وقال علي (عليه السلام):

١ ـ طه: ١٣٢.

٢ ـ مريم: ٥٥.

٣ ـ ابراهيم: ٤٠.

٤ ـ البحار: ٧٧/٧٧.

٥ ـ البحار: ٦٩/٤٠٦.

«اوصيكم بالصلاة وحفظها فإنّها خير العمل وهي عمود دينكم»[١].

وقد وصف القرآن الكريم الصلاة بانها تنهى عنها القبائح ظاهرها وباطنها:

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٢].

وقال الامام الباقر (عليه السلام):

«انّ أول ما يحاسب به العبد الصلاة فإن قبلت قبل ما سواها».

ان تضييع الصلاة والاستخفاف بها او ترك هذه العبادة الكبرى أحد اسباب الحرمان من شفاعة النبي (صلى الله عليه وآله) والخزي يوم القيامة وحلول اللعنة الالهية والحرمان من دخول الجنّة[٣].

علينا الاهتمام بصلاتنا وصلاة اهلينا لئلا يشكونا إلى الله في المحشر ويضجون إلى الله قائلين: لو كنا قد دعينا إلى الصلاة لأجبنا، فخلو صحائفنا من الصلاة انما هو تقصير الأزواج والآباء أولاً، ومن بعده وقع التقصير منا، الهنا فخذ بحقنا منهم وادخلهم في لعنتك واذقهم ضعفين من العذاب لانهم هم الذين صدّونا عن الصلاة نتيجة غفلتهم عنها!!

ان الأطفال يعدّون مصورين ماهرين، اذ انهم يقلّدون كل ما يمارسه الكبار من تصرفات وأخلاق وحركات، فإذا ما اقمتم الصلاة وصمتم وقرأتم القرآن وتحليتم بدماثة الأخلاق والمودة وابديتم الوقار والتأديب، فإنّهم يقلدونكم في ورد في رواية: مرّ عيسى بن مريم (عليه السلام) بقبر يعذَّب صاحبه ثم مرّ به من قابل فإذا هو ليس يعذّب، فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول وهو يعذب، ومررت به العام وهو ليس يعذّب، فاوحى الله جل جلاله اليه: يا روح الله قد ادرك له ولد

---

١ ـ البحار: ٢٠٩/٨٢.

٢ ـ العنكبوت: ٤٥.

٣ ـ البحار: ٨٣/٩ ـ ١٩.

صالح فاصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه[١].

فيا ايّها الأحبّة ! ان تربية الذرية الصالحة الذين يصبحون من أهـل العـبادة والبر لا تدرّ المنفعة في الدنيا فحسب بل ان منافعها تمتد إلى البرزخ ويوم القيامة ، فلا تغفلوا عن هذه التجارة الرابحة .

١ ـ الوسائل : ٣٣٨/١٦ طبعة آل البيت .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾

التحريم / ٦

١٨

مسؤولية رب الاسرة

قوا انفسكم وأهليكم نار يوم القيامة

في احدى آيات سورة التحريم يُلقي الله سبحانه وتعالى بـمسؤولية ثـقيلة على كاهل رب الاسرة، وهذه المسؤولية رغم فداحتها إلّا انها زاخرة بـالمنافع الدنيوية والاخروية.

ولو التزم الناس جميعهم لا سيما مَنْ بعهدتهم عيالٌ بمضمون هذه الآية لحلّت نسبة عظيمة من المشكلات التي تعاني منها العوائل، وازيحت الفوضى وحـالة اللااستقرار واللاأمن من اجواء البيت وحلّت المشاكل، يقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ ٱللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1].

نعم، انها مسؤولية عظيمة تقع على عاتق رب الاسرة تتمثل في الأخذ بـيد أهل بيته نحو التوحيد والاعتقاد بالمعاد والخشية من العذاب والتـزام التـقوى، وتأديبهم بالآداب والأخلاق الاسلامية، وتوفير الارضية اللازمة للكمال والرقي وتربيتهم وتعليمهم، وصيانتهم من عذاب يوم القيامة.

ان ما تؤكده الآية الكريمة بأن الانسان هو الذي يسعّر تلك النار لهو أمر في غاية الأهمية والظرافة.

اذ يستفاد من الآيات القرآنية بكل وضوح ان مادة العذاب يوم القيامة واصلة

١ـ التحريم: ٦.

هي الذنوب والمعاصي.

وفي واقع الأمر، فإنّ الجرم والجزاء في الآخرة من سنخ واحدٍ، على العكس منهما في الدنيا ففيهما اختلاف ذاتي وسنخي، فالذي يرتكب ما يخالف قوانين المرور كأن يسير بسيارته في الجانب الأيسر من الطريق، أو يسير في طريق يمنع فيه السير يغرَّم مبلغاً من المال، فالجريمة هنا عملية إنسانية، اما الجزاء فهو مالي، وهنالك اختلاف سنخي بين العمل والمال أما في النظام الكوني فإنّ الجريمة والجزاء من سنخ واحد، بمعنى ان من ارتكب جريمة فإنّ هذه الجريمة تظهر يوم القيامة على شكل نارٍ مندلعة منه.

فعند ما يصدر ذنبٌ عن الإنسان سواء على الصعيد العملي أو الأخلاقي مادياً ومعنوياً فإنّ ذلك يعني دخوله في النار الّا ان ظهور هذه النار مؤجل إلى يوم القيامة.

هنالك الكثير ممن قضوا اعمارهم في شتى المعاصي ولم يبق منهم عضوٌ نزيه، فهؤلاء في الحقيقة قد اختزنوا الكثير من النار في وجودهم حيث تتجلى هذه بهيئتها المادية يوم تنكشف الحجب وحينها تحيق بصاحبها إلى الأبد وفي هذا المجال تأملوا هاتين الآيتين من كتاب الله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[2].

---

١ ـ البقرة: ١٧٤.

٢ ـ النساء: ١٠.

ففي كلتا الآيتين اعتبر تعالى أكل الحرام أكلاً للنار، ورغم انّه يتمثل اليوم بأكل لقمة لذيذة إلّا انّه يتجلى يوم القيامة بصورته الحقيقة بصورة نارٍ ملتهبة.

وهذا حديث ذلك الوجود المقدس الذي يعتبر الوجود والخلق بما فيهم الجن والملائكة والانس والعرش من نفحات ارادته.

فهو الذي يرى الذنب والمعصية ناراً، وإن نظرنا إلى ذلك على انّه عملٌ شيقٌ ولقمة لذيذة، وهو يشهد التهام النار حين ارتكاب المعصية، وان خفي عنا، ويرى لهيباً عجيباً لتلك النار رغم عدم شعورنا به.

غداً عند ما ينصرف الناس من الحساب تتصاعد النيران من أبصار البشر نتيجة نظرة الحرام، ومن آذانهم نتيجة لسماع ما حرَّم الله، ومن السنتهم لما ارتكبوه من غيبةٍ وفحشاء وبهتان، ومن بطونهم لأكلهم الحرام، ومن غرائزهم لما ارتكبوه من زنا ولواط وممارستهم للعادة السرّية، ومن ايديهم لما ارتكبوه من ظلمٍ وجورٍ وتزوير وشهادة زور وما خطت ايديهم من كلام مضلّلٍ ومن ارجلهم لما سعوا إلى مجالس الحرام، ويئن اصحاب تلك الاعضاء والجوارح في العذاب الاليم ولا مفرّ له من ذلك.

فيا الارباب الاسر! حافظوا على انفسكم واهليكم من هذه النار الّتي هي حصيلة الذنب والمعصية، والتزموا التقوى في جميع جوانب حياتكم، ولا توقعوا انفسكم واهليكم في نار وقودها الانسان نفسه طمعاً في دنيا معدودة ايامها ولذةٍ زائلة وثروة فانية.

ومن بين المواد التي تعدّ وقوداً للنار هو الفحم الحجري الذي يعرفه الجميع بالصلابة والقوة وارتفاع الحرارة وطول مدة الاحتراق.

هنالك كميات هائلة من الفحم الحجري والمواد الذائبة والمحترقة تغلي في بطن الارض وعلى مدى ملايين السنين، وقد تخرج هذه المواد الذائبة من قمم

الجبال على شكل براكين تحرق كل ما يصادفها وتقضي عليه، وتتميز نيران هذه المواد بعدم نفادها بل انها ـ وكما يصرح القرآن الكريم ـ ستعم الكرة الارضية جميعها بحيث انها تحرق البحار جميعاً في المستقبل.

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾[١].

وقد توقع العلماء المعاصرون بهذه الحقيقة ايضاً وهي أن الارض ستتبدل مستقبلاً إلى بركانٍ من نارٍ:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾[٢].

على ضوء ما تستبطنه الارض من بحر عجيب من المواد الذائبة والوقود، ونظراً لما ينتظر الارض من مستقبل تتحول فيه إلى بركانٍ من نار. فإنّنا نذعن للروايات القائلة بأن جهنم وطبقاتها انما تكمن في هذه الارض.

ان وقود النار في ذلك اليوم الناس والحجارة، فالانسان وقوده الذنب والمعصية، والارض وقودها الحجارة المتجمعة في بطن الارض وخارجها ولا يخفى ان حجمها ووزنها ليس بالقليل بالاضافة إلى ديمومتها التي جاءت بناءً على الارادة الالهية، كما ان خلود الانسان في ذلك العالم يأتي وفقاً لارادته جلّ وعلا.

بناءً على ذلك، على رب الاسرة الاستماع أكثر فأكثر إلى هذا النداء الملكوتي:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[٣].

ان مجادلة خزنة جهنم ـ وهم ملائكة غلاظ شداد ـ لا تتيسر لأيٍّ كان، وان

---

١ ـ التكوير: ٦.

٢ ـ ابراهيم: ٤٨.

٣ ـ التحريم: ٦.

اهل النار ضعفاء واذلاء ولا مفر لهم منها ابداً، ومَنْ خفَّ ميزانهم ولحقت بهم الذلّة يكون مستقرهم يوم القيامة مستقراً ذليلاً ومأواهم النار الكامنة تحت هذه الارض، ووقودها الناس والحجارة، وخزنتها غلاظٌ شداد، وعذابها شاملٌ وأليم وابدي، واهلها لاهم من الاحياء ولا هم من الاموات.

﴿ ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَىٰ ﴾[1].

جنّة المأوى

إذا ما بادر رب الاسرة إلى المحافظة على نفسه واهليه من النار، أي نهاهم عن المعاصي بابعادها البدنية والمالية والأخلاقية، وحثَّهم على أداء الفرائض والقيام بصالح الاعمال فهو يكون بذلك قد مهَّد السبيل لنفسه واهله نحو الجنّة، الجنّة التي هي عند سدرة المنتهي وعرضها السموات والارض:

﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[2].

من الواضح هنا ان سدرة المنتهى عالمٌ فسيحٌ بحيث ان الجنة التي عرضها السموات والارض تكمن فيه!!

والقرآن يدعو الجميع إلى المسارعة نحو الجنّة وذلك من خلال التحلّي بالايمان والقيام بالعمل الصالح والتزام فضائل الأخلاق:

﴿ سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3].

ايها الاحبّة! ان زاد جهنم المعصية والذنب، وزاد الجنّة الايمان والتعبد

---

١ ـ الاعلى: ١٣.

٢ ـ النجم: ١٤ ـ ١٥.

٣ ـ آل عمران: ١٣٣.

وخدمة عباد الرحمن، فحافظوا على انفسكم وأهليكم من التزود لجهنم، وتزودوا للجنّة، حيث ان مسؤوليتكم الآن وانتم تتحملون اعباء عوائلكم عظيمة جداً.

اتخذوا من رسول الله (ﷺ) قدوةً لكم في تصرفه مع افراد اسرته بدءً من الزوجة والاولاد وانتهاءً بالخادمة، كي تأمنوا عذاب القيامة وتبلغوا النعيم الابدي أي جنة المأوى.

فقد فاق (ﷺ) جميع من في الأرض في ادائه لحق المرأة وجهد في اداء حق أولاده.

ولم يكن (ﷺ) من أهل الافراط والتفريط، بل التزم الاعتدال في حبّه ورأفته بعياله وفي اخلاقه وممارساته، ورغم رفقه ورقّته مع عياله فهو لم يغفل عن حثّهم على التعبّد وتخديرهم من عذاب يوم المحشر.

وكان (ﷺ) يتعامل داخل الدار مع المرأة على انها امرأة ويتصابى للصبي، فقد كان (ﷺ) نموذجاً للادب واسوة في الفضيلة وقدوةً في الأخلاق، وعَلماً في توحيد الباري جلّ وعلا، ومثالاً في العبودية، ومناراً للهداية.

أربع واجبات مهمّة

لقد جرت الاشارة في التفاسير التي تعتمد تفسير القرآن بالروايات، خلال توضيح الاية الكريمة:

﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً...﴾.

الى بعض الامور المهمة على انها مسؤولية تقع على رب الاسرة يتسنى من خلالها وقاية العيال من عذاب يوم القيامة.

١ ـ بدعائهم الى طاعة الله

على رب الاسرة ان يدعو أهله ـ مادام حياً ـ الى طاعة الله وامتثال تعاليمه التي تضمن صلاح الانسان في الدنيا والاخرة، وتكون هذه الدعوة بنحو لاتصعب فيه تلبيتها، اي تكون مقرونة بالرفق والتودد والقول الحسن وطلاقة الوجه والوقار، دعوة بالقول والفعل بشكل يندفع العيال نحو طاعة الله بكل شغف واشتياق، ويجعلوها في طليعة واجباتهم.

وقد جربت ذلك في بيتي فوجدته مفيداً، فجربوه أنتم ستجدونه مفيداً.

واذا ما اندفع الاطفال نحو طاعة الله، شوقوهم وقدموا لهم الهدايا وقبلوهم احتضنوهم كي تترسخ الطاعة في كيانهم.

وعلى النساء أن يتقبلن من ازواجهن اذا دعونهن الى طاعة رب العالمين كي تتألف آثار استجابتهن في وجود الأبناء.

٢ ـ وتعاليمهم الفرائض

على رب الاسرة ان يعلّم اسرته ـ بما امكنه ـ ما عليهم من الفرائض، وبعض هذه الفرائض مذكور في الرساءل العملية، وبعضها الآخر في الكتب الأخلاقية والفقهية.

اما اذا لم يفلح فعليه توفير السبيل لتعليمهم من خلال اصطحابهم الى المساجد والمجالس الدينية أو استدعاء العالم الى البيت كي يعلمهم الواجبات الشرعية.

ربما يصعب على البعض فهم الرسائل العملية أو يتعذر فهمها حينها يقتضي ادخال الاولاد من الذكور والاناث في حلقات الدرس الخاصة بذلك كي يدركوا واجباتهم الشرعية قبيل بلوغهم سن التكليف.

٣ ـ ونهيهم عن القبائح

يجب على الاسرة نهي عياله عن القبائح وتحذيرهم من عواقب المعاصي والموبقات، وازالة الاجواء التي من شأنها اثارة المعاصي داخل المنزل.

٤ ـ وحثِّهم على أفعال الخير

وعلى رب الاسرة حثّ اهل بيته وتشجيعهم على افعال الخير من قبيل الانفاق في سبيل الله، والتواضع للاخرين، واحترام الكبير ومداراة الصغير، وخلق اجواء السلم والوئام بين الناس، وقول الحق والدعوة اليه، وباختصار، كل فعل خير.

ان انجاز هذه الواجبات الاربعة يعتبر ـ استناداً إلى ما اكده الامام الصادق (عليه السلام) ـ تجسيداً لقوله تعالى: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً...﴾.

ان السعي لهداية عبادالله فيه من الثواب ما لا يعلمه الّا الله سبحانه، اذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأميرالمؤمنين (عليه السلام) حين بعثه إلى أهل اليمن:

«وايمُ الله لَئِنْ يهديَ الله على يديك رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس وغربتْ...»(١).

أيُّ تجارةٍ رابحةٍ هذه؟ فطوبى للذين بنوا حياتهم الزوجية واصبحوا خير معلمين لعوائلهم ليصيبهم من الثواب الجزيل ما صرّح به رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأميرالمؤمنين (عليه السلام) بما يقومون به لهداية كل واحدٍ منهم، وهو غير الثواب المترتب على السعي لكسب الحلال من أجل ادارة شؤون الحياة، اذ ان للسعي

---

١ ـ البحار: ٣٦١/٢١.

من أجل توفير الجوانب المادية لغرض تمشية حياة الزوجة والاطفال أجراً، وللسعي من أجل الجوانب المعنوية لغرض هدايتهم أجراً آخر، ومثل هؤلاء من ارباب الاسر يعيشون في بحبوحةٍ من الأجر والرحمة.

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

النساء / ١٣

(١٩)

حقوق الزوج والزوجة في الاسلام

صورة عن الحقوق الاسرية

لقد ذكرت الحقوق الزوجية بالتفصيل في القرآن والاحاديث، ولم يُهمل شيءٌ على هذا الصعيد، وإذا ما استقرء المرء هذه الحقوق يجد انها من معاجزالدين الاسلامي الحنيف.

فلم تجدر الاشارة في اي دين وثقافةٍ إلى حقوق الزوجين بهذا النحو، وليس بوسع أي دين تقديم ما هو افضل منها حتى قيام الساعة.

ان بعض هذه الحقوق تعدّ بحكم الواجب وبعضها الآخر مستحبٌ، وترك الواجب منها دون رضى الطرف المقابل يعتبر سبباً في حلول العذاب، اما ترك المستحب فهو مدعاة لفتور الحياة.

وقد ذُكرت حقوق الزوجين ببعديها الواجب والمستحب في الاجزاء ٢٠ و٢٢ و٢٣ من كتاب وسائل الشيعة (طبعة مؤسسة آل البيت)، حيث انقل هنا مورد الحاجة منها، وادعو القرّاء الكرام إلى مطالعة تفاصيلها في ذلك الكتاب.

في البداية نتبرك بطائفة من آيات القرآن الكريم مما ترتبط بهذه الأمر ثم نتطرق إلى الاحاديث.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[1].

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[2].

---

١ ـ النساء: ١٩.

٢ ـ البقرة: ٢٢٨.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾(١).

عن اسحاق بن عمار قال: سألت جعفر بن محمد (عليهما السلام):

«ما حقّ المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟ قال يشبعها ويكسوها، وان جهلت غفرَ لها، وقال أبوعبدالله، كانت امرأةٌ عند أبي تُؤذيه فيغفر لها».

وعن الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«أوصاني جبرئيل بالمرأة حتى ظننتُ أنّه لا ينبغي طلاقها الّا من فاحشة مبيِّنةٍ».

وعنه (عليه السلام) أيضاً:

«رَحِمَ الله عبداً احسنَ فيما بينه وبين زوجته فإنّ الله عزّوجلّ قد ملّكهُ ناصيتها وجعله القيِّمَ عليها».

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«ملعونٌ ملعونٌ مَنْ ضيَّعَ مَنْ يعول».

وعنه (صلى الله عليه وآله):

«خيرُكُمْ خيرُكُمْ لاهلهِ وأنا خيركُم لأهلي».

وقال (صلى الله عليه وآله): أيضاً:

«عيالُ الرجل اسراؤه واحبُّ إلى الله عزّوجلّ أحسنُهُمْ صُنعاً إلى اسرائه».

حقوق الزوجة على الزوج

١ ـ توفير مستلزمات الحياة

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

١ ـ الاحزاب: ٥٠.

«فعليكم رزقُهنَّ وكسوتُهنَّ بالمعروف».

وقال الامام السجاد (عليه السلام):

«لئنْ ادخُل السوق ومعيَ درهمٌ أبتاعُ به لحماً لعيالي وقد قرنوا اليه احبُّ اليَّ من أن اعتقَ نسمةً».

وقال الصادق (عليه السلام):

«من سعادة الرجل ان يكونَ القيِّم على عياله».

٢ ـ المباشر

سُئل الامام الرضا(عليه السلام) عن الرجل يكون عنده المرأة الشابة فيمسك عنها الاشهر والسنة ولا يقربها ليس يريد الاضرار بها، يكون لهم مصيبة، يكون في ذلك آثماً قال(عليه السلام) إذا تركها اربعة اشهر كان آثماً بعد ذلك.

وقد ورد في التعاليم الاسلامية: ان على الرجل ان يكون عند زوجته كل اربع ليالٍ ليلة واحدة ليجامعها.

٣ ـ التوسعة في الحياة

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من دخل السوق فاشترى تحفةً فحملها إلى عياله كان كحامل صدقةٍ إلى قومٍ محاويج وليبدأ بالاناث قبل الذكور فإنّ من فرّح ابنته فكأنما اعتق رقبةً من ولد اسماعيل ومن أقرَّ بعين ابنٍ فكأنما بكى من خشية الله، ومن بكى من خشية الله ادخله الله جنات النعيم.

قال الامام موسى بن جعفر (عليه السلام):

«عيال الرج اسراؤه فمن انعمَ عليه بنعمةٍ فليوسِّع على اسرائه، فإنّ لم يفعل أو شك ان تزول تلك النعمة.

وعن النبي (ﷺ) إنّه نهى ان يشبع الرجل ويجيع أهله.

وقال الصادق (ع):

«ان المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خلال يتكلّفها وان لم يكن في طبع ذلك: معاشرةً جميلةً وسعةً بتقدير، وغيرةً بتحصنٍ».

وقال الامام علي بن الحسين (ع):

«ان ارضاكم عند الله اسبغكم على عياله».

وقال رسول الله (ﷺ):

«إذا انفق المسلم على اهله نفقةً وهو يحتسبها كانت له صدقةً».

٤ ـ احترام الزوجة

قال رسول الله (ﷺ):

«مَنْ اتَّخذ زوجةً فليُكرمْها».

وقال (ﷺ):

«أيُّما رجلٍ ضربَ امرأتهُ فوق ثلاثٍ اقامهُ الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيفضحه فضيحةً ينظرُ الأولون والآخرون».

وقال (ﷺ) أيضاً:

«أيضربُ احدكم المرأة ثم يظلُّ معانقها».

وعنه (ﷺ):

«انما المرأة لعبةٌ مَنِ اتَّخذها فلا يُضيِّعها».

وقال (ﷺ):

«انّي اتعجب ممّن يضرب إمراته وهو بالضرب أولى منها، لا تضربوا نساءكم بالخشب فإنّ فيه القصاص».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«... وإنّهنَّ امانةٌ فلا تُضارُّوهنَّ ولا تعضلوهنّ».

سألت حولاً رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن حق المرأة على الرجل.

٥ ـ التزيُّن والنظافة

مثلما يحب الرجل ان يرى زوجته جميلة نظيفة ناصعة الملابس طيبة العطر، فإنّها تتأمل منه ذلك ايضاً، فالنظافة والاستحمام والسواك وصف الشعر وقص الاظافر والتعطر وارتداء الملابس النظيفة وترتيبها، كل ذلك مما يسعد الزوجة ويرضيها، وينمّي لديها العفة والطهارة ويحصّنها من التعلق بالآخرين والاندفاع نحو غير زوجها.

يقول الحسن بن الهجم: «قلت لعلي بن موسى (عليه السلام) خضبت؟ قال نعم بالحناء والكتم أما علمت أن في ذلك لأجراً؟ إنها تحب أن ترى منك مثل الذي تحب أن منها يعني المرأة في التهيئة ولقد خرجن نساء من العفاف الى الفجور ما أخرجن إلا قلة تهيئة ازواجهن»(١).

ويروي الامام الرضا (عليه السلام) عن ابائه:

«ان نساء بني اسرائيل خرجن من العفاف إلى الفجور، ما اخرجهنّ الا قلّة تهيئة ازواجهنّ، وقال: انها تشتهي منك مثل الذي تشتهي منها».

ان بعض الرجال ممن انعدم الانصاف عندهم لا يعتنون بانفسهم وقليلاً ما يسارعون إلى اصلاح شعرهم، ومدمنون على التدخين، افواههم قذرة وكريهة الرائحة، ملابسهم رثّة، لا يهتمون بهندامهم، والأنكى من ذلك انهم يتوقعون من

---

١ ـ بحار الانوار: ١٠٢/٧٦.

ازواجهم تلبية ما يحتاجون في جميع الاموال، هؤلاء هم الظلمة الذين يستحقون التأنيب والتوبيخ.

٦ـ المرونة في الحديث والمداراة

ان الغلظة في الكلام وبذاءة اللسان والحدَّة والتصلّب تدفع المرء إلى اتخاذ ردود فعلٍ معاكسة.

فعندما يخرج الحديث والسلوك عن حدوده فإنّه يثير الحزن لدى الزوجة ويضعف روحيتها وبالتالي يجر الحياة نحو المآسي والاضمحلال.

وبهذا المجال يوصي أميرالمؤمنين (ﷺ) الرجال قائلاً:

«فداروهنّ على كلّ حالٍ واحسنوا».

٧ـ حافظوا على ارادتكم

هنالك طائفة من الرجال يتنازلون عن ما منحهم الله سبحانه من حرية وارادةٍ ويخضعون لنسائهم بكل وجودهم، وبعض النساء يتحكمن بالحياة الزوجية من خلال استغلال الازواج ويأخذن بناصية الحياة انّى شئن.

ومثل هذه الحياة تتحول في الغالب إلى حياةٍ شيطانية تنطوي على أمواج من المعاصي والموبقات والاسراف والتبذير والرغبات الباطلة، وتخلو من المعنويات، وتدفع بالاسرة نحو الانحراف عن القواعد الالهية والانسانية هنالك نسبة عالية من العوائل التي ابتليت بهذا الوباء المدمّر في عصرنا الحاضر، فبدلاً من ان يرتبط بناء الاسرة بالرجل فإنّه يرتبط بالزوجة، وبدلاً من أن يكون الرجل هو الزوج تتحول المرأة الى سيّد على زوجها، ولا قدَّر الله ان لا يستجيب الرجل لرغبات زوجته حتى لو كانت باطلة وتتعارض مع الاوامر الالهية، آنذاك سيندلع

الشجار والنزاع وتوقد الزوجة ناراً مدمّرة لا تخمد ما لم يستسلم الرجل أو يبادر إلى طلاقها.

يقول (ﷺ) بشأن مثل هؤلاء الرجال ضعاف الشخصية والاذلاء.

«كلُّ امرىءٍ تدبِّره امرأةٌ فهو ملعون».

وقال (ﷺ):

«من اطاع امرأته اكبّه الله على وجهه في النار، قيل وما تلك الطاعة قال: تطلب اليه.. الثياب الرقاق فيجيئها».

شكى رجال من اصحاب أميرالمؤمنين (ﷺ) نساءه فقام (ﷺ) خطيباً فقال: معاشر الناس، لا تطيعوا النساء على حالٍ ولا تأمنوهنّ على مالٍ ولا تـذروهنّ يدبِّرن أمر العيال، فإنّهنّ إن تركن وما أُردنَ المهالك.

وعدون أمر المالك، فإنّا وجدناهنّ لا ورع لهنّ عند حاجتهن، ولا صبر لهنّ عند شهوتهن، التبرّج لهنّ لازمٌ وان كبرن، والعـجب لهـنّ لاحـقٌ وإن عـجزنَ، رضاهنّ في فروجهنّ، لا يشكرن الكثير إذا مُنعن القليل، ينسين الخير ويحفظن الشر، يتهافتن بالبهتان ويتمادين في الطغيان ويتصدين للشيطان ،فداروهنّ على كل حال، واحسنوا لهنّ المقال، لعلّهنّ يحسنّ الفعال[1].

حقوق الزوج على الزوجة

ان جانباً مهماً من تماسك دعائم الحياة الزوجية يكمن في مراعاة الزوجـة لحقوق زوجها.

وعلى الزوجة أن تضع الله سبحانه وتعالى واليوم الآخر نصب عينها على هذا

---

١ ـ الوسائل: ٢٠/١٨٠ طبعة موسسة آل البيت.

الصعيد وتجنب ما يقوله الآخرون حول زوجها، ورفض تدخل المحيطين بها.

لعل الآخرون مخطئين في أقوالهم واحكامهم، أو انهم يقصدون سوءً بحياة الزوجين وما تتمتع به من جمالٍ واستقرار، ولعل تدخل الآخرين في الحياة الزوجية لزوجين قد دخلوا القفص الذهبي تواً نابعٌ عن الحسد.

ان المرأة تتميز بسهولة تأثرها، بناءً على ذلك عليها الحذر من هذه الحالة الطبيعية وامكانية وقوع الآخرين في الخطأ والحسد، وان تضع الله سبحانه وتعالى نصب عينيها في اداء حقوق زوجها وذلك يعني اداءً للحقوق الالهية والانسانية، وان تضع بالاعتبار ذلك اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين.

فالرجل يودُّ ان تكون زوجته مختصةً به وتحافظ على طبائعها كامرأة وان لا تخرج عن طورها كانثى وقد خلقت كذلك، وان تحتفظ بانوثتها ورقّتها وجذابيتها وساحريتها لزوجها فحسب ولا تكون مقلّداً للآخرين ولا ترتضي تدخل الاقارب بعيدين كانوا ام قريبين والجيران.

عليها ان تكون شريكة لزوجها وتحيا معه ملبيةً طموحاته المشروعة وتدير شؤون المنزل على ضوء تطلعات وتكون اماً صالحة لاولادها.

هنالك طائفة من النساء ينسينَ انوثتهن ويتعاملن بعنفٍ وخشونة وصرامةٍ، فتؤدي هذه الطبائع إلى احباط تطلعات الرجل وتجعله يندم على زواجه وقد تثير في نفسه النفور من الحياة.

أن تمكين الزوجة الزوج من نفسها حين الحاجة، واطاعتها له في جميع الامور الشرعية والأخلاقية، وعدم الخروج من البيت أو السفر إلّا باذنه، عدا السفر للحج، هي من الحقوق الواجبة للرجل على زوجته، ومنها ما هو مستحب أيضاً.

١ ـ الطاعة

قال الباقر (عليه السلام):

«جاءت امرأة إلى النبي فقالت يا رسول الله! ما حقّ الزوج على المرأة فقال لها: ان تطيعه ولا تعصيه».

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحجّت بيت ربّها، واطاعت زوجها، وعرفت حقّ علي (عليه السلام) فلتدخل من أيّ أبواب الجنان شاءت».

والآن تأملوا هذه الروايات الهامّة الواردة عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله):

«كلّ امرأةٍ صالحة عبدت ربّها وأدّت فرضها واطاعت زوجها دخلت الجنّة».

«ما من امرأة صلّت صلاتها ولزمت بيتها واطاعت زوجها إلّا غفر الله لها ذنوبها ما قدّمت وما اخّرت».

وقال (صلى الله عليه وآله) لامرأة تُدعى حولا:

«يا حولاء، والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً ان للرجل حقاً على امرأته اذا دعاها ترضيه واذا امرها لا تعصيه ولا تجاوبه بالخلاف، ولا تخالفه»[١].

ومن كلام صارم وحازم له (صلى الله عليه وآله):

«لا تؤدي المرأة حقّ الله عزوجل حتى تؤدي حق زوجها».

لا حظتم في هذه الروايات ان مجرد طاعة الزوج لا تمثل ملاكاً للنجاة، بل ان ايمان المرأة وعبادتها واداء الفرائض وترك المحرمات لها دورٌ مهمٌ في نجاتها، بمعنى ان هذه الأبعاد لو اجتمعت لدى المرأة فإنّها ستكون عاملاً في فلاحها

١ ـ مستدرك الوسائل: ج ٢٤٣:١٤.

وفوزها في الدنيا والآخرة.

٢ ـ التمكين

في الحالات التي تخلو من المنع الشرعي، على الزوجة ان تلبّي رغبة الزوج في الجماع بل يستحب ان تبادر هي وتعرض نفسها.

قال رسول الله (ﷺ):

«عليها أن تطيَّب باطيب طيبها وتلبس أحسن ثيابها وتزيّن بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه غدوةً وعشيّة وأكثر من ذلك حقوقها».

فإذا عملت المرأة بما أوصى به رسول الله (ﷺ)، تكون قد احتفظت بزوجها لنفسها وحصَّنته عن نظرة السوء والتعلق بغيرها من النساء أو ملاحقة هذه المرأة أو تلك.

ان الجانب الاعظم من الاختلافات انما ينشأ من هذه الناحية، اذ ان المرأة تحتفظ بطيبها وافضل ملابسها وزينتها إلى حين ذهابها للتزاور أو الاعراس، أما موقفها مع زوجها فيكون فاتراً، وإذا ما عادت من زيارتها أو الاعراس فإنّها لا توفر لزوجها فرصة رؤيتها بتلك الحالة، اذ سرعان ما تخلع ملابس الزينة وترتدي ملابس المنزل وتلقي بزينتها وتعود إلى حالتها الطبيعية، وذلك فعلٌ من شأنه اتعاب الرجل وايذائه ويؤدي إلى اضعاف العلاقة بينهما وبروز أمور اخرى.

وهنالك الكثير من الازواج الشباب والكهول قد شكوا لديَّ من اهمال زوجاتهم وعدم استجابتهن من ناحية التمكين وترك الزينة وارتداء الملابس الزاهية وعرض انفسهن للازواج، وعبّروا عن رغبتهم في اللجوء إلى الزواج المؤقت أو الاقتران من امرأة ثانيةٍ، وطلبوا مني ايجاد حلٍّ لمشكلاتهم.

ان وصيتي الوحيدة للسيدات هي ان يمتثلن التعاليم الصادرة عن الرسول

الاكرم (ﷺ) والأئمة الطاهرين (ﷺ) في هذا الجانب تلافياً للمشاكل، ولكي لا تلعب الشهوة بالرجل خارج المنزل، وإلّا سينهار صرح الحياة الزوجية فيقع وزر ذلك على عواتقهن يوم المحشر!

ثمة حكمٍ اصدره رسول الله (ﷺ) فيما يتعلق برغبة الرجل وتمكين الزوجة لزوجها، وهو ما اجاب المرأة التي سألته (ﷺ) عن حق الرجل، فقال (ﷺ):

«ولا تمنعه نفسها وان كانت على ظهر قتبٍ».

كما قال (ﷺ):

«لا تُطوّلنَ صلاتكنَّ لتمنعنَ ازواجكنَّ».

٣ ـ الخروج من الدار

وا أسفاه! لقد عُطّلت هذه الحقيقة ـ اي وجوب طاعة المرأة لزوجها اثناء خروجها من البيت ـ من قبل الكثير من النساء اللواتي فقدن انوثتهنَّ وانتحلنَ الرجولة ازاء ازواجهنّ.

فإذا كان خروج المرأة من بيتها مطلقاً وكما ترغب لما ربطه الباري تعالى باذن الرجل ورضاه.

لقد خرجنَ النساء من البيوت دون اذن الازواج واصبحن مصدراً للفتنة والفساد فأطحنَ كما في المجتمع من عفافٍ ووقار، اضف إلى ذلك انهنّ لم يخرجن بالمظهر الطبيعي، بل بازهى المبلابس ووجوهٍ قد طليت بمواد التجميل كاشفات عن شعورهن ووجوهنّ بارزات امام الرجال في الشوارع والاسواق بشكل جذّاب وساحر، وفي بعضل الاحيان يكنّ قد اخمدن جذوة الغيرة عند الرجال كي لا يعترضوا على الاعيبهنّ، واتبعن الثقافة الشيطانية لليهود والنصارى، أو كما يطلقون عليها الحضارة أو الحداثة، فالحقن بالاسلام

والمسلمين من البلاء ما لا يعوّض حتى قيام يوم الدين !

نهى رسول الله ان تخرج المرأة من بيتها بغير اذن زوجها فإنْ خرجت لعنها كلُّ ملَكٍ في السماء وكلُّ شيء تمرُّ عليه من الجنِّ والانس حتى ترجع إلى بيتها.

قال الامام الصادق (عليه السلام):

«ان رجلاً من الانصار على عهد سول(صلى الله عليه وآله) خرج في بعض حوائجه فعهد إلى امرأته عهداً ان لا تخرج من بيتها حتى يقدم. قال: وان أباها قد مرض فبعثت المرأة إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) تستأذنه ان تعوده فقال: لا، اجلسي في بيتك واطيعي زوجك، قال: فثقل فارسلت اليه ثانياً بذلك فقال: اجلسي في بيتك واطيعي زوجك، قال: فمات أبوها فبعثت اليه ان أبي قد مات فتأمرني ان اصلّي عليه؟ فقال: لا اجلسي في بيتك واطيعي زوجك، قال: فدُفن الرجل فبعث اليها رسول الله(صلى الله عليه وآله): ان الله قد غفر لك ولأبيك بطاعتك لزوجك».

٤ ـ تجنب ايذاء الزوج وسوء الخلق وبذاءة اللسان

لرسول الله (صلى الله عليه وآله) كلامٌ عجيبٌ بهذا الشأن وجهه للنساء قائلاً:

يا معشر النساء تصدقن ولومن حليكنّ ولو بتمرة ولو بشق تمرةٍ فإنّ أكثركنّ حطبُ جهنّم، انكنّ تكثرن اللعن وتكفرن العشرة، فقالت امرأة: يا رسول الله أليس نحن الامهات الحاملات المرضعات، أليس منا البنات المقيمات والاخوات المشفقات؟ فقال: حاملات والدات مرضعات رحيمات لولا ما يأتين إلى بعولتهن ما دخلت مصلية منهنّ النار.

وقال الصادق (عليه السلام):

«ثلاثة لا تقبل لهم صلاة: عبدٌ أبق من مواليه حتى يضع يده في ايديهم، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخطٌ، ورجلٌ امّ قوماً وهم له كارهون».

وسأل علي بن جعفر أخاه الامام موسى بن جعفر (عليه السلام):

«المرأة المغاضبة زوجّها هل لها صلاةٌ وما حالها؟ قال: لا تزال عاصيةً حتى يرضى عنها».

وقال رسول الله (ﷺ) لحولا:

«يا حولا، والذي بعثني بالحق نبيا ورسولاً وهادياً ومهديا، ان المرأة إذا غضب عليها زوجها فقد غضب عليها ربّها»[١].

ان النبي (ﷺ) يريد من النساء ان لا يحملن الرجال أكثر من طاقتهم وقابلياتهم، وان لا يذهبن بكرامتهم أمام أحدٍ من الناس من الاقارب كان أم غريباً.

قال الصادق (ع):

«ملعونةٌ ملعونةٌ امرأة تؤذي زوجها وتغمُّهُ، وسعيدة سعيدةٌ امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه، وتطيعُهُ في جميع احواله».

٥ ـ العمل داخل المنزل

قال رسول الله (ﷺ) لحولا:

«يا حولاء ما من امرأة تستخرج (ما طيبت) لزوجها الا خلق [لها] في الجنة من كل لون فيقول لها: كلي واشربي بما أسلفت في الأيام الخالية»[٢].

وقال رسول الله (ﷺ):

«ايُّما امرأةٍ دفعت من بيت زوجها شيئاً من موضعٍ إلى موضعٍ تريدُ به صلاحاً نظرَ الله اليها، ومَنْ نظر الله اليه لم يعذّبه».

وقال الامام الباقر (ع):

---

١ ـ مستدرك الوسائل: ج ٢٤٢/١٤.

٢ ـ مستدرك الوسائل: ١٤: ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

«ان فاطمة عليها السلام ضمنت لعليَ عمل البيت والعجين والخبز وقمَّ البيت، وضمن لها عليٌ ما كان خلف الباب نقل الحطب وأن يجيءُ بالطعام».

٦ـ احترام الرجل ومداراته

قال الامام موسى بن جعفر (عليه السلام):

«جهاد المرأة حسنُ التبعُّل».

ان جهاد المرأة وحسن تبعلها يتمثل في تقدير ما يقوم بها الزوج من اعمال، ومحادثته بتوددٍ ورفق، والصبر على ما يعانيه من فقر وقلة ما في اليد، والترحيب به واستقباله عند الباب وتوديعه عند خروجه، وان لا تمنعه نفسها في الاوقات التي تخلو من المانع الشرعي، والتزين له وارتداء احسن ملابسها، وادارة شؤون البيت بشكلٍ ملائم ومناسب، والاقتصاد في الانفاق وعدم فرض ما يخرج عن طاقة الرجل، وامثال هذه الامور التي شخَّصها الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) وائمة الهدى (عليهم السلام) كواجبات للزوج على زوجته.

قال الامام الباقر (عليه السلام):

«لا شفيع للمرأة انجحُ عند ربّها من رضا زوجها».

وقال الصادق (عليه السلام):

«إن قوماً أتوا رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فقالوا: يا رسول الله إنا رأينا اناساً يسجد بعضهم لبعض فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله) لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها»[1].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحولا:

١ـ الوسائل: ج ١١٥/١٤ ح ١.

«يا حولاء والذي بعثني بالحقّ نبياً ورسولاً، كل امرأة صبرت على زوجها في الشدة والرخاء وكانت مطيعة لامره، حشرها الله تعالى مع امرأة ايوب (عليه السلام)»(١).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انّه قال:

«حقُّ الرجل على المرأة انارة السراج، واصلاح الطعام، وان تستقبله عند باب بيتها فتُرحِّبَ، وان تقدِّمَ اليه الطست والمنديل وان توضأه، وان لا تمنعهُ نفسها إلّا من علّةٍ.

وعند وفاة فاطمة (عليها السلام) وقف أمير المؤمنين (عليه السلام) عند نعشها وقال: اللهم اني راضٍ عن ابنة نبيك، اللهم انها قد اوحشت فآنِسْها».

٧ ـ عدم التزين لغير الزوج

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحولا:

«يا حولا، من كانت منكن تؤمن بالله واليوم الاخر، لا تجعل زينتها لغير زوجها ولا تبدي خمارها ومعصمها، وايما امرأة جعلت شيئاً من ذلك لغير زوجها، فقد افسدت دينها، واسخطت ربها عليها»(٢).

نهى النبي أن تلبس المرأة إذا خرجت ثوباً مشهوراً أو تتحلّى بماله صوتٌ يُسمع.

وثمة حديث مهم للغاية روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ينبغي التأمل به ملياً من قبل المسلمين، يقول صلى الله عليه وآله:

«أيُّما رجلٍ امرأتهُ وتخرج من باب دارها فهو دَيّوثٌ، ولا يأثم من يُسمّيه ديّوثاً، والمرأة إذا خرجت من باب مُتزيِّنَةً والزوج بذلك راضٍ يُبنى لزوجها بكلِّ قدم بيتٌ في

١ ـ مستدرك الوسائل: ج ٢٤٢/١٤.

٢ ـ نفس المصدر: ص ٢٤٤.

النار، فقصّروا أجنحة نسائكم ولا تُطوّلوها فإنّ في تقصيرِ اجنحتها رضىً وسروراً»[١].

٨ ـ عدم التصرف باموال الرجل دون اذنه

قال الصادق عليه السلام :

«ليس للمرأة امرٌ مع زوجها في عتقٍ ولا صدقةٍ، ولا تدبير ولا هبةٍ ولا نذرٍ في مالها الاّ باذن زوجها إلاّ في زكاةٍ أو صلةِ قرابةٍ».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«ولا تُعطي شيئاً الاّ باذنه فإنْ فعلتْ فعليها الوزرُ، وله الأجرُ».

وفي ختام هذا الفصل أرى من الضروري اعادة التذكير بأن الروايات المتعلقة بحقوق الزوج والزوجة قد أُخذت عن الاجزاء من العشرين وحتى الثاني والعشرين من كتاب وسائل الشيعة ، كما أُخذت بعضها من الجزء ١٠٣ من كتاب بحارالانوار ، وهي تمثّل جزءً يسيراً من مجموع الروايات الواردة بهذا الشأن ، وبامكان الراغبين بالمزيد منها مراجعة ذلكما الكتابين النفيسين .

---

١ ـ البحار : ٢٤٩/١٠٣.

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾

لقمان / ١٤

٢٠

الحمل، والرضاعة، والتسمية

بالرغم من ان الأُم تعتبر منهلاً للحنان والعواطف، ورمزاً للرحمة الالهية، وهي تعيش اللهفة لان تصبح أُماً وتكحّل عينيها برؤية وجه ولدها المفعم بالجمال والبراءة، إلاّ فترة الحمل تعتبر بالنسبة لها فترة عصبية مقترنة بالقلق والاضطراب ومواجهة شتى الاعراض بدنياً وروحياً.

على الزوج ومَنْ انتسب اليه، واقارب الزوجين نساءً ورجالاً مداراة الحامل والوقوف إلى جانبها والاعتناء بها بشكلٍ كاملٍ وعلى مدار الساعة، لانّ ادنى تصرفٍ شانىء، وصراخٍ وتشويشٍ وكلام غير مقبول وسوء خلق والحاق ايِّ نوعٍ من الأذى بالمرأة الحاملٍ، بالاضافة إلى ما يتركه من أثرٍ سلبيٍّ عليها فهو يؤثر سلبياً على الجنين في رحم امه ايضاً.

وإذا كان العريسان يعيشان مع والدي الزوج أو مع والدي الزوجة، يتعين عليهم جميعاً ـ سواء من الجانب الشرعي أو الأخلاقي ـ تجنب إثارة الزوج ازاء زوجته الحامل، ومراعاة الظرف الذي تمرّ به بايّ نحو كان.

على والديّ الزوج الاحتراز من التدخل فيما يعيشه الزوجان من حياة وادعة، وعلى والدي الزوجة التزام الحذر من النظر إلى الزوج بعين الاستصغار، لئلا يتسببوا في انهيار الحياة الزوجية لهذين العريسين، لان أقارب الطرفين بأسرهم مسؤولون ازاءهما وكذا ازاء الجنين الذي يستقر في رحم أُمه.

وإذا ما تسبب المقرّبون بالحاق الاذى بالجنين عن طريق ايذائهم المرأة الحامل بسبب سوء أخلاقهم وأقاويلهم والآمال غير المبررة التي يحملها اهل

الزوج أو الزوجة، لا شك أنّ عليهم تقديم الاجابة عن ذلك يوم تقوم محكمة العدل الالهية، وبالطبع فإنّهم عاجزون عن ذلك، يومذاك حيث يوم العدل والانصاف سينالهم العذاب الاليم بما ارتكبوه من ظلم.

والقرآن الكريم يرى أن الجميع مسؤولون أزاء ممارساتهم واخلاقهم وحركاتهم وسكناتهم وتصرفاتهم صغيرها وكبيرها:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[2].

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[3].

لقد وصلتني الكثير من الرسائل أيام ذهابي إلى مختلف نقاط ايران للتبليغ خلال اشهر رمضان ومحرّم وصفر، من الذين دخلوا عش الزوجية تواً، وقد ساهمت في حلِّ الكثير من الاختلافات الناشبة بين العوائل، وكانت نسبة عالية من التقصير صادرة عن الكبار والمحيطين بالزوجين، وفي الأغلب كان السبب في الاختلاف هو الآمال غير المبررة لا بوي الزوج لا سيما اُمه، أو التدقيق الزائد لا بوي الزوجة تجاه صهرهم، أو الحسد الذي عبّر عنه الامام الصادق (عليه السلام) بأنه منشأ الاختلافات المنافية للاخلاق والدين، وبطبيعة الحال فإنّ بعض العرائس لم يكونوا بريئين من التسبب في جانب من الاختلافات، وذلك انما يأتي بسبب صغر سنّهما وقلّة تجربتهما ويمكن تجاوزه، الآن الكبار لم يفعلوا، وعلى اثر ذلك كانت تندلع نيران الاختلاف، اضف إلى ذلك النواقص الأخلاقية والدينية التي كانت تمثل عاملاً مساعداً في تأجيجها أكثر فأكثر فيبلغ الأمر في بعض الأحيان

١ ـ الحجر: ٩٢ـ٩٣.
٢ ـ الصافات: ٢٤.
٣ ـ الاسراء: ٣٦.

ان تنهار حياة شابين وتذهب احلامهما ادراج الرياح.

الكل يعلم، ان الانسان رجلاً كان أم امرأة مجبول على الاستقلال ويتعطش للحرية، وسلب هذه الحرية وهذا الاستقلال من وجهة النظر الاسلامية، من قبل ايٍّ كان، وبحق ايٍّ يعتبر ذنباً كبيراً ومعصية قبيحة.

ان الدعوة للعناية بالحامل والمحافظة على امنها لا يعني تجويز اهمالها والاساءة اليها أثناء خروجها من فترة الحمل، لما تتمتع به المرأة من ظرفٍ حساسٍ أثناء تلك الفترة، بل من الواجب والضروري للجميع احترام حرية الناس واستقلالهم في كلِّ ظرفٍ وزمان.

وإذا كان بمقدور ذوي العريسين توفير مسكنٍ مستقلٍّ لهما منذ البداية، وان يتعاملوا معهما بعيداً عن الافراط في التمنّي، تعاملاً مقترناً بالعفو، تعاملاً اسلامياً وانسانياً، وعلى والدي الطرفين التردد عليهما ودعوتهما الى بيوتهم واعتبار ذلك صلة للرحم، وخلال هذه الزيارات ينبغي تجنب الغيبة والبهتان والتدخل غير المبرر والقيل والقال، واثارة روح التذمّر لدى العريسين ازاء بعضهما البعض، اذ ان مثل هذه الخلق أكثر سوءاً من تصرفات الحيوانات وشبيهاً بالوحشية.

وإذا لم يكن بوسع ذوي العريسين توفير مسكنٍ مستقلٍ لهما، ينبغي توفير جانب من المنزل لهما والسعي لان يعيشا حياةً هانئةً تطفح بالمحبة فيما بينهما كي لا تتعكر حياتهما.

ان العروس بمثابة الامانة الالهية لدى عائلة الزوج، إذ أنها قد دخلت حياتها الجديدة يحدوها الأمل نافضةً يديها من حياتها السابقة، والصهر بمثابة النعمة الالهية بالنسبة لعائلة العروس عليهم المحافظة عليه كما يحافظون على ابنائهم، وهذا يعتبر عبادة في منظور الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة، وعاقبة العبادة بلوغ رضى الحق تعالى ودخول جنان الخلد.

ربما لمس العريسان الخير والمحبّة من قبل والديهما أو المحيطين بهما وأقربائهما وقضيا اجمل أيام شبابهما ومطلع وزواجهما إلى جانبهم، وربما كان العكس من ذلك ففي الوقت الذي كان لابد أن يقضي العريسان احلى ايامهما، يكونان قد ذاقا الأمرّين من والديهما أو غيرهم من الأهل وتجرّعا العذاب منهم.

على أيّة حالٍ، اليوم إذ أصبح للأهل صهر أو عروس عليهم أن يضعوا انفسهم مكانهما ويتصوروا الدور الذي يلعبه الأمن والاستقرار بالنسبة لهذين الشابين في المحافظة على الصفاء والمحبّة والارتباط بينهما، وانّه يهيء الارضية لان يمضيا حياتهما بكل هناء وينعما بما وهبهما الباري تعالى، وبالعكس من ذلك ما تفعله التدخلات غير المبررة والتقولات والمبالغة في الاماني وسوء الخلق، في تعكير الاجواء واثارة التذمر، قد تؤدي إلى تزلزل الأمن والاستقرار وتثير الضغينة بين الاسرتين، وبالتالي احتراق حياة شابين بريئين.

وعلى ما اتذكر فإنّي قد قرأت هذه الرواية المهمة في اصول الكافي مضمونها: ان الامام الرضا (عليه السلام) قال ان آدم (عليه السلام) لما بدأ حياته على الأرض واجه اول المصاعب وهي ان الله سبحانه نصحه.

احب لنفسك ما تحب لغيرك، واكره لها ما تكره لغيرك.

نعم، على ذوي الزوج والزوجة والمحيطين بهما واقاربهما ان يحبّوا لهما ما يحبّون لانفسهم وان يكرهوا لهما ما يكرهوا لانفسهم، وهذه القاعدة إذا ما روعيت من قبل الجميع ازاء بعضهم البعض لن تحصل مشكلة ابداً، وإذا ما حصلت فإنّها تحلُّ بيسر وسهولة.

والآن تأملوا هاتين الايتين المتعلقتين بالحمل:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ﴾(١).

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾(٢).

أليس من الضروري المحافظة على المرأة الحامل ومراعاة الجوانب الضرورية بالنسبة لها أثناء هذه الفترة الحرجة، التي هي فترة ضعفٍ على ضعفٍ، وفترة المشقة والعذاب، والاضطراب والقلق؟ ومداراتها تقع بالدرجة الاولى ومن وجهة النظر الشرعية والعرفية والأخلاقية على عاتق الزوج، ومن بعده اقرباؤه للماحفظة على سلامة الأم والجنين بدنياً ونفسياً.

ما يجب القيام به اثناء فترة الحمل

لا شك في ان فترة الحمل تعتبر فترة عصيبة وأليمة بالنسبة لكل امرأة، ولو لم يكن الدافع الذي جعل الامهات اللواتي تجر عن آلام هذه الفترة وذقن متاعبها، هو محبة الطفل لا نصرفن عن الحمل مرة ثانية لما يحدث من فعاليات عجيبة في مختلف اجهزة جسم المرأة، اذ تزداد افرازات بعض الغدد وتزداد عملية الاحتراق واعادة البناء في الجسم، الاّ ان الكثير من النساء الحوامل لا يستطعن الأكل وبالتالي لا يحافظن على صحتهن نتيجة فقدان الشهية أو الاستفراغ المستمر.

وهنالك طائفة من النساء يقدمن على انتهاج نظام غذائي خاصٍ وشديدٍ للمحافظة على اناقتهنّ وللتخلص من السمنة وكذلك للحد من تضخم الجنين داخل الرحم ويحاولن الابتعاد عن الاغذية الضرورية لفترة الحمل لئلا تحصل زيادة في وزنهنّ أو يكون حجم كبيراً فيترهل جلد البطن وتظهر عليه التجاعيد،

١ ـ لقمان: ١٤.

٢ ـ الاحقاف: ١٥.

أو يتسبب في اثارة المتاعب للمرأة الحامل، غافلات عن ان الحامل عليها ان تأخذ بنظر الاعتبار انها لم تعد شخصاً واحداً منذ بداية الحمل بل شخصين وعليها ان تلتزم نظاماً غذائياً يوفر السلامة لها ولجنينها، لئلا تبقى بعد الحمل جلداً ملتصقاً على العظم، ويخرج طفلها ضعيفاً نحيفاً نتيجة لسوء التغذية.

من أجل ان تمر فترة الحمل بسلام، ولا يزداد وزن المرأة بحيث تصاب بالبدانة والتي تتسبب بمرضها، أو تبتلي بالنحافة بحيث تعجز عن تحمل الجنين، عليها تحديد غذائها اليومي وفق برنامج صحيح وتناول ما هو ضروري من الغذاء وبدقة متناهية.

وبسبب ازدياد افرازات الغدد الداخلية تتصاعد عملية الاحتراق والبناء داخل البدن وتسير بوتيرة عالية، لذا فإنّ عملية الامتصاص تزداد بصورة تلقائية، وعليه فلولا الجنين لاصيبت الام بالسمنة، غير ان تصاعد الفعاليات داخل البدن انما تكون بسبب وجود الجنين، وبناءً على ذلك فهو يضطر في حالة خفض تغذية الأم إلى الاستفادة من الاحتياطي المخزون في الكبد ومخ العظام وسائر الاجهزة في بدن الام وبذلك يعوّض ما يحتاجه.

ومن أجل بناء مختلف اجهزته فإنّ الجنين يحتاج إلى عناصر الكالسيوم والحديد، وهنالك اعتقاد سائد بأنّ الجنين يبني جسمه من الحديد والكالسيوم.

ان الحديد ضروري لبناء دم الطفل، وبدون الحديد لن تُبنى مادة الهمو غلوبين التي تمثّل النواة الاولية لكريات الدم، ولا مناص للجنين الاّ التغذي من ما تختزنه الأم من عنصر الحديد، لذا فإنّها تصاب تدريجياً بفقر الدم، ولا شك في ان الطفل سيصاب بفقر الدم ايضاً بعد الولادة.

ولكي تتمكن الام من توفير عنصر الحديد اللازم لها ولجنينها لابد لها من تناول كميات من الحبوب كاللوبيا والباقلاء والعدس أو سائر الاطعمة التي

تحتوي على الحديد كالكبد واللحوم والفواكة الغنية بالحديد مثل التفاح والعنب والتمر وما شابه ذلك.

والمواد الغنية بالكالسيوم تعتبر اهم المواد التي يقوم بها بناء جسم الجنين فهو يحتاج خلال فترة مكوثة في رحم الام إلى ما لا يقل عن ٤٠ ـ ٥٠ غم يومياً من عنصر الكالسيوم، وعلى الام تناول هذا المقدار من الكالسيوم مع غذائها اليومي كي يُستهلك من أجل بناء عظام الجنين، وإلاّ فإنّ الجنين يحاول الاستفادة عن الكالسيوم الموجود في بدن الأُم وبذلك تصاب عظامها بالضعف تدريجياً، وتتسوس اسنانها ويتساقط شعرها وتصاب بالضعف والتحول يوماً بعد يوم.

وبالامكان تغذية الأُم بالمواد الغنية بالكالسيوم من خلال الالبان ومشتقاتها كالحليب والجبن واللبن والقشطة أو الحبوب كالحنطة والشعير أو الفواكه كالكمثرى والتفاح وغيرها، وبذلك تتم اعانة الجنين في تغذيته ونموه.

وهنالك انظمة اخرى اقرّها الاسلام الحنيف لتغذية الام اثناء فترة الحمل بغية المحافظة على صحتها وعلى نمو الجنين بدنياً وعقلياً وجمالياً وكذلك تغذية الطفل بعد الولادة، بامكانكم الرجوع إلى الكتب المتعلقة بهذا الجانب لمطالعتها.

ان نوع الملابس ولونها، ونعو الحذاء، واماكن تردد الام، وتردد المحارم وغيرهم إلى البيت اثناء فترة حمل المرأة، وكلٌّ ما يتحتم الالتزام به، هي من الامور التي اشار اليها ديننا الحنيف.

فإذا لم تغفل الأم خلال فترة الحمل عن ذكر الله وعن حضور المجالس الدينية، وعن قراءة القرآن والالتزام بالفرائض والمحافظة على استقرارها فذلك مما يؤثّر ايجابياً على الجنين روحياً وعقلياً ويؤثّر على تكامله الروحي والمعنوي.

ان الحمل بذاته يعتبر من وجهة نظر الاسلام نوعاً من العبادة يترتب عليها

اجرٌ عظيمٌ.

قال رسول الله (ﷺ):

بلى إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله»[١].

ان بامكان الزوجين الاتفاق على عدم الانجاب، بيد انهما سيخسران بهذا الفعل تجارة رابحة، كما لا ينبغي الافراط في مسألة الانجاب، بل لابد من الاخذ بنظر الاعتبار قابليتهما وقدرتهما روحياً وبدنياً وصبرهما على تربية الاولاد والعناية بهم وتحمّل نفقاتهم، لئلا يتجاوز عدد الاولاد الحد الذي يخفق الوالدان عن اداء واجباتهما تجاههم، فيصبحوا ـ لا سمح الله ـ افراداً يجلبون اللعنة لآبائهم.

الولادة

مع ان لحظات الولادة تعتبر من أجمل اللحظات بالنسبة للام والاب أولاً وذويهما فيما بعد، الاّ انها تعتبر من اصعب اللحظات التي تمرّ على المرأة مدى عمرها لما يترتب عليها من تحمل شديد الالم وبالغ المشقة كي تضع وليدها، وتحملها هذا يعدُّ عبادة لا تُضاهى ولها من الأجر ما لا يحصى كما ورد في أحاديث المعصومين (عليهم السلام).

قال رسول الله (ﷺ):

«فإذا وضعت كان لها من الاجر ما لا تدري ما هو لعظمه»[٢].

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

---

١ ـ البحار: ١٠١/١٠٦.

٢ ـ البحار: ١٠١/١٠٦ـ١٠٧.

«النُفساء تُبعث من قبرها بغير حسابٍ لأنها ماتت في غمّ نفاسها».

وقال رسول الله (ﷺ):

«ليكن اول ما تأكل النفساء الرطب فإنّ الله عزّوجلّ قال لمريم بنت عمران: وهـزّي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً، قيل يا رسول الله فإنّ لم يكن إبـان الرطب؟ قال: سبع تمرات من تمرات المدينة، فإنّ لم يكن فسبع تمرات من تمرات امصاركم فإنّ الله تبارك وتعالى قال: وعزّتي وجلالي وعظمتي وارتفاع مكاني لا تأكل نـفساء يـوم تـلد الرطب فيكون غلاماً إلاّ كان حليماً وان كانت جاريةً تكون حليمةً»[1].

وقد اهتم الاسلام بالغ الاهتمام بقضية الولادة ومكانها والقابلة والحاضرين حين الولادة وذلك عنايةً منه بصحة الام وطفلها بدنياً ونفسياً.

لباس الوليد

لما حملت فاطمة بالحسن فولدت وكان النبي (ﷺ) أمرهم ان يلفّوه في خرقةٍ بيضاء، فلفّوه في صفراء، وقالت فاطمة: يا عليُّ سمّه، فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله (ﷺ) وجاء النبي (ﷺ) فاخذه وقبّله وادخل لسانه في فـيه، فـجعل الحسن (ع) يمصّهُ ثم قال لهم رسول الله (ﷺ): الم اتقدم اليكـم ان تـلفّوه فـي خرقة بيضاء، فدعا بخرقةٍ بيضاء فملفّه فيها ورمى الصفراء وأذّن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى وسمّاه الحسن، وهكذا فعل مع الحسين (ع)[2].

اول طعام الوليد

ينقل المرحوم الكليني في كتابه اصول الكافي: حنّكو أولادكم بماء الفرات

---

١ ـ البحار: ١٠١/١١٦.

٢ ـ الوسائل: ٢١/٤٠٩.

وبتربة قبر الحسين، فإن لم يكن فبماء السماء[1].

الأذان والاقامة

يقال ان اول جارحةٍ من جوارح المولود تبدأ عملها هي الاذن، والقرآن له مكانة خاصة بالنسبة للاذن، فمنذ اللحظات الاولى للولادة تباشر الاذن بالاستماع ثم يستلم العقل ما يسمع فيحفظه.

والصوت يترك أثره في حواس الطفل، لذا ينبغي ان يخلو البيت من الاصوات الخبيثة والمحرّمة، والاّ فإنّ ذلك يؤدي إلى تلوث الطفل عقلياً وروحياً.

وقد دأب رسول الله (ﷺ) وائمة الهدى (ﷺ) على الاذان في الاذن اليمنى للوليد والاقامة في اليسرى في اللحظات الاولى للولادة.

يجب ان يدغدغ نداء التوحيد والنبوة والامامة وانغام حي على الفلاح والصلاة لآذان الطفل كي ينطلق بحياته متسلحاً بهذه الحقائق ويختمها بها، اي يولد مسلماً ويموت مسلماً.

لا تقولوا انّه وليدٌ له من العمر يوماً واحداً لا يدرك ولا يرى ولا يشعر بشيء وليست لديه قابلية الاستلام، بل انّه يتمتع بكل هذه القوى بشكلٍ فعال وشديد.

سمعت ذات مرة من الاستاذ محيط الطباطبائي (ﷺ):

ان شابة امريكيةً في الثالثة والعشرين من العمر اصيبت بمرضٍ عقلي، فاجريت لها عملية جراحية، ولما افاقت من التخدير اخذت تردد نشيداً دينياً باللغة الفرنسية، مما اثار دهشة أبويها، فسألهما الطبيب المعالج عن سبب دهشتهما، قالا: ان بنتنا لا تعرف كلمةً من اللغة الفرنسية قط، ولم تطالع كتاباً باللغة

---

١ ـ الوسائل: ٢١/٤٠٧.

الفرسنية ولم تصادق فرنسياً مدى حياتها، وفجأة بادرت أُمها إلى حلِّ ذلك السرّ فقالت: كانت ابنتي في الشهر الثالث من عمرها حينما لجأ بعض الفرنسيين إلى امريكا أثر اندلاع الحرب العالمية الثانية وكان من بينهم سيدة تعمل في التمريض وملتزمة بالمسيحية، فالتخذت لها بيتاً إلى جوارنا، وكانت تتردد في بعض الاحيان إلى دارنا وتحمل الطفلة في حضنها وتناغيها بغية تهدئتها واسكاتها عن البكاء، وكان واضحاً بماذا تناغيها اذ كان يحمل طابعاً دينياً.

لقد طبع ذلك النشيد في دماغها منذ ذلك اليوم، والآن فهي في الثالثة والعشرين من العمر، وبعد أن تفيق من غيبوبتها يجري النشيد من دماغها إلى لسانها فتردده دون ارادةٍ منها.

اذن لا يخلو الاذان والاقامة حين الولادة، والتلقين في اللحظات الاولى من الموت، من أثرٍ، اذان الاذن هي أول عضو يباشر عمله، وآخر عضو يتوقف عن العمل!

عليكم بهذه الآداب بعد الولاة

يروي صاحب مكارم الأخلاق عن المعصوم (ﷺ) قوله:

«سبع خصال في الصبي إذا ولد من السنّة: أولادهنّ: يُسمّى، والثانية يحلق رأسه، والثالثة: يتصدَّق بوزن شعره ورقاً أو ذهباً ان قدر عليه، والرابعة: يعق عنه، والخامسة: يلطخ رأسه بالزعفران، والسادسة: يطهّر بالختان، والسابعة: يطعم الجيران من عقيقته»[1].

١ ـ الوسائل: ٢١/٤١١ـ٤١٣.

واعتبر الامام الصادق (عليه السلام) العقيقة مستحباً مؤكداً حتى عبر عنها بالواجب ، فيقول (عليه السلام) :

«العقيقة واجبةٌ»[١].

وسُئل الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) عن ختان الصبي لسبعة أيام قال :

«لسبعة أيام من السنة»[٢].

حليب الام

لقد تطرق القرآن الكريم إلى قضية ارضاع الام طفلها لمدة عامين فقال :

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[٣].

وقال أيضاً :

﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾[٤].

نعم ، ان رزق الطفل في ثدي أُمه ، ولا يجوز للأُم حرمان طفلها عما رزقه الله تعالى نتيجة لمصالحها الشخصية أو لما يساورها من أوهام ساذجة ، أو للمحافظة على بعض الجوانب البدنية ، وتوكل أمره إلى الحليب الجاف أو حليب الحيوانات وغير ذلك ، ولتعلم أن اهم عاملٍ يؤدي إلى افراز الثدي للحليب هو ارضاع الطفل ، وليس هنالك علاج افضل منه يدفع الثدي لان يدر الحليب .

ويأخذ ادرار الحليب بالانتظام رويداً رويداً مع الرضاعة وتسير الحالة العامة للام نحو التحسن .

---

١ ـ نفس المصدر .

٢ ـ الوسائل : ٢١ : ٤٣٩ .

٣ ـ البقرة : ٢٣٣ .

٤ ـ لقمان : ١٤ .

ان الحليب المترشح من ثدي الأُم يحتوي على نسبة ٦ ر ١٪ من البروتينات و ٤ ٪ من الدهنيات، و٨ر ٣٪ من السكريات وبعض الاملاح والفيتامينات، وهذا ما لا يمكن الحصول عليه من أية مادة اخرى على الاطلاق، وصدر الأُم وحده الذي يستطيع انتاج مثل هذا الغذاء للضيف الذي قد حلّ تواً!

ثمة فارق قليل بين هذا الحليب وبين حليب الحيوانات، أي ان الحيوانات التي تنمو بسرعة كالجاموس تزداد نسبة البروتينات في حليبها، والعكس صحيحٌ.

ان حليب الأُم يشهد تغييرات مستمرة على مدى اشهر الرضاعة، اذ تشهد نسبة السكريات والدهنيات انخفاضاً على مرور الأيام، أما البروتينات فهي تسير نحو الازدياد.

ان لثم الطفل لثدي امه بالاضافة إلى انّه يؤدي إلى اشباعه واستمرار حياته، فهو يؤدي إلى مضاعفة ادرار الحليب وعمل غدد الثدي ايضاً.

خلال الايام الخمسة عشر الاولى من الولادة يكون عدد دفعات الرضاعة سبع مرات يومياً تبدأ من الساعة السادسة صباحاً وتستمر حتى الثانية عشرة مساءً بمعدل رضعة واحدة كل ثلاث ساعات، والطفل خلال هذه الفترة يجب ان يخلد إلى الراحة من الساعة الثانية عشرة مساءً وحتى السادسة صباحاً، وبعدها تُقلل مرات الارضاع إلى ستٍّ، أي يقطع الحليب عنه في الساعة التاسعة مساءً ويُنوَّم كي تخلد الام إلى الراحة، وليستعد الجهاز الهضمي للطفل إلى عملية هضم جديدة.

وعلى الأُم التأكد من أن ينام الطفل شبعاناً بعد كل مرةٍ ترضعه فيها، وهذا ما يمكن تحقيقه بقليل من الصبر والتحمل، وبعد اشباعه يطرح على جانبه الايمن ثم تتوجه إلى اعمالها اليومية.

ان الطفل الذي ينام مطمئناً بعد كل مرّة من الرضاعة ولا يضطرب في نومه، وإذا ما أُجري الفحص على وزنه ووجد انّه يزداد من ٢٥ ـ ٣٠ غرام، فإنّه طفل صحيح البنية، وامتلاك مثل هذا الطفل مدعاة للفرح والسرور.

بالرغم من كثرة مشاغل رسول الله (ﷺ) الا انّه كان كثير الاهتمام بحليب الاطفال، فقد كان (ﷺ) يأتي بيت فاطمة (عليها السلام) ويضع سبابته في فم الحسين (عليه السلام) ليختبر شهيّته من خلال مصّه للاصبع، كي تبادر امة إلى ارضاعه إذا كانت لديه شهية إلى الحليب، اما إذا كانت شهيته كاذبة وبكاؤه ليس سبب جوعه فلا ترضعه من أجل اسكاته، لان تراكم الحليب في معدته يورث التخمة، ويتسبب في بطء عمل المعدة، وبالتالي فإنّه يترك أثراً سلبياً في تركيب الطفل، ويتسبب في خموله وضعفه.

قال رسول الله (ﷺ):

«ليس للصبي لبنٌ خير من لبن امّه»[1].

لقد صدرت هذه العبارة من رسول الله (ﷺ) منذ قرون مضت، وهي حقيقة ادركها كبار العلماء حديثاً، حيث ورد في الدراسات التي قام بها علماء الغرب ـ وأكثر العوائل في الغرب تودع اطفالها في دور الحضانة كي يشبّوا على الحليب الصناعي ـ: ليس هنالك حليبٌ وغذاءٌ افضل من حليب الام بالنسبة للطفل.

وإذا شحّ حليب الام ـ وهذا قليلاً ما يحدث ـ عليها التفحص في اختيار مرضعةٍ له كما اكدت على ذلك الروايات، لما يتركه الحليب من أثر بالغٍ في جسم الطفل وعقله وروحه.

فقد ورد في الروايات نهيٌ عن استرضاع سيئة الخلق والمجنونة والحمقاء

١ ـ البحار: ٣٢٣/١٠٣.

والفحشاء واليهودية والنصرانية والمجوسية وشاربة الخمر اذان طبائعهن تنقل إلى الصبي مع اللبن[١].

وقال رسول الله (ﷺ) لأُم سلمة وقد قالت له: ذهب الرجال بكل خير فايُّ شيء للنساء المساكين؟ بلى إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، فإذا وضعت كان لها من الأجر ما لا يدري أحد ما هو لعظمه، فإذا ارضعت كان لها بكلّ مصّة كعدل عتق محرر من ولد اسماعيل، فإذا فرغت من رضاعه ضرب ملك كريم جنبها وقال: استأنفي العمل فقد غفرالله لك[٢].

على الامهات التزام مانبّه اليه الامام الصادق (ع) في مسألة الرضاعة، إذ قال (ع) لامرأة تدعى ام اسحاق:

«لا ترضعيه من ثديٍ واحدٍ وارضعيه من كليهما، يكون احدهما طعاماً والآخر شراباً».

التسمية

يتصور البعض ان التسمية أمرٌ بسيطٌ وعاديٌّ ولا مانع من ان يطلقوا على الطفل ما شاؤوا من الاسماء، بيد ان الأمر ليس كذلك، فالتسمية امرٌ بالغ الأهمية ومؤثرٌ في أحاسيس الطفل ومستقبله، من هنا فقد خُصص له بابٌ كاملٌ في الروايات.

قال الامام موسى بن جعفر (ع):

«أول ما يَبرُ الرجل ولدَهُ يُسمّيه باسمٍ حَسَنٍ، فليحسن احدكم إسمَ ولَده»[٣].

وقال رسول الله (ﷺ):

١ـ البحار: ١٠٣ باب الرضاعة، الوسائل: ١٥ باب الرضاعة.

٢ـ الوسائل: ٢١: ٤٥١.

٣ـ الوسائل: ٢١/٣٨٩.

«استحسنوا اسماءكم فإنّكم تُدعون بها يوم القيامة»[١].

يقول الراوي: دخلت على أبي عبدالله(عليه السلام) وهو واقفٌ على راس أبي الحسن موسى(عليه السلام) وهو في المهد يساره طويلاً، فجلست حتى فرغ فقمت اليه فقال: ادن من مولاك فسلِّم، فدنوت منه فسلمت فردَّ علي بكلام فصيح ثم قال لي: اذهب فغيِّر اسم ابنتك التي سميتها أمس، فإنّه اسم يبغضه الله، وكانت ولدت لي ابنة فسمّيتها بالحميراء، فقال أبو عبدالله(عليه السلام): انتهِ إلى أمره ترشد، فغيّرتُ اسمها[٢].

عن الامام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام):

«ان رسول الله كان يغيّر الاسماء القبيحة في الرجال والبلدان»[٣].

وقال الامام الباقر (عليه السلام):

«أصدقُ الاسماء ما سُميَ بالعبودية وأفضلها اسماء الأنبياء»[٤].

وقال الامام موسى بن جعفر (عليه السلام):

«لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبدالله أو فاطمة من النساء»[٥].

عليكم استبدال اسماء أولادكم إذا كانت مغايرة لاسماء الأنبياء والأئمة أو امهاتهم، طلباً لمرضاة الله وادخال السرور إلى قلوب الأنبياء والأئمة، لئلا يشكوكم في المحشر بسبب الاسماء التي يحملونها والتي تذكّر بقبائح ابطال الجريمة والرذيلة.

---

١ ـ نفس المصدر.
٢ ـ الوسائل: ٢١: ٣٨٩.
٣ ـ الوسائل: ٢١/ ٣٩٠ ـ ٣٩١.
٤ ـ نفس المصدر.
٥ ـ الوسائل: ٢١: ٣٩٦.

« من سعادة الرجل أن يكون له ولدٌ يستعين بهم »

الامام السجاد (عليه السلام)، اصول الكافي: ٦ / ٢

(٢١)

الانجاب في الاسلام

منزلة الولد وأهميته

ان الولد سواء كان ذكراً أم أنثى يعتبر من أعظم النعم التي يمنّ بهاالله على عباده المؤمنين.

لقد كان ابراهيم (عليه السلام) عقيماً، لهذا كان حزيناً فمنّ الله سبحانه على عبده باسماعيل واسحاق في شيخوخته، فاصبح نسل الاسحاق من الأنبياء حتى عيسى (عليه السلام) أما اسماعيل فامتد نسله حتى خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) وإلى الآن هنالك الآلاف من الفقهاء والعلماء والحكماء من نسله.

والولد نعمة لا تضاهى، فهو منهل الخير والكرامة وخير الدنيا والآخرة بالنسبة للانسان، وبطبيعة الحال فإنّ المؤمن بما يتحلّى من ايمان تتربى على يديه ذرية مؤمنة صالحة.

وبعد أن وهبه الله تعالى الذرية، انبرى ابراهيم (عليه السلام) حامداً لله حمده، إذ ان انجاب الذرية يستحق الحمد، حمداً يتجسد على اللسان والقلب والجوارح.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾(1).

يستفاد من الآية الكريمة مدى أهمية الولد في الحياة بحيث ان ابراهيم (عليه السلام) وهو شيخ كبير دعا الله ان يهبه ذريةً، وقد استجيب دعاؤه.

---

1 ـ ابراهيم: ٣٩.

وكذا زكريا فإنّه دعا ـ وهو شيخ كبير ـ ربّه ان يرزقه الولد:

﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[١].

يروي اسحاق بن عمار عن أبي عبدالله الصادق(عليه السلام)، ان فلاناً رجل سمّاه ـ قال: اني كنت زاهداً في الولد حتى وقفتُ بعرفة، فإذا إلى جنبي غلام شاب يدعو ويبكي ويقول: يارب، والديَّ، فرغبني في الولد حين سمعت ذلك[٢].

ان الاموات من الآباء والامهات ينعمون بما يقوم به ولدهم من عبادات وادعية إذا ما كانوا من اهل الايمان.

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انّه قال:

«خمسةٌ في قبورهم وثوابهم يجري إلى ديوانهم: مَنْ غرس نخلاً، ومن حفر بئراً، ومن بنى مسجداً، ومَن كتبَ مصحفاً، ومَنْ خلّف ابناءً صالحاً»[٣].

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«لما لقي يوسف أخاه قال: كيف استطعت ان تتزوج بعدي؟ فقال: ان أبي امرني فقال: ان استطعت ان يكون لك ذرية تثقل الارض بالتسبيح فافعل»[٤].

وقال الامام علي بن الحسين (عليه السلام):

«من سعادة المرء المسلم ان يكون متجرة في بلاده، ويكون خلطاؤه صالحين، ويكون له ولد يستعين به»[٥].

فما اعظم نعمة الولد، اذ جاء في كتاب الله:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً

---

١ ـ مريم: ٥ ـ ٦.
٢ ـ الوسائل: ٢١، ٣٥٥.
٣ ـ البحار: ١٠٤/ ٩٧.
٤ ـ الوسائل: ٢١، ٣٥٦.
٥ ـ البحار: ١٠٣، ٧.

وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ ﴾[١].

قال الامام الصادق (عليه السلام):

«ان أولاد المسلمين موسومة عندالله: شافعٌ ومشفّع. فإذا بلغوا اثني عشر سنة كتبت لهم الحسنات، فإذا بلغوا الحلم كتبت عليهم السيئات»[٢].

وعن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام):

«سعد امرؤٌ لم يمت حتى يرى خَلَفاً من نفسه»[٣].

ان نعمة الولد من العظمة ما عبّر عنه أميرالمؤمنين (عليه السلام):

«في المرض يصيب الصبيّ انّه كفارة لوالديه»[٤].

وقال النبي (صلى الله عليه وآله):

«الولد الصالح ريحانةٌ من الله قسمها بين عباده»[٥].

وقال (صلى الله عليه وآله):

«الولد الصالح ريحانةٌ من رياحين الجنّة»[٦].

وجاء في رواية: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخطب على المنبر فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: ﴿ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[٧].

يروى أن رجلاً يدعى الحاج علي رضا كان قد حفر بئراً في طهران استفاد

١ـ النحل: ٧٢.
٢ـ الوسائل: ٢١/ ٣٥٥.
٣ـ الوسائل: ٢١/٣٥٧ـ٣٥٨.
٤ـ نفس المصدر.
٥ـ نفس المصدر.
٦ـ نفس المصدر.
٧ـ البحار: ٤٣/٢٨٤ ح ٥٠.

منها اهالي طهران أكثر من مائة عامٍ ، قال أحد كبار العلماء : ان شخصاً رآه في المنام وسط حديقة كبيرةٍ إلى جانب نهرٍ عظيم ، فقال له : ان هذه الروضة من رياض الجنّة وهذا النهر من انهارها وقد وهبه الله لي جزاءً لذلك البئر ، ولكن ليت لي ولدٌ يردد ولو مرة واحدة « لا اله الاّ الله » ثم يموت كي تشملني نعمة اقراره بالتوحيد !.

حبُّ الاولاد

عن أبي عبدالله الصادق (ع) عن رسول الله (ص) :

«احبّوا الصبيان وارحموهم»(1).

ان البعض من الناس لا يبدون قليلاً من المحبة ازاء اطفالهم ، أولا يظهرونها إذا توفرت لديهم ، ويتعاملون معهم بعنفٍ وحدّةٍ وشدّةٍ ، فليعلم هؤلاء انهم بهذا السلوك الذي يفتقد الجنبة الانسانية والاسلامية انما يحرمون انفسهم من رحمة الله .

عن الصادق (ع) انّه قال :

«ان الله ليرحم العبد لشدّة حُبه لولدهِ»(2).

وقال أبوالحسن موسى بن جعفر (ع) :

«... ان الله عزوجل ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان»(3).

ان غضب الله ما هو الاّ نتيجة لظلم الرجال وسوء اخلاقهم مع عوائلهم .

---

١ ـ الوسائل : ٢١ / ٤٨٣ .

٢ ـ نفس المصدر .

٣ ـ الوسائل : ٢١ / ٤٨٤ .

قال الصادق (عليه السلام):

«قال موسى(عليه السلام): يا ربِّ ايُّ الاعمال افضل عندك؟ قال: حبّ الاطفال»[١].

تقبيل الاولاد

يروي الفتّال النيشابوري ـ وهو من أكابر علماء الشيعة ـ في كتابه روضة الواعظين عن المعصوم (عليه السلام):

«أكثروا من قُبلة أولادكم فإنّ لكم بكل قبلةٍ درجةً في الجنّة سيرة خمسمائة عام»[٢].

جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: **«ما قبلت صبيا لي قط فلما ولّى قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) هذا رجل عندي أنه من أهل النار»**[٣].

وهنا لا فرق بين الصبي والصبيّة، فكلاهما نعمة الهية وأولاد المرء، والذين تسود وجوههم إذا ما رزقوا بنتاً، فهم كأعراب الجاهلية من حيث الروح، وكيانهم قد أشبع بالحماقة.

وسوف أشير إلى مسألة انجاب البنات في البحث الآتي ان شاء الله، كي تتضح اهميتها ومنزلتها في الاسلام.

ثمة وصايا اخرى وردت عن المعصومين (عليهم السلام) بشأن الاولاد يجدر الالتزام بها من الناحية الأخلاقية، وهي:

«يفرَّق بين الصبيان والنساء في المضاجع إذا بلغوا عشر سنين»[٤].

ولرسول الله (صلى الله عليه وآله) وصية مهمة للغاية في هذا المجال جديرة بالاهتمام:

١ـ البحار: ٩٧/١٠٤.

٢ـ الوسائل: ٤٨٥/٢١.

٣ـ الوسائل: ٤٨٥/٢١.

٤ـ الوسائل: ٣٦١/٢١.

«الصبيّ والصبي، والصبيّ والصبيّة، والصبيّة، يفرّق بينهم في المضاجع لعشر سنين»[١].

نعم، فلا داعي في ان ينام صبيان، أو صبيّ وصبيّة، أو صبيتين في مضجعٍ واحدٍ، والاسلام الحنيف يرفض ذلك.

عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام):

«دع ابنك يلعب سبع سنين، والزمه نفسك سبع سنين، فإنّ افلح والاّ فإنّه لا خير فيه»[٢].

وقال النبي (صلى الله عليه وآله):

«علّموا أولادكم السباحة والرماية»[٣].

وعنه (صلى الله عليه وآله) أيضاً:

«أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم»[٤].

يقول مالك بن دينار، كنت شخصاً لا أُبالياً، ولم يكن عندي خبراً عن الاسلام، تزوّجت ثلاث مرّات، وطلّقتهن لعقمهنّ، ورزقت ولداً من امرأتي التالية، ولمّا بلغ السادسة من عمره أرسلته لتعلّم القراءة والكتابة، وحين رجوعه عصراً رأيته مريضاً، وعلمت أنّ أوّل شيء علّمه المعلّم هو هذه الآية:

﴿ يَوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيباً ﴾.

لم يبرأ ولدي من مرضه، وقضى نحبه، فلزمت قبره، وفي ليلة رأيت في عالم الرؤية كأنّي وحيداً فريداً في الصحراء وقد هجم عليّ شيء غريب عجيب، فلذت

---

١ ـ الوسائل: ٤٦٠/٢١.
٢ ـ الوسائل: ٤٧٣/٢١.
٣ ـ الكافي: ٤٧/٦.
٤ ـ الوسائل: ٤٧٦/٢١.

بالفرار حتى وصلت إلى حائط وأردت أن أعبر الحائط لأنجو من هذا المخوف، وفجأة رأيت اطفالاً يلعبون فسألتهم عن ابني، فنادوه، فقلت له: أين أنت؟ قال: بعد وفاتي أخذوني لدرس القرآن كي بتعلّمه استحقّ الدخول إلى الجنّة وأنال رحمة الله تعالى.

فقلت له: وما هذا المخوف الّذي اتّبعني؟

قال: هذا عملك وأخلاقك السيّئة.

فانتبهت مرعوباً، وتبت إلى الله تعالى وأنبت إليه، وتركت جميع المعاصي، ووفّقت بذلك لأن أسلك طريق الحقّ.

قال رسول الله ﷺ : « نعم الولد البنات ، ملطّفات ، مجهزات ، مؤنسات مباركات ، مفلّيات »

فروع الكافي ٦/٥

(٢٢)

عظمة البنت في الاسلام

مشيئة الله في الأولاد

ان الله عزوجل فعالٌ لما يشاء، وهو مالك السموات والارض، ومن صفاته العليم والقدير والحكيم العدل والرحمان والرحيم، ومشيئته وقضاؤه بحق عبده تمثّل اللطف بعينه والمحبّة المحضة ومثال الود والرحمة وتجسيداً للكرم وحسن الاختيار.

فكل ما يشاؤه لعبده انما يصب في مصلحته للدنيا والاخرة، وما على العبد الاّ التسليم ازاء حكمة الله وعدله ورحمته ومشيئته وذلك هو ارفع عبادةٍ، وهو من خصال الأنبياء والأولياء، وعلامة على عشق العاشقين له ومعرفة العارفين به جلّت قدرته.

فمن الناس من يجعله عقيماً، ومنهم من يهبه بنتاً، ومنهم من يرزقه ابناً، وقد يجعل في بطن امرأة توأماً أحدهما ذكرٌ والآخر انثى، كل ذلك يمثّل الرحمة واللطف بعينه وذروة حبّه جلّ شأنه بعباده.

﴿لله مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ ٱلذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[1].

على ضوء هذه الآية الكريمة، البنت تمثل عنوان السلطان والملك، وتجسيداً لارادته تعالى في الخلق، ونور علمه وقدرته ازاء الانسان، وقد اقتضى علمه

---

١ ـ الشورى: ٤٩ ـ ٥٠.

وقدرته ومشيئته وحكمته وسلطانه في ان يهب للابوين بنتاً.

ان التجهم ازاء البنات من الاولاد بمثابة التجهم ازاء الحق تعالى ومالكيته وخلقه واختياره وعلمه وقدرته، وهو ذنبٌ لا يغتفر، وخصلةٌ تنم عن الحماقة، وفعلٌ يجانب المنطق والحكمة.

ان الطفل إذا مات ـ كما يعبّر الامام الصادق (عليه السلام) ـ يسلَّم إلى ابراهيم وسارة في عالم البرزخ لتربيته ويصبح ذخيرةً لابويه في الآخرة.

ويروي الشهيد في مسكن الفؤاد عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قوله: من اصيب بمصيبة، جزع عليها أو لم يجزع، صبر عليها أو لم يصبر، كان ثوابه من الله الجنة. ولد يقدمه الرجل أفضل من سبعين ولداً، يبقون بعده، يدركون القائم (عليه السلام).

وحينما عاد الحسين (عليه السلام) بطفله الشهيد ذي الستة أشهر إلى خيامه ووضعه في احضان اخته زينب (عليها السلام) ثم جلس على الارض سأل الله سبحانه ان يجعله ذخراً له في الآخرة.

فإذا كان للطفل الميت هذه الاهمية والاعتبار بالنسبة للانسان، فما مدى أهمية الطفل الذي يبقى ويتربى على الايمان والادب والوقار نتيجة الجهود التي يبذلها أبواه؟ ولا فرق بين الذكر والانثى، فالمراد هو أولاد المرء.

وكما يقول تعالى في الآية ٢٨ من سورة الانفال: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾

فإنّ الانسان إذا ما خرج ظافراً من هذه الفتنة والامتحان، أي يفرح به ويرضى، ويبذل الجهود في تعليمه وتربيته تربية صالحة، ويهيء مستلزمات زواجه بحدود قدرته، ويبذل له الاحترام، ويؤدي حقّه ويجلّه، فإنّه يكون قد نال عظيم الاجر وجزيل الثواب.

أَوَلم يصرِّح القرآن الكريم:

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[١].

ان من يجهد نفسه في تربية ولده ويطبّعه على معرفة الحق تعالى وانبيائه وكتابه والأئمة (عليهم السلام)، فإنّ ذلك هو الباقيات الصالحات التي لا مثيل لها بيت جميع الاعمال، وهو ما عُبِّر عنه: خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملا.

أولم تكن مريم العذراء وآسيا وفاطمة الزهـراء (عليها السلام) زينب لكبرى (عليها السلام) بمثابة الباقيات الصالحات بالنسبة لا بويهنّ؟

لماذا ينزعج مَنْ يرزق بنتاً؟ فهل يتحول الجنين في رحم الأُم الى بنتٍ بناءً على ارادة شخصٍ آخر غير الله سبحانه؟ انّ تحوّل الجنين في رحم أُمه إلى بنتٍ يمثل رحمة الله ورأفته بعينها ورعايته ولطفه ولابد من التسليم ازاء مشيئته ولطفه، وتقديم الحمد والثناء له عزّ شأنه على نعمة البنت مدى العمر.

الحري بالجميع تأمل هذه الحقيقة وهي:

ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) رُزق عدداً من الابناء وهم القاسم والطيب والطاهر وابراهيم، ومع ان أحداً منهم لم يبق على قيد الحياة، الاّ أن الله سبحانه لم يبشره ويهنئه لمّا رُزق ابناءً، كما لم ترد آية في القرآن الكريم بهذا الصدد، الاّ انّه وبمجرد انعقاد نطفة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في رحم خديجة نزلت سورة الكوثر وبشر بالخير الكثير والدائم.

روايات مهمة حول البنات

يستحب للمرء إذا عُدم البنت ان يرفع يديه بالدعاء ويبتهل إلى الباري تعالى

١ ـ الكهف: ٤٦.

بكل اخلاص ان يرزقه بنتاً.

وقد دعا ابراهيم الخليل (عليه السلام) ـ وهو أبو الأنبياء ـ ان يرزقه الله بنتاً رغم وجود ابنيه اسماعيل واسحاق، وقد نقل الصادق (عليه السلام) دعاء ابراهيم بهذا النحو:

ان ابراهيم سأل ربّه يرزقه ابنةً تبكيه وتندبه بعد موته»[١].

ان الغاية التي ذكرت في هذه الرواية ليست ذا اهمية، بل المهم هو اصل المطلب، وهو ان نبياً من اولي العزم عدم البنت، سأل الله ان يبلغه هذه النعمة.

على المرء ان يفتخر اذا اصبحت له بنت، لان رسول الله كان اباً لبنت، وهذا مواساة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن الفخر ان يرزق المرء بنتاً، قال الصادق (عليه السلام):

«كان رسول الله أبا بناتٍ»[٢].

ومن لم تكن له بنت وكانت له اختٌ فقد فتح امامه بابٌ من أبواب الرحمة الالهية ايضاً، يقول جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

«من عال ثلاث بنات أو ثلاث اخوات وجبت له الجنّة»[٣].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«نعمَ الوَلَد البنات، ملطفات، مجهزات، مؤنسات، مباركات، مفليّات»[٤].

وقال أبو عبدالله الصادق (عليه السلام):

«من عال ابنتين أو أُختين أو عمّتين أو خالتين حجبتاه من النار»[٥].

أتي رجلٌ وهو عند النبي (صلى الله عليه وآله) فأُخبر بمولودٍ أصابه فتغيّر وجه الرجل، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) مالك؟ فقال: خير، فقال: قل، قال: خرجتُ والمرأة تمخض

---

١ ـ الوسائل: ٣٦١/٢١، طبعة مؤسسة آل البيت.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ الوسائل: ٣٦٢/٢١.

٤ ـ الوسائل: ٣٦٢/٢١.

٥ ـ نفس المصدر.

فأُخبرت انها ولدت جارية، فقال النبي (ﷺ): الارض تُقلُّها والسماء تُظلّها والله يرزقها وهي ريحانة تشمّها، ثم اقبل على أصحابه فقال: من كانت له ابنة فهو مفدوح، ومن كانت له ابنتان فواغوثاه بالله، ومن كانت له ثلاث وضع عنه الجهاد وكلّ مكروه، ومن كانت له اربع فيا عبادالله اعينوه، يا عبادالله اقرضوه، يا عبادالله ارحموه»(١).

فما أعز البنت أذ يدعو رسول الله (ﷺ) اصحابه الى اغاثة من له بنات واعتبر اعانة ذوي البنات تكليفاً الهيّاً.

ولد لرجلٍ جارية فدخل على أبي عبدالله (ؑ) فرآه متسخطاً فقال له: أرايت لو ان الله اوحى إليك أن أختار لك أو تختار لنفسك ما كنت تقول؟ قال: كنت اقول: يا رب تختار لي، قال: فإنّ الله عزوجل قد اختار لك، ثم قال ان الغلام الذي قتله العالم الذي كان مع موسى (ؑ) وهو قول الله عزوجل ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾ ابدلهما الله عزوجل به جارية ولدت سبعين نبياً(٢).

قال الصادق (ؑ):

«البنات حسناتٌ والبنون نعمةٌ، والحسنات يُثاب عليها والنعمة يُسأل عنها»(٣).

وقد اوحى الله عزوجل إلى رسول الله (ﷺ) ليلة أُسري به:

«... قل لآباء البنات: لا تضيقنّ صدوركم على بناتكم فإنّي كما خلقتهنّ ارزقهنّ»(٤).

وقال الصادق (ؑ) لرجل:

١ ـ الوسائل: ٣٦٥/٢١.
٢ ـ الوسائل: ٣٦٤/٢١.
٣ ـ الوسائل: ٣٦٥/٢١ـ٣٦٦.
٤ ـ نفس المصدر.

«انما انك ان تمنّيت موتهنّ ومتن لم تؤجر يوم القيامة ولقيت ربك حين تلقاه وانت عاصٍ»[١].

وعن رسول الله (ﷺ) انّه قال:

«ان الله تبارك وتعالى على الاناث ارقُّ منه على الذكور، وما من رجل يدخل فرحةً على امرأةٍ بينه وبينها حرمةٌ الاّ فرّحه الله يوم القيامة»[٢].

وقال النبي (ﷺ) حول اهمية البنات:

«خيرُ أولادكم البنات»[٣].

وعنه (ﷺ) انّه قال:

«من عال ثلاث بنات أو ثلاث اخوات وجبت له الجنة، قيل يا رسول الله، واثنين، قال: واثنتين، قيل: وواحدة؟: وواحدة»[٤].

وعنه (ﷺ) أيضاً:

«من دخل السوق فاشترى تحفةً فحملها إلى عياله كان كحامل صدقةٍ إلى قومٍ محاويج وليبدأو ابالاناث الذكور فإنّ مَنْ فرَّح ابنته فكأنّما اعتق رقبةً من ولدِ اسماعيل»[٥].

انّه حقاً حديثٌ عجيبٌ، فلم يقف ايُّ دينٍ على مرّ التاريخ إلى جانب البنت بهذا الشكل، بل على العكس من ذلك فلم يكن حال النساء مرضياً عند سائر الاقوام والشعوب، انها جهود رسول الله (ﷺ) التي أحدثت هذا التغيير المعنوي الجبّار في حياة البنات والنساء، والزوجة والبنت.

١ ـ نفس المصدر.
٢ ـ الوسائل: ٣٦٧/٢٠.
٣ ـ البحار: ٩١/١٠٤.
٤ ـ الوسائل: ٣٦٨/٢١.
٥ ـ البحار: ٦٩/١٠٤.

والأعجب قول الرسول (ﷺ):

«لا تضربوا أطفالكم على بكائهم فانَّ بكاءهم اربعة اشهرٍ شهادة ان لا اله الا الله، واربعة اشهر الصلاة على النبي وآله، واربعة اشهر الدعاء لوالديه»[1].

بناءً على ذلك، لا تضربوا من يشهد بوحدانية الله تبارك وتعالى، يصلّي على النّبي وآله ويدعو لابويه، لا لانّه لا يستحق الضرب، بل من الواجب مداراته وعدم التواني عن ابداء المحبة له لما في بكائه من معنى.

تأملوا هذه الرواية المهمة:

عن السكوني قال: دخلت على أبي عبدالله (ع) وانا مغمومٌ مكروب فقال لي (ع) يا سكوني ما غمّك؟ فقلتُ: وُلدت لي ابنة، فقال: يا سكوني! على الارض ثقلها وعلى الله رزقها تعيش في غير أجلك وتأكل من غير رزقك، فسرى والله عنّي، فقال: ما سميتها؟ قلت: فاطمة، قال: آه آه آه ثم وضع يده على جبهته إلى ان قال: ثم قال لي: أما إذا سميتها فاطمة فلا تسبّها ولا تلعنها ولا تضربها»[2].

قال رسول الله (ﷺ):

«من كان له اثنى فلم ينبذها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها ادخله الله الجنّة».

وقال (ﷺ) أيضاً:

«من كانت له ابنةٌ واحدةٌ كانت خيراً له من الف حجّة وألفِ غزوةٍ وألفِ بدنةٍ وألف ضيافةٍ.

١ ـ البحار: ٣١١/٦٠.

٢ ـ الكافي: ٤٨/٦، مكارم الأخلاق: ٢٢٠، الوسائل: ٤٨٢/٢١.

قال رسول الله (ﷺ): «الجنّة تحت أقدام الأُمهات»

ميزان الحكمة: ١٠/٧١٢

٢٣

دور الأم في التربية

الولد ثمرة فؤاد الأم

ان كلمة الأُم التي وردت كثيراً في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، تعني الاصل والمصدر، ونظراً إلى ان الطفل يمكث في رحم امه ستة اشهر كحدٍ ادنى وتسعة اشهر كحدٍ اعلى ويمتص بكل قواه البدنية والنفسية من ذخائر بدنها ويتغذى من اعصابها وجسمها وروحها، فقد عبّر عنها بالام.

وفي الحقيقة فإنّ الام تمثل اصل الطفل ومصدره، والطفل يمثل تجسيداً لحقائق الام البدنية والروحية وثمرةً من تلك الشجرة المباركة.

ان فترة مكوث النطفة في صلب الاب قصيرة جداً، أما في رحم الام فإنّها تمكث ما يقرب من مئتين وسبعين يوماً، وعليه فإنّ جميع تأثراتها واستلهاماتها أو أغلبها انما تأتي من الام، ومن هنا فإنّ الاهمية التي اولاها الاسلام للام لم يولها لغيرها ابداً.

ان افرازات كيان الام بدنياً وروحياً تتجلى في وجود الطفل، وهو يجبل على ما جبلت عليه الام في أغلب اطواره ومسيرة حياته عن وعي منه أم عن جهل.

على البنت وقبل ان تدخل عش الزوجية أن تعلم أو تُعلَّم بانها ستكون اماً في المستقبل وعليها منذ الآن الاهتمام بغذائها ومعاشرتها وتصرفها وتربيتها وايمانها كي تكون مصدراً لجيلٍ طاهرٍ صالحٍ ملتزم بالآداب.

لقد عثرت في كتاب حول المرأة على هذه العبارة اللطيفة المنقولة عن امبراطور فرنسا نابليون بونابرت، فقد سئل عن أهم البلدان واعظمها بالنسبة له،

فاجاب البلد الذي يغلب فيه عدد النساء!

يجب ان تترسخ لدى المرأة حقيقة الامومة، والا فلن يظهر إلى الوجود جيلٌ صالح.

على الام ـ في نظر الثقافة الاسلامية ـ ان تحافظ على امومتها في سبيل تربية ابنائها.

على الأم ان تبرز امومتها لاولادها كي لا يتعرضوا للعاهات من الناحية الفكرية والعاطفية.

إذا ما ضيَّعت الام مميزات امومتها والقت بنفسها في براثن الحرية بطرازها الغربي واخذت تجالس وتضاحك هذا وذاك وتحارثهم وتماشيهم، وبالمقابل تهمل نفسها وزوجها وأولادها من اجل رغباتٍ مادية وجسمية، فإنّها لا تعدُّ أماً، بل وحشاً كاسراً ينهش روح الاسرة، وذئباً جارحاً سيلقي بشرف الاسرة وكرامتها وطهارتها في مهب الريح.

على الام ان تتحلى بالطهارة والعقل السليم والأخلاق الانسانية بغية تخريج ولد يتمتع بالوقار والادب والطهارة والبأس والعلم.

في احدى مقاطع زيارة وارث نخاطب سيد الشهداء الامام الحسين (عليه السلام): اشهد انك كنت نوراً في الاصلاب الشامخة والارحام المطهرة.

وفي نفس الزيارة ننسبه إلى خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء (عليها السلام): السلام عليك يابن فاطمة الزهراء، السلام عليك يابن خديجة الكبرى.

ان ما يوصي به الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) الشباب الذين يرومون الزواج في اختيار ذوات الاصول والدين، انما يأتي للحدّ من الفساد.

فالتي تفتقد للاصالة الاسرية، اللئيمة الفاسدة، الفاقدة للادب والتربية، ويعوزها الوقار والالتزام، وأسوء من ذلك مَنْ تلاعبت بها الشهوات والسافرة

المتبرجة، والتي تقضي كل ساعةٍ وطراً مع صديقٍ من الشباب، لا تمتلك مؤهلات الزواج، اذ انها قد سحقت اقدامها الغاية التي خلق الله تعالى من اجـلها الخـلق، وضيَّعت مقومات الانوثة والامومة، ولا اهلية لها في انجاب الولد الصالح، وهي ممّن قال الرسول (ﷺ) بحقّهنّ: لو أنهنّ ولدن عقارب وحيّات في آخر الزمـان أفضل من أن يلدن طفلاً، لأنّهنّ ومن أجل تلبية شهواتهنّ قد أخللن بمصنع الفكر والبدن والنفس.

ومثل هذا المصنع المختلّ يعجز من أن يصنع إنساناً سالماً.

استمعوا إلى هذا المعنى على لسان نبي الله نوح (ﷺ):

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ دَيَّـاراً * إِنَّكَ إِن تَـذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾(١).

فلو نوفّر في قوم نوح الامهات، وكثرت المؤمنات الشاكرات الطاهرات، لم يقل ان هؤلاء لا يلدوا الاّ فاجراً كفّاراً.

نعم، إذا كانت البنت والمرأة خضراء الدمن كما عبَّر رسول الله (ﷺ)، فليس من الممكن التفاؤل بأن تُعطي ثماراً طيبةً وتهبُ عطاءً الهياً وانسانياً.

على المرأة ان لا تجلس ما شاءت مـن المـجالس حـتى وان كـانت تـضم الارحام، لان بعض هذه المجالس تسودها المعاصي وتترك بصماتها على روحية الام وربما تسلب منها حقيقة الامومة.

على المرأة ان لا تتناول ما تمليه رغبتها وميولها من الاطعمة فربما لم يُعدّ الطعام من حلالٍ، وبذلك تترتب عليه اضرارٌ سيئة بالنسبة لها ولولدها.

على المرأة مراعاة جوانب الطهارة والنجاسة، والمواظـبة عـلى الفـرائـض

---

١ ـ نوح: ٢٦ ـ ٢٧.

والسنن والجوانب الأخلاقية كي يتحول كيانها إلى مصدر نورٍ ومدعاةٍ لاشراقته.

وقد وصلنا عن المعصومين (عليهم السلام) انهم اتخذوا من الزهراء (عليها السلام) اسوةً لهم، وتمثّلوا معطياتها الفكرية والروحية والأخلاقية والايمانية.

ان فاطمة (عليها السلام) تمثل الام النموذجية والمثل الاعلى للام على امتداد الوجود، فعلى نسائنا وبناتنا الاقتداء بها في حياتهن، اذ ان الام تمثل أصل الولد ومصدره.

ان الامهات اللواتي يتوسمن الأخلاق الاسلامية ويتمتعن بالوقار والرصانة والأدب، ويمثلن مصدر الحنان والمحبّة والعاطفة، ومادام الاولاد في أرحامهن يتغذون من هذه الخصال، وبعد الولادة تحلعق عيونهم في عيون امهاتهم، وتقتصر اسماعهم على ما ينطقن به، فإنّهم بلا شك يصاغون على ضوء ما عليه الام.

لما اخذ الحسين (عليه السلام) براس الحر بن يزيد الرياحي ووضعه في حجره، نسبَ حريته و انعتاقه من سلطان بني امية إلى امه قائلاً:

انت حرٌّ كما سمّتك امك حرّاً.

ولما اصرَّ عمر بن سعد على ان يبايع الحسين (عليه السلام) يزيداً، عزا (عليه السلام) امتناعه واصحابه عن البيعة إلى الامهات وحجورهن الطاهرة قائلاً:

... وحجورٌ طابت وطهرت.

الثمرة الطيبة

كان عبدالله المبارك حكيماً بارعاً وعالماً عارفاً، وقد عمل في أيام شبابه لدى أحد اصحاب البساتين.

وفي موسم الرمان استضاف صاحب البستان عدداً من الضيوف فنادى على عبدالله أن يأتي بالرمان لهم، فجاءهم بسلّة من وإذا بالرمان حامض الطعم، فنادى عليه صاحب البستان أن يأتي برمانٍ حلوٍ، فجاءهم بالرمان فإذا به حامض أيضاً،

فقال صاحب البستان: ألم اقل لك هات من الرمان الحلو؟ ألم تعرف بعد ستة اشهر من العمل في البستان اين هي اشجار الرمان الحلو؟ فأجابه عبدالله: كلا لا اعلم، قال صاحب البستان: ولمَ ذاك؟ أجابه: لمّا استأجرتني كان العقد بيننا ان اعمل بستانياً لا آكلاً للبستان، فلا علم لي في ثمار هذا البستان ايّها حلوٌ وايّها حامضٌ!!

نعم، فالنطفة الطاهرة والرحم الطاهر والام الطاهرة والتربية الطاهرة تصنع حارساً للمال وليس آكلاً لاموال الناس، تلدُ بستانياً لا آكلاً للبستان.

أُمّي سببُ شقائي

قيل ان شاباً حُكمَ بالاعدام فطلب منه ان يكتب وصيته، فقال: ليست عندي وصيّة لكني ارغب ان أرى أُمي في هذه اللحظات الاخيرة من حياتي.

فجيء له بامه، ولما ودع أُمه عضَّ على لسانها وشفتيها بحيث اغمي عليها من شدة الالم، فهجموا عليه صارخين به: ما الذي تفعله ايّها الظالم؟

اجاب: انما الظالمُ أُمي هذه، فهي التي نصبت اعواد مشنقتي، ففي أحد أيام صباي سرقتُ بيضةً من جيراننا فشجعتني حتى اصبحت بعد ذلك سارقاً لبعير، ثم تحولتُ إلى قاتل!

نعم، الجنة تحت اقدام الام، وهي إلى حدٍّ ما تعتبر الدليل والوسيط نحو عذاب جهنم ايضاً.

بعد وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) قال علي (عليه السلام) لاخيه عقيل ـ وكان متضلعاً في أنساب العرب ـ:

«انظر امرأةً قد ولدتها الفحول من العرب».

وبعد مدة قال له عقيل: تزوّج فاطمة الكلابية، ليس في العرب اشجع من

آبائها.

فتزوجها (ﷺ) فكانت نتيجة ذلك الزواج اربعة اشبالٍ شجعان اشداء مؤمنين هم قمر بني هاشم واخوته.

وبعد شهادة مالك الاشتر (ﷺ) صعد أمير المؤمنين (ﷺ) المنبر في مسجد الكوفة وقال: «الا ان مالك بن الحارث قد قضى نحبه وأوفى عهده ولقى ربه فرحم الله مالكاً لو كان جبلاً لكان فنداً ولو كان حجراً لكان صلداً لله مالك؟ وما مالك؟ وهل قامت النساء عن مثل مالك، وهل موجود كمالك، كان لي كماكنت لرسول الله».

قد يخبو نور العبادة

جاء شابٌ إلى امه وقال لها: أُماه! في بعض الاحيان تتكمش رغبتي نحو العبادة واشعر بأن حاجزاً من الظلام يطغى على قلبي، وان لستُ ممن يأكل الحرام ولا ممن يجالس الاشرار، كما انني ابتعدُ عن العوامل التي تؤدي إلى التكاسل عن العبادة، وعند البحث والتمعن في هذا الأمر توصلت إلى ان أسألك فلعل السبب في هذا الظلام والتكاسل قد سرى منك اليَّ، واريد منك قول الحقيقة كي أجد حلاً لهذا السرّ.

قالت الام: عندما كنت حاملاً بك كان أبوك في سفرٍ وقد مضى وقت على موسم نزول الشمس، ولم اكن اخرج من الدار كما لم تكن لديّ امكانية شراء المشمس، وقد صعدت إلى سطح الداركي ابسط فراش النوم فوقعت عيناي على كمية كبيرة كان جيراننا قد نشروه لتجفيفه فتناولت قليلاً منها كي أتذوقها، الآ انني ندمت على ذلك ولم تكن لديّ الجرأة على التحلل منهم، فقال الشاب: لقد وقعتُ على العلّة يا اُماه واني استأذنك بالذهاب إلى جارنا كي احل الأمر معه ليتسنى لي بعد الآن ان أعبد ربّي بعيداً عن وساوس الشيطان!

زواج نوراني

سمعتُ في أيام شبابي من أحد العلماء في مسجد مدينتنا ، ان والد المرجع الكبير المقدس الاردبيلي لما توجه لخطبة ابنة أحد مدينته ، قال له والد البنت : ان ابنتي عمياء صمّاء عضباء عرجاء ، فإن شئت زوجتك اياها ، قال الشاب : كيف اعيش معها ؟ فقال والد البنت : يا بني ما اقصده من العمى هو انها لم ترَ محرماً قط ، ومن الصمم انها لم تسمع ما حرّم الله ، ومن العضب انها لم تمدّ يدها إلى محرَّمٍ قط ، ومن العرج انها لم تخطُ نحو مجلسٍ محرّم أبداً ، فتزوجها وكانت ثمرة ذلك الزواج هذا الرجل العظيم .

والدة الشيخ الشوشتري

لقد بلغ الشيخ جعفر الشوشتري مراتب ساميةً من العلم والعمل ، فكان عجيب النفوذ إلى قلوب الناس عند موعظته .

سُئلت أُمه ، هل أنها مسرورةً بهذا الابن ؟ قالت : لا ، قيل : لماذا ؟ قالت : انني لم ارضعه ولم اضمّه إلى صدري الاّ وانا على وضوء ، فكنتُ اتأمل ان يكون شبيه جعفر الصادق (ﷺ) الاّ انه اصبح جعفر الشوشتري ! !

مثال الطهارة الباطنية والظاهرية

ذات مرّة قضيت عشر ليالي في مدينة بروجرد لغرض التبليغ ، وقد وددتُ ان اطلع عن طريق شيوخ المدينة على أحوال المرجع الكبير آية الله العظمى السيد البروجردي .

فحدّثني شيخٌ في التسعين من عمره ان جميع مساعي والدة السيد كانت

تنصب على ان ترضعه وهي على وضوءٍ وطهارة.

وذات ليلةٍ كان البرد فيها قارصاً كانت بحاجةٍ إلى ان تغتسل ولم يكن بوسعها الخروج من المنزل فتوكلت على الله واغتسلت بالماء البارد ثم ارضعت طفلها.

ان الالتزام المعنوي للام والجهود المخلصة للاب خرَّجا للاسلام رجلاً احدث تغييرات جبّارة في الحوزات العلمية الشيعية على الاصعدة العلمية والعملية والأخلاقية.

يا ايتها البنات عليكنّ بالاستعداد إلى مرحلة الأُمومة متجهزات بالضوابط الالهية والانسانية، وانتنّ ايتها الامهات! عليكنّ المحافظة على حقيقة الامومة لديكنّ، فالله وحده يعلم مدى الربح الذي ينالكنّ في الدنيا والآخرة إثر ولادة وتربية مثل هؤلاء الابناء.

من الذين يشفعون يوم القيامة، المؤمن والعالم والشهيد ولم يتحدد عدد من يحق لهم ان يشفعوا له، اذ لهم الحق ان يشفعوا لكل من يستحق الشفاعة، ولا شك في أن الأُم هي اول من يشفع له هؤلاء الثلاثة.

قال رسول الله (ﷺ):

«ثلاثةٌ يشفعون إلى الله عزوجل فيشفَّعون: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»[1].

وقال الباقر (ع):

«ان المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر، وانّ المؤمن ليشفع حتى لخادمه...».

فيا ايتها البنات والامهات! لِم لا تكوننَّ ممن ينالون شفاعة ابنائهم العلماء والشهداء والمؤمنين يوم القيامة؟ أليس من الغبن أن تُضيِّعن حقيقة الامومة من أجل أيام معدودات في هذه الدنيا الدنيّة، وتعملن على تدمير البناء الروحي لاولادكنَّ الذين يعتبرون وديعةً الهية عندكنّ وتجعلنهم العوبةً بيد شياطين الغرب والشرق؟!.

---

١ ـ البحار: ٣٤/٨.

﴿ يَاأُخْتَ هَارُونَ مَاكَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ ﴾

مريم / ٢٨

٢٤

دور الأب في تكامل الولد

اهتموا باربع حقائق

يستفاد من الآيات « ٣٣ ـ ٣٧ » من سورة آل عمران، والآية « ٢٨ » من سورة مريم، ان تكامل الانسان ورقيّه يرتبط باربع اطراف وهي: الاب المؤمن، والام المؤمنة، والمعلم النزيه الحريص، وأكل الحلال.

لما رأى اليهود عيسى (عليه السلام) في حضن مريم ـ وكانت بنتاً لم تتزوج ـ اصابتهم الدهشة فقالوا لها:

﴿ يَاأُخْتَ هَارُونَ مَاكَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَاكَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ﴾[1].

لقد جهلوا حقيقة الأمر بأن المسيح كلمة الله القاها إلى مريم الطاهرة، فكانوا يتصورون ان العملية وقعت خلافاً للشرع، فمن خلال معرفتهم بأبي مريم بأنه رجل مؤمن وقورٌ ملتزم بالآداب الالهية، رجلٌ عظيم كريم، وبامها بأنها امرأة مؤمنة عفيفة طاهرة، لم يكن يُتصور ان تلجأ ابنتهما إلى الرذيلة، فقد كان من الثابت لدى الناس أن الولد تجسيد لمزايا الوالدين واخلاقهم وحقائق وجودهم، حتى نطق عيسى (عليه السلام) فاتضح ان من الحتم ان يلد هذان الابوان مثل هذه البنت الجليلة ذي المقامات السامية التي اصبحت أماً لنبي من اولي العزم.

لاحظتم ان ما كانوا يتوقعونه من طهارة في مريم انما يرجع بالدرجة الاولى إلى طهارة أبيها لذا فقد قالوا لها:

---

١ ـ مريم: ٢٨.

﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾.

والام التي تحظى بميزة خاصة ايضاً كانت موضع اهتمامهم، من هنا قالوا لها :

﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ﴾.

خلال الفصل السابق تطرقت بالتفصيل إلى الأم وواجباتها، ولا أرى في هذا الفصل حاجة للمزيد من التفصيل، وقد نوهت في ما مضى من بحوث إلى الحلال والحرام والرزق الطيب الطاهر، كما لا يخفى على أحد تأثير المعلم واحواله واخلاقه على الاولاد.

وما يحتاج إلى مزيد من التوضيح في هذا الفصل هو تأثير الاب في اخلاق الطفل وسلوكه وتربيته.

يتعين على الاب ان يهتم أولاً بتربية الولد الدينية واخلاقه وتعليمه، ومن ثمّ ان يحيا مع زوجته بنحوٍ لا يعكّر صفو حياة أولادهما، ومن جهة اخرى عليه التزام جانب الحيطة فلا يطعم عياله لقمةً من الحرام.

ورد في الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) ما مفاده: ان عدة من الناس يدخلون جهنّم بغير حساب منهم الآباء الذين لا يعتنون بتربية أولادهم الدينية والأخلاقية.

لقد خلق الله سبحانه الناس جميعاً من اجل بلوغ مقام خلافة الله والهدى والبصيرة وبالتالي دخول الجنّة، والناس هم الذين يمهّدون لعذابهم.

أميرالمؤمنين (عليه السلام) يبكي

بعد ان انتهت معركة الجمل بانتصار أميرالمؤمنين (عليه السلام) واُطفئت نيران الفتنة، مرّ (عليه السلام) وسط القتلى ولما نظر اليهم بكى بكاءً شديداً، انه فعلٌ لم يسبق له مثيل ولم يصدر مثله من ايّ عسكريٍ منتصر، فسئل (عليه السلام) عن السبب في بكائه، فاجاب: هؤلاء الّذين اعتنقوا الاسلام وصاموا وصلّوا وعبدوالله كان يجب أن

يدخلوا الجنّة، وإنّ قلبي يتحرّق لهم ألماً لأنّهم قد عصوا الله وقاتلوا الامام المعصوم، ونتيجة اتباعهم أهواءهم أحلّوا أنفسهم في العذاب الدائم.

أهل النار

ان المعذّبين في النار يطلبون من الله الخلاص من العذاب خمس مرات، الاّ انهم يقمعون في كل مرّة منها، وفي الخامسة تُسدُّ افواههم إلى الابد.

وقد وردت احدى هذه المرات الخمس في هذه الآية الكريمة:

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَصِيرٍ ﴾[1].

ايّها الآباء! ان من اهم الاعمال الاهتمام بتربية الولد وكماله ورقيّه، فلا تهملوا أولادكم، وحافظوا على طهارة البيت من أجلهم، واطعموهم من الحلال، وحافظوا على حقوق زوجاتكم، كي تسري افعالكم واخلاقكم وطريقة كسبكم للحلال اليهم ليصبحوا آباءً مناسبين لاولادهم اسوة بكم.

ايّها الآباء! ان جميع اعمالكم وممارساتكم تخضع لنظر الباري تعالى ورسوله والأئمة الأطهار:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[2].

التزموا الحذر في حياتكم، وتمثلوا الحيطة في تصرفاتكم واقوالكم وافعالكم اذ ان كافة تحركاتكم تترك بصماتها في اهل الدار.

لقد لفت رسول الله (ﷺ) انظار الآباء إلى مسؤولياتهم الخطيرة، وكثيراً ما تواترت الوصايا من الأئمة الاطهار إلى الآباء، فالأب في البيت كالزعيم في البلد

---

١ ـ فاطر: ٣٧.

٢ ـ التوبة: ١٠٥.

وهو مسؤول عن المجتمع بأكمله، والأب يتعرض لمساءلة الحق تعالى يوم القيامة.

عوّدوا أولادكم على تطهير نواياهم، وحثّوهم على العمل الصالح، اعملوا على ان يتجلى في قلوبهم حب العلم والمعرفة والعلماء، اصطحبوهم إلى المجالس الدينية، علّموهم الواجبات قبل بلوغ سن التكليف، ارفقوا بهم، عاملوهم باللطف والكرم والأخلاق الفاضلة.

ان النبي (ﷺ) وأمير المؤمنين يُعتبران افضل اسوة وقدوة للآباء، فطالعوا احوالهما وحياتهما وطبقوا افعالهما في حياتكم، اتخذوا من رسول الله (ﷺ) وسيد العارفين (ﷺ) قدوة لكم بدلاً من رموز الابتذال سواءً في الداخل أو الخارج، اعدّوا ما يجعل من الدار واهله يتنفسون عطر النبوة والامامة، كي تضمنوا خير الدنيا و الآخرة.

لمحة من حياة الشهيد الشيخ فضل الله النوري

ولد هذا الرجل العظيم، المجاهد والمرجع الأمين من اُم طاهرة وأبٍ كريم، وقد جهد والده في تربية، اذ سخّر الوالد كلَّ وجوده في سبيل تربية ابنه وكماله ورقيّه، ولما لمس منه شغفاً في العلم والعمل ارسله إلى النجف الاشرف وتتلمذ على اساتذة كبار كالشيخ الانصاري والميرزا الشيرازي والحاج الميرزا حسين النوري فنهل كثيراً منهم، ثم عاد إلى طهران متزوداً بالعلم والفضيلة والأخلاق والتقوى، فاصبح في طليعة العلماء فاشعل فتيل الثورة ضد الظلم والجور وذلك في حركة المشروطة، فانتصرت ثورته، بيد ان الخونة تسلّلوا إلى شرايين الحكم ومفاصلة فحرفوا مسير الثورة تصطبغ بما تمليه لندن، فكان (ﷺ) من بين جميع العلماء ذا نظرة ثاقبة ازاء هذه الواقعة المرّة، منادياً معلناً، غير انه لم يفلح فاعتُقل

وحكم عليه بالاعدام لانه كان يريد المشروطة حركةً تستند إلى الشرعية، ومن مجلس الشورى مجلساً يستند إلى القرآن والسنّة ونهج البلاغة والفقه الشيعي، كانت نيته خالصة لله تعالى، ومطالبه مطالب الهية، كان (ﷺ) حريصاً ذا بصيرة، وكل ذلك استلهمه من أبيه ومن احضان امه، واختلط فيه الكمال مع النور الذي يتأتى من لقمة الحلال.

وقد اعتلى اعواد المشنقة يوم ١٣ رجب ذكرى ولادة أمير المؤمنين (ﷺ) واعدم على أيدي الجلادين بسبب مطالبه الحقة، فتصوروا انهم اعدموا ضميره باعدامه ناسين الآية الكريمة.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ ﴾[1].

وبعد مضي ما يقرب من ثمانين سنة على اعدامه، وبالذات في الساعة العاشرة صباحاً من يوم الثالث عشر من رجب وعلى مقربة من محل اعدامه في ساحة المدفعية تجلّت ثمار ثورة الشعب الايراني المنجب للشهداء بافتتاح مجلس الشورى الاسلامي بتلاوة بيان الامام الخميني الكبير (ﷺ) فتحققت امنية شهيدنا العظيم الشيخ فضل الله النوري، وكنتُ من بين المدعوين لحضور ذلك الحفل، فلم يراودني العجب لان الله سبحانه ناصرُ المؤمن ومعينه وهو الذي يحقق امانيه وان أُعدم أو استشهد.

طوبى لوالد ذلك الشهيد حيث يقف يوم القيامة موشحاً بالكرامة في محضر الباري تعالى وانبيائه والأئمة الطاهرين، وذلك نتيجة الظفر بمثل هذا الابن.

---

١ ـ الصف: ٨.

ايّها الشباب احذروا

ايّها الشباب، يا ابناء الاسلام، يا اتباع رسول الله (ﷺ) لكم مني وصية مهمة، وهي ان توجدوا في انفسكم مستلزمات الابوة الصالحة والمناسبة، فموعد الزواج لم يزل بعيداً، بل فكروا من الآن بتخلية انفسكم من رذائل الأخلاق، وتهذيب اعمالكم ومجالسكم وزياراتكم، وعليكم بالاعتناء بمأكلكم خاصة، ففي نطفكم مادةٌ تُسمى الجين وهي التي تحمل جميع شمائلكم إلى ذراريكم، وهذا ليس من ثمار الدراسات التي قام بها علماء الغرب ومحققوه فيهمله البعض منكم متصوراً انها نظرية قد تبطل مستقبلاً، انها قضية بديهية وذاتية اهتم بها الاسلام العزيز منذ بزوغ فجره.

تأملوا هذه الرواية المهمة بهذا الشأن:

اتى رجل من الانصار رسول الله (ﷺ) فقال هذه ابنة عمي وامرأتي لا أعلم الا خيراً، وقد اتتني بولد شديد السواد منتشر المنخرين... وقال رسول الله (ﷺ): ان العرق دساس.

مرادف العرق، الجين، ودساس تعني الناقل، من خلال هذه العبارة انقذ (ﷺ) هذا الشاب من القلق وسوء الظن.

نعم، فإنّ شمائل الاب تنتقل إلى الابناء كما عبّر رسول الله (ﷺ)، وهذا ما اثبتته الاجهزة العلمية المعاصرة.

بناءً على ذلك، عليكم السعي قبل مرحلة الزواج ان تتوفر فيكم الصفات التي يتوسمها الاسلام في الاب، فلا تبادروا إلى الزواج بقصد التلذذ المادي متناسين الحقائق، فيكون ابناؤكم بئس الثمار بالنسبة لكم وللمجتمع.

لقد كان رسول الله (ﷺ) وائمة الهدى (عليهم السلام) يفتخرون بانتسابهم لابراهيم

الخليل (ﷺ) محطم الاصنام، فقد انتقلت شمائل ذلك الرجل العظيم إلى ذريته الطاهرة.

في زيارة وارث ـ وهي زيارة صحيحة ومسلّمة ـ نخاطب الامام الحسين (ﷺ) بأنه وارث آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ﷺ) وأمير المؤمنين (ﷺ)، وهذا الارث الذي وصله ليس مالاً أو ثروة، بل هو تجليات معنوية وعلوم الهية واخلاق فاضلة والكرم والفضيلة والشرف، فلم لا ننهل نحن الآباء من هذه النعم المعنوية كي ينعم بها ابناؤنا؟

الآباء الضالون ومسؤولية الابناء

ربما يتوفّر في عائلةٍ ما أبٌ يأنف عن قبول التربية الدينية، ويتقاعس عن تنفيذ التعاليم الالهية، ولا يُبدي اي رغبةً ازاء الحقائق، ويفتقد لقابلية الاذعان للحقائق الالهية، حينها يترتب على أولاده ممن بلغ منهم شأواً من الفطنة دعوته نحو الحقيقة وذلك من خلال سلوك الرفق والطيب من الأخلاق وانقاذه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اما إذا أبى فعليهم العيش إلى جانبه والمحافظة على الحياة من ان تتلوث بسببه.

وعليهم ان يتخذوا من مصعب بن عمير ذلك الشاب المؤمن المجاهد الذي نال وسام الشهادة في معركة احد وهو في عز شبابه.

لقد كان أبواه مشركين وكان مصعب يكنّ لهما شديد المحبّة وقد آمن بالرسول (ﷺ) استجابة لفطرته وقيل ان يفرض الله على رسوله الهجرة فقد هاجر مصعب إلى المدينة للتبليغ بناء على طلب اهلها، فمهّد السبيل لهداية الكثير من الناس إلى الاسلام وبجهوده اصبحت المدينة على استعداد لقبول رسول الله (ﷺ) فهاجر (ﷺ) الى المدينة ولما أقبل مصعب على رسول الله (ﷺ) وعليه إهاب

كبش قال (ﷺ) انظروا يا ايّها الشباب، يا من يحيا آباؤكم بعيداً عن الحياة المعنوية، ولا يريدون لكم ان تصبحوا من اصحاب المعنويات وان تتخلقوا بالطيب من الأخلاق، وكل همهم ينصب على ان تتسلقوا سلّم العلوم المادية أو تتشبثون من أجل جمع الاموال، عليكم التعامل معهم بلطف وعدم التشاجر معهم، اذ التنازع معهم خلاف لله ولرسوله، وما عليكم الاّ عدم التشبّه بهم ولا تتخلوا عن الله سبحانه ورسوله والأئمة الطاهرين والمعاد ازاء دعواتهم الباطلة المنحرفة، وعليكم على هذا الصعيد ان تتخذوا من محمد بن أبي بكر ذلك الشاب المؤمن المجاهد قدوةً لكم، وان تحيوا مثله حيث عاش محباً لعلي (ع) عاملاً بالقرآن وسنّة نبي الله فكانت عاقبته الشهادة في سبيل الله وثباته على دينه، وان تجعلوا من افعالكم وتصرفاتكم منسجمة مع التعاليم الالهية.

والدٌ فاضل

اثناء زيارتي لمدينة مهرجرد لغرض التبليغ والتي استمرت ليلتين او ثلاث حكى لي ابن خالة آية الله العظمى الحاج الشيخ عبدالكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة.

ان والد الشيخ بقي بلا طفل لمدة خمسة عشر عاماً، فكان يتألم كثيراً، وكان يعمل قصاباً، وهذا العمل لم يكن يريحه نوعاً ما، وذات مرة قالت له زوجته لعل العلة في عدم الانجاب تكمن فيَّ، ولا طاقة لي على تحمل ما تعانيه من آلام، كما لا قدرة لي على الاجابة فيما لو سُئلت يوم القيامة عن أسباب شقائك، فلا مانع من ناحيتي في أن تتزوج كي تصبح اباً، بل أنا التي سأبحث لك عن زوجة تلائمك.

وبعد مدة عن الزمن عثرت على ارملةٍ تقطن في منطقة تبعد بضعة فراسخ عن محل سكناه، واقترحت على زوجها الزواج من هذه الارملة.

وقع الزواج، وفي ليلة الزفاف وضع العريسان يداً بيد ـ كما هو المألوف سابقاً ـ، وكانت للعروس من زوجها السابق طفلة في الثالثة من العمر ابت الافتراق عن امها فتناولتها خالتها كي تأخذها معها، الآ ان صراخ الطفلة أخذ يتصاعد، فهزَّ المنظر هذا الرجل الكريم فقال للمرأة: لا طاقة لي على تحمّل بكاء اليتيم، بالاضافة إلى ان حياتي معك واحتمال انجابك لطفلٍ مني قد يؤذي هذه اليتيمة فإنّي انصرف عن هذا الزواج، فبذل لها صداقها وقفل عائدا إلى مهرجرد ليلاً، وفي تلك واقع زوجته الاولى فانعقدت نطفة الشيخ عبدالكريم الحائري كرامة له على كرمه وايثاره، فولد لهما مؤسس الحوزة العلمية في قم، ذلك الاستاذ الذي تخرّج على يديه ما يناهز الالف عالم ممن جمع شروط الاجتهاد، وتولى تربية من خلفه من المراجع، وكان من بين الذين ربّاهم الامام الخميني (ﷺ) الذي تبلورت على يديه الثورة الاسلامية في ايران وامتدت آثارها شرقاً وغرباً، وحفظ الاسلام من ان يخبو نجمه، وانطلق في حركته لبسط حكومة الاسلام على العالم.

لقد كان الامام الخميني (ﷺ) ثمرة من ثمار الشيخ الحائري والشيخ ثمرة وجود القصاب الفاضل، الرجل الالهي النوراني المخلص، فايُّ نعمةٍ سينعم بها هذا الاب الفاضل يوم القيامة حين يقف إلى جانب ولده وتلاميذه؟ الله وحده يعلم بذلك.

الآباء الطالحون والابناء الصالحون

لقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي رجلاً لئيماً ظالماً قاتلاً وموجوداً طالحاً، وكانت ذريته مذمومةً، بيد ان رجلاً من نسله يدعى أبو عبدالله الكاتب ظهر في عصر السيد المرتضى فكان انساناً عظيماً فاضلاً وشاعراً صالحاً وحكيماً كريماً محباً لأهل البيت (ﷺ) مادحاً لائمة الهدى لا سيما أمير المؤمنين وأبي عبدالله

الحسين (عليه السلام).

لقد كان منقطعاً عن ما اتصف به آباؤه، فقد تـنعّم بـالعقل والنـور والفـطرة فاستجاب للحق واصطبغ به، فحظي برعاية اهل البيت (عليهم السلام) حتى نقل صاحب رياض العلماء الميرزا عبدالله الافندي: ان السيد المرتضى قد عـنّفه ذات مـرّة، فجاءه رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) في المنام فسلّم عـليهم، فـقابله الرسـول الاكرم (صلى الله عليه وآله) ببرود فقال له السيد: ما الذي ارتكبته؟ قال (صلى الله عليه وآله): لقد اسـات إلى محبّنا وشاعرنا فاذهب واعتذر منه، فما ان طلعت شمس ذلك اليوم حتى ذهب السيد بنفسه إلى منزل أبي عبدالله الكاتب ليعتذر منه ويرضيه.

فيا ايّها الشباب، انها القدرة الالهية التي منحتكم الاسـتقلال، وان لا تـنتقل اليكم عدوى التلوث عـمن تـلوثوا وان كـانوا أبـاءكم، فـعليكم ان لا تـتطبعوا بطبائعهم، التزموا الصراط المستقيم، وكونوا معهم ولكن حافظوا على استقامتكم.

والدٌ كريم

لقد كان صدر المتألهين الشيرازي فيلسوفاً قلّ نظيره وحكيماً عالماً وعارفاً بارزاً احدث ثورةً جبارة في الفسلفة وصنّف افضل الكتب في هذا المجال، وهو ابن ثريٍّ مشهور في مدينة شيراز يعمل بائعاً للتحفيات وتاجراً للؤلؤ والمرجان، ويتبوء مركزاً حكومياً رفيعاً.

وقد استحوذت محبة الابن على الولد بحيث انه كان يرغب في ان يعمل ابنه معه في تجارة اللؤلؤ والمرجان، فعمل مع أبيه مدة من الزمن، كما انه اقـام فـي مدينة بوشهر لمواصلة عمل والده، واقام مدةً في البصيرة، وبعد سنة او سنتين عاد إلى شيراز فاقترح على أبيه بكل ادبٍ ان يترك العمل والالتحاق بالحوزة العلمية في شيراز فقال له والده، انني على استعداد لقبول ما تـراه صـالحاً لك، فـالتحق

بالحوزة تاركاً الثروة والمتجر، متجاهلاً البيت والسعادة المادية، ولم تمض سوى مدة قصيرة حتى اصبح في ظل رعاية ابيه ومحبته وهو في سن الشباب عالماً معروفاً، ولم يعثر في حوزة شيراز على من يغذيه من الناحية العلمية، فاستأذن اباه بالتوجه إلى اصفهان، فقوبل بالموافقة، فشدّ الرحال إلى اصفهان فحضر دروس الشيخ البهائي والمير داماد والمير فندرسك، بعد مدة صار صدر المتألهين.

نعم، فقد بلغت به اخلاق الوالد ورفق رب الاسرة وادراكه ورؤيته الثاقبة إلى ان يتحول من عاملٍ في متجرٍ للتحفيات إلى استاذٍ للفلاسفة والحكماء.

فأيُّ ثمرة طيبةٍ يهديها الاب الكريم البصير الحريص والحكيم إلى البشرية وعالم المعرفة؟!

آكل الحرام لا يربّي علي الأكبر

خلال أيام صباي كان في محلتنا رجلٌ طاعنٌ في السن جليل تقي منظم وكان يعمل دلالاً ونظراً لتدينه وادبه وصلاحه فقد كان التجار يثقون كثيراً بتجارته.

كان يحضر صلاة الجماعة في جميع أوقاتها، ويتمتع باسلوب عجيب في جذب الصبيان إلى المسجد، كنتُ من بين الذين يحبونه حتى انني كنت اؤدي صلاة الصبح جماعةً، وكان يحكي لنا قصصاً مدهشة مما جرى على مدى ثمانين سنةٍ من عمره حيث كانت مليئة بالعبر وبالدروس.

وكان مما قاله لنا: ان شاباً كان يعيش مع امه وابيه في منطقة ناصر خسرو، وكان أبوه مهملاً للجوانب الشرعية، في حين انه كان ممّن يجالس العلماء ويحضر المجالس الدينية فكان يتألم لما يلمسه من ابيه، وكانت نصائحه التي تنمّ عن الحرص لا تؤثّر في أبيه، فتوجه غاضباً إلى الري ليجاور مرقد عبدالعظيم

الحسني، فعمل هناك بائعاً لمدة سنة كانت يوضح المسائل الشرعية للبائعين في السوق، وفي احدى ليالي عاشوراء جاء إلى طهران لزيارة والديه، وكانا قد ذهبا لحضور مراسيم التعزية في منطقة دولت فتوجه إلى هناك فصادف انّ الذي يؤدي دور شمر بن ذي الجوشن قد مرض فلم يحضر مراسم التمثيل، فلما راى المسؤول عن المراسيم ذلك الشاب ـ وحيث ان له معرفة سابقة به ـ طلب منه اداء الدور، فقبل الشاب، وارتدى الملابس ودخل ساحة العرض وادى الدور بمهارة، وقد عرفه أبوه من بين حشود الحاضرين فاستاء لانه ادى دور الشمر، وبعد نهاية المراسيم عادوا سويةً إلى البيت فسال الاب ابنه، هل تناولت العشاء؟ فأجابه: كلا، فقال: في المطبخ جرّه حليب واناء فيه لبن فاجلبهما وكُل منهما، فلما جاء إلى جرّه الحليب وجد فيها فاراً ميتاً فأكل لبناً لوحده، واثناء تناوله اللبن سأله الأب لِمْ لا تأتِ بالحليب؟ قال: وجدتُ فيه فأراً ميتاً وقد تنجّس وبالتالي فإنّ أكله حرام، قال له أبوه باسلوب عنيفٍ: الا تقلع عن هذه الاوهام؟!

وبعد دقائق من الصمت قال الاب: الآن وبعد عام عدت الينا وقمت باداء دور الشمر، لِمْ لا تؤدي دور علي الاكبر؟ فأجابه الابن باسلوب لطيف وظريف: يا أبه! لا تتوقع ممن يأكل الحليب الذي وقع فيه الفأر ان تتبدل نطفته ليصبح علياً الاكبر، فنتيجة لقمة الحرام هو الشمر!!

فيا ايّها الشباب حاولوا ان تصبحوا آباءً يتوفرون على شروط الابوة، كي يصبح ابناؤكم صالحين سالمين، وإذا ما حدث لديكم نقصٌ من شأنه تدمير بنائكم الباطني فبادروا إلى اصلاحه، إذ ان القيامة يوم مذهلٌ بالنسبة لجميع الخلائق.

قال علي (ﷺ) : « حق الولد على الوالد أن يُحسن اسمه ، ويُحسن أدبه ، ويعلامه القرآن »

نهج البلاغة : الحكمة ٣٩٩

٢٥

حق الولد على والديه

طريق الخير

في مستهل الكلام من الضروري ان نعرج على مقطع من كلامٍ نفيسٍ وحكيم شعَّ من قلب أمير المؤمنين (عليه السلام) لهداية الانسان والأخذ بيده نحو الخير، إذ قال (عليه السلام) مجيباً مَنْ سأله عن الخير:

ليس الخير أن يكثُرَ مالُك وولدك، ولكن الخير أنْ يكثُر علمُكَ، وان يعظم حلمُك وأن تباهي الناس بعبادة ربِّك، فإن احسنتَ حمدتَ الله، وان اسأت استغفرت الله ولا خير في الدنيا الاّ لرجلين، رجلٌ اذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجلٌ يسارعُ في الخيرات ولا يقلُّ عملٌ مع التقوى وكيف يقلُّ ما يتقبل[1].

لقد جرت الاشارة في هذه المقاطع إلى ثلاث حقائق هي: العلم والحلم وتسخيرهما لعبادة الله تعالى، وفي نهايتها جرى التنبيه إلى ان العلم والحلم والاستفادة منهما يجب أن يقترن بالورع عن الذنوب والاحتراز عن المعاصي كي تحظى بالقبول من لدن الباري عزوجل.

فالعلم الذي يفتقد صاحبه للتقوى، والحلم الذي لا يقترن بالورع عن المعاصي، والعبادة التي لا حظّ للتقوى فيها ليس إلاّ مصدر للخسران والدمار وماء في غربال.

ان الذين تسلّقوا مدارج الرقي في هذه الدنيا انما كان وصولهم من خلال العلم

---

١ ـ شرح ابن أبي الحديد: ١٨/٢٥٠.

والبصيرة والعبادة وتحلّيهم بالتوبة والتقوى والورع، أما الجهلة والبلداء ومن ضاقت صدورهم وتدنت قابلياتهم فهم عبّاد الأهواء والمنغمسون في وحل المعاصي والناكصون عن البرّ والاحسان، والعاطلون من الناس ومصادر الدمار والخسران.

على أية حالٍ، فيما يتعلق بحقوق الولد على والديه، يستفاد من هذه الجمل النورانية وجوب اطلاع الوالدين باديء الأمر على مسؤولياتهم التي حدّدها الاسلام ازاء أولادهم ومن ثم التحلّي بالحلم والتحمل فيي تطبيقها والعمل بتلك التعاليم حيث يعدّ عبادةً عظيمة، والتباهي بها في السرّ، والتوجه إلى الله سبحانه بالحمد والثناء لما منّ به من توفيق للاهتمام بالاولاد واداء حقوقهم، وطلب المغفرة منه تعالى إذا ما بدر منهم تقصيرٌ في هذا المجال، والتزام التقوى على كافة الاصعدة، كي لا تذهب جهودهم ادراج الرياح.

لا شك في ان الاهتمام بالحقوق المترتبة للولد على الانسان والاجتهاد لأداء هذه الحقوق يعتبر عبادة لا تضاهي وخيراً وفيراً يناله المرء في الدنيا والآخرة.

حق الولد على والديه

قال رسول الله (ﷺ):

«حقُّ الولد على والده ان يعلّمه الكتابة والسباحة والرعاية وان لا يرزقه إلاّ طيباً»[1].

وبطبيعة الحال، ليس من الضروري التدخل مباشرة في بعض الشؤون. فبمجرد ان يرسل الاب ولده إلى المدرسة والمراكز التي يتعلّم فيها السباحة

---

١ ـ ميزان الحكمة: ١٠/٧٢٠.

والرماية فإنّه يكون قد ادّى حقه، أما في مسألة توفير الرزق الحلال الطيب وهي قضيّة صعبة، فلا بد من التزام الدقة قدر الامكان في اداء هذه المهمة تلافياً لوقوع الاشكال الذي يفسد الدنيا والاخرة.

كم هو جميلٌ ان يتوفر النادي والمسجد إلى جانب مدارسنا كي يتوجه ابناؤنا بعد فترة الدرس إلى النادي الرياضي لتعلّم السباحة والرماية ومن ثمَّ يعرجـون نحو المساجد لتعلّم المسائل الشرعية والعبادية، كي ينالوا كمالهم البدني والفكري إلى جانب الكمال الروحي والتربوي.

ان القراءة والكتابة أو العلم بمعناه الشـامل، والسـباحة والرمـاية، والرزق الطيب تمثّل اربعة مصادر قوة لأبناء البلد بـامكانهم التـحصن ازاء الكـثير مـن الاخطار من خلال التسلح بهذه القدرات المهمة، فـالانشغال بـها يـملأ اوقـات الشباب والفتيان، وهو ذو أثر بالغ في تهذيب قابلياتهم الذاتية لا سيما الغرائز.

ينقل الشيخ البهائي (ﷺ) في كتابه، المخلاة، عن أحد الاعاظم ويدعى حسن ـ ولا ادري أيَّ حسنٍ يريد ـ قوله: لو وقع بيدي رغيف خبز من الحلال لجففته وطحنته حتى اجعله دقيقاً واحفظه ثم اعطي جزءاً منه لمن يراجعني من المرضى ممن يصعب علاجه كي يشفى من مرضه بتناوله للحلال.

آثار الحلال والحرام

نقل لي أحد كبار العلماء ممن اسدوا خدمة للدين والشـعب: خـلال أيـام دراستي عند الامام الخميني (ﷺ) في قم كنتُ اسافر إلى المدن والنواحي للتبليغ اثناء العشرة الاولى في شهر محرم.

وذات مرّة وعلى اعتاب شهر محرّم حضرتُ عند الامام (ﷺ) وقلت له: لقد دُعيتُ إلى منطقة جديدة هذا العام فارجو منك الدعاء والأذن لي بالذهاب، فدعا

لي الامام واسدى نصائحه فيما يتعلق بالتعامل مع الناس والتبليغ.

وتوجهت إلى المنطقة التي اريدها ـ وهي منطقة لم يكن عدد سكانها يـزيد على ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ نسمة ـ وعند وصولي اليها صادفني مزارعٌ نيّرُ الوجه يحمل مجرفته على كتفه فسألني عمّا كان مجيئي من أجل التبليغ، فأجابته بالايجاب، فقال: لا تتكلم هنا الاّ عن الحلال والحرام، لان حاجة ابناء هذه المنطقة إلى هذه المسائل أكثر من حاجتهم إلى غيرها واكثرهم لا يهتم بالحلال والحرام، ثم قال: لا تذهب إلى أيِّ بيت في هذه القرية غير بيتي، إذ انني دائب الاهتمام بـالحلال والحرام وبكل دقة، وان تناولك لما اعدّه لك مـن حـلال سـينير قـلبك ويـيسر حديثك.

فتوجهت إلى منزله فكان كما سمعت مـنه، إذ كـنت ارتـقي المـنبر والقـي أحاديثي بيسر وراحة دون تلكؤ.

لقد كان يتوجه إلى مزرعته مبكراً ويحضر إلى المسجد عند صلاة المغرب ثم نعود معاً إلى منزله بعد المحاضرة.

وفي أحد الأيام ذهبتُ ـ دون علم منه ـ في ضيافة أحد الاشخاص، فشعرت في تلك الليلة بصعوبة بالغة وضعفٍ في الالقاء وبيان المطالب اثناء المحاضرة، وان لم ينتبه المستمعون إلى ذلك، غير انني شعرتُ بحرج في القاء مطالبي، فنظر لي ذلك القروي مرتين أو ثلاث نظرة غاضبة وكنت اقرأ في نـظراتـه احـتجاجاً عليّ، وبعد انتهاء المجلس عدنا إلى بيته فقال لي بنبرةٍ حادةٍ: ليتك طُعنت بسكينٍ، من المؤكد انك ذهبتَ إلى بيتٍ آخر، لقد فهمتُ ذلك من خـلال وضـعك اثـناء المحاضرة، من الآن فصاعداً لا يحق لك الذهاب إلى أيّ مكان آخـر، وعـليك التفحص جيداً بطعامك وترددك على بيوت الناس مادمت حـيّاً، إذ ان الحـلال يجلب النورانية والحرام نتيجته الظلمة.

تأمّلوا ثانية بحديث رسول الله (ﷺ) فيما يتعلق بالرزق الطيب وآداب ادخاله إلى البيت:

«وان لا يرزقه إلاّ طيّباً».

الشيخ الزاهد

كان في طهران عالمٌ جليلٌ يسمى الشيخ محمد حسين الزاهد، وكان مفهوم الزهد متجسداً عملياً فيه.

لقد استقطب الكثير من الشباب إلى المسجد والمجالس الدينية ودفعهم إلى التحلّي بالآداب الدينية.

حدّثنا: دُعيت ذات مرّة إلى مكان كان عليَّ ان لا اجيب غير انني ذهبتُ جاهلاً، فتناولتُ ـ مُكرهاً ـ قطعة من المرطبات، فلما نهضت لصلاة الليل وفي طريقي للوضوء سقطت من السلّم فشقت جبهتي، فهبّت زوجتي لعلاج الجرح وربطه ولم استطع مواصلة عبادتي لشدة الألم، ولما وضعتُ رأسي على الوسادة أخذتني غفوة فسمعت في عالم الرؤيا هذه العبارة ايّها الشيخ! ما انت وهذه المرطبات؟ فاستيقظت وأيقنتُ ان جرح رأسي ما هو الاّ عقابٌ لي على تلك الجناية!

قال رسول الله (ﷺ):

«حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويزوّجه إذا ادرك ويعلّمه الكتابة»[1].

وسأل رجل رسول الله (ﷺ) عن حق ولده عليه فقال (ﷺ):

«حسّنْ اسمَهُ وادّبْهُ وتضعهُ موضعاً حسناً»[2].

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٧٢٠/١٠.

٢ ـ نفس المصدر.

وعنه (ﷺ) أيضاً:

«من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فلم ينكحه ثم احدث حدثا فالاثم عليه»[١].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«حقُّ الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن ادبه، ويعلمه القرآن»[٢].

وقال رجلٌ من الانصار لابي عبدالله الصادق (عليه السلام):

«من ابرُّ؟ قال: والديك، قال: قد مضينا، قال: برَّ ولدك؟»[٣].

وقال النبي (ﷺ):

«ادِّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبِّ نبيّكم وحُبِّ أهل بيته وقراءة القرآن»[٤].

ان تعريف الاولاد برسول الله (ﷺ) وأهل بيته (عليهم السلام) انما هي مسؤولية الآباء، ومن الواجب ان يعرف الولد منذ طفولته رسول الله (ﷺ) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) ويعيش محبتهم، كي ينمو ويكبر على معرفتم ومحبتهم، ويتطبع باطباعهم ويحذو حذوهم في مرافق الحياة كافة، ولا يتخذ قدوة واسوة سواهم، إذ ان افضل الخير بالنسبة للانسان محبة رسول الله (ﷺ) وائمة الهدى (عليهم السلام) والاقتداء بهم.

ذكرى طيبة

لمّا دُعيت للتبليغ لاول مرة في تبريز اشترطتُ على من دعاني أن يُسكنني في محلةٍ فقيرة وفي بيت بسيط، فقبل ذلك، فلما وصلت إلى تبريز نفّذ ماكان متفق

١ـ نفس المصدر.

٢ـ نفس المصدر.

٣ـ البحار: ٩٨/١٠٤.

٤ـ ميزان الحكمة: ٧٢١/١٠.

عليه فكان البيت عادياً في محلةٍ متوسطة المستوى، والبيت يتكون من طبقتين، احداهما مخصصة لعائلته والأُخرى تتخذ طابع الحسينية، وكان مكسب صاحب الدار عادياً ودخله بسيطاً فيما كان هو عابداً ملتزماً بصلاته، مثيراً للعجب.

قال لي: هل تعلم ما الذي جاء بك إلى هذه الدار؟ قلت: لقد اشترطت ذلك على من دعاني في طهران، فقال: كلا فالأمر ليس مرتبطاً بك، بل انني قد شاركت في مراسيم دعاء عرفة في مشهد وكنت أنت تتولى قراءة الدعاء، وبعد ان انتهى الدعاء، توجهتُ عند الغروب إلى ضريح الامام الرضا (عليه السلام) وبكيت عنده وقلت: إذا جاء هذا الرجل إلى تبريز يوماً فإنني اريده ان يأتي إلى داري، فإن هذه العملية قد رُتِّبت من قبل الامام الرضا (عليه السلام)، وانك قد أتيت إلى داري مدعواً من قبله (عليه السلام)، فهذه الدار ومن فيها محبّون لاهل البيت (عليهم السلام) وهم بمثابة الخدّام لمن يخدم أهل البيت (عليهم السلام) ثم نقل لي أمراً عجيباً عن والده فقال: لقد كان والدي مواظباً على صلاة الليل والتهجد مدى حياته، كما انّه كان يوقظني لصلاة الليل بكل لطفٍ وتودد منذ ان كنت في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، ويقول: يا بني ان الناس نيام والوقت مناسبٌ جداً، هلُّمَ بنا لننتحي جانباً ونبكي على سيد الشهداء (عليه السلام) لقد كنا حسينيين وخُلقنا حسينيين ولن نتخلى عن الحسين كي نكون عنده يوم القيامة!

قال الصادق (عليه السلام):

«الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلّم الكتاب سبع سنين، ويتعلّم الحلال والحرام سبع سنين»[1].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٢٢٢/١٠.

«مُرُوا أولادكم بطلب العلم»[١].

وقال (ﷺ) أيضاً:

«علِّموا أولادكم الصلاة وخذوهم بها إذا بلغوا الحلم»[٢].

وجاء في ثلاث روايات عن رسول الله (ﷺ):

«يلزم الوالدين من عقوق الولد ما يلزم الولد لهما من العقوق».

« عن السكوني عن الصادق عن آبائه قال: قال رسول الله (ﷺ):

«يلزم من العقوق لولدهما إذا كان الولد صالحاً ـ ما يلزم الولد لهما».

يلزم الوالد من الحقوق لولده ما يلزم الولد من الحقوق لوالده»[٣].

إلى الآباء والامهات

قال رسول الله (ﷺ):

«من قبَّل ولده كتب الله له حسنةً، ومَنْ فرَّحه فرَّحه الله يوم القيامة، ومن علَّمه القرآن دُعي بالابوين فيُكسيان حلَّتينِ يضيءُ من نورهما وجوه أهل الجنَّة»[٤].

وقال (ﷺ):

«مَن كان عنده صبيٌ فليتصابَ له»[٥].

وعنه (ﷺ):

«مَن كانت له ابنةٌ فادِّبها واحسن ادبها، وعلَّمها فاحسنَ تعليمها، فاوسع عليها من

---

١ ـ نفس المصدر.
٢ ـ نفس المصدر.
٣ ـ البحار: ٧٠/٧٤، ميزان الحكمة: ٧٢٣/١٠.
٤ ـ فروع الكافي: ٤٩/٦.
٥ ـ الوسائل: ٢٠٣/١٥.

نَعمِ الله التي اسبغ عليه، كانت له منعةً وستراً من النار»[١].

ولرسول الله (ﷺ) وصايا فيما يتعلق بالاولاد:

«اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»[٢].

«اعدلوا بين أولادكم في النُحْل كما تحبّون ان يعدلوا بينكم في البر واللطف»[٣].

«ان الله يحبُّ ان تعدلوا بين أولادكم حتى في القُبل»[٤].

«ابصر رسول الله(ﷺ) رجلاً له ولدان فقبّل احدهما وترك الآخر، فقال(ﷺ): فهلاّ واسيت بينهما»[٥].

١ ـ ميزان الحكمة: ١٠/٧٠٥ـ٧٠٧.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ نفس المصدر.

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

الاسراء / ٢٣

٢٦

حقوق الوالدين على الاولاد

ان اداء حقوق الوالدين من الصعوبة والدقة، والحاجة إلى التحمل والقابلية الاستثنائية ما لم يستطع عليها الاّ المؤمن الحقيقي الذي آمن بالله واليوم الآخر، وأيُّ مؤمن؟ انّه المؤمن الذي جرى توضيح مواصفاته في كتاب الله:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ﴾(١).

والآن تعالوا وانظروا الأمر الالهي فيما يتعلق بحقوق الوالدين والذي جاء في سورة الاسراء:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾(٢).

لقد ورد تفسير هذه الآية الكريمة التي أردفت حقوق الوالدين بعد حقّ الله عزوجل وبيانها في الصفحة ١٥٧ من الجزء الثاني من كتاب الكافي نقلاً عن الامام جعفر بن محمد الصادق (ﷺ)، وهذا التسلسل دليلٌ على عظمة الأمر.

نظراً إلى ان مؤلف اصول الكافي الشيخ الكليني (ﷺ) قد عاش في زمن الغيبة الصغرى، وان روايات هذا الكتاب ومضامينه قد أُخذت عن رواةٍ عاشوا على

١ـ النور: ٥١ـ ٥٢.

٢ـ الاسراء: ٢٣ـ ٢٤.

مقربةٍ من عصر المعصوم، ونظراً لما فيه من تنظيم وترتيب، وما حظي به من اهتمام منذ تصنيفه وحتى الآن، ولمجرد كونه من المصادر المهمة لاصول الدين وفقه أهل البيت (عليهم السلام) فإنّها يحظى بمنزلة خاصةٍ تفتقد اليها سائر الكتب.

وبعد هذا التفسير للآية الذي جاء على لسان الامام الصادق (عليه السلام) ونُقل في كتاب اصول الكافي لا اعتقد ان ثمة عذرٍ أزاء حقوق الوالدين.

يقول الراوي: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزوجل: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ ما هذا الاحسان؟ فقال: الاحسان أن تُحسن صحبتهما وان لا تكلّفهما أن يسألان شيئاً مما يحتاجان اليه وإن كانا مستغنين أليس يقول الله عزوجل: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

واما قول الله عزوجلّ:

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ قال: إن قال: اضجراك فلا تقل لهما افٍّ ولا تنهرهما إن ضرباك، قال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾ قال: ان ضرباك فقل لهما: غفر الله لكما، فذلك منك قولٌ كريم، ثم قال: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال: لا تملأ عينيك من النظر اليهما إلاّ برحمةٍ ورقّةٍ ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما ولا يدك فوق ايديهما ولا تقدّم قدامهما.

وادعُ لهما وقل: ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾.

وفي موضع آخر يقول تعالى:

﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ■ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ

مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١).

ملاحظة مهمة

لما بُعث موسى جاءه الأمر أن يواجه فرعون برفقٍ ويكلّمه بلين، فسأل عن السبب، فسمع النداء انّه قد تحملك لمدة خمسة عشر عاماً، وتجرع المصاعب والمشتقات لتربيتك مذ كنتَ رضيعاً حتى اصبحت شاباً، من هنا فهو بمثابة الاب بالنسبة لك، وعليك ان لا تتكلم معه بصوتٍ عالٍ أو تواجهه بعنف.

ورد بالمنهج في تفسير قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ ﴾(٢).

ان الله سبحانه وتعالى اوحى إلى رسوله (ﷺ): انني قد توفيتُ اباك وأنت في بطن امك، وتوفيت امك وانت طفلاً، لانهما لو بقيا على قيد الحياة لضاق وسعك عن تحمل اعباء النبوة واعباء اداء حقوق الوالدين.

روايات في حقوق الوالدين

سأل الراوي أبا عبدالله الصادق (ع):

«ايُّ الأعمال افضل؟ قال: الصلاة لوقتها، وبرُّ الوالدين، والجهاد في سبيل الله»(٣).

وقال الصادق (ع):

«ما يمنع الرجل منكم أن يبرَّ والدية حيَّينِ وميِّتينِ، يصلّي عنهما ويتصدّق عنهما

١ـ لقمان: ١٤ـ١٥.

٢ـ الضحى: ٦.

٣ـ الكافي: ١٥٨/٢.

ويحجّ عنهما ويصوم عنهما»[1].

اسلام زكريا بن ابراهيم وخدمته لوالديه

عن زكريا بن ابراهيم قال: كنت نصرانياً فاسلمت وحججتُ، فدخلت على أبي عبدالله (ﷺ) فقلت: اني كنت على النصرانية واني اسلمتُ فقال: وأيّ شيء رايت في الاسلام؟ قلتُ: قول الله عزوجل ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلاَ ٱلْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ﴾. فقال: لقد هداك الله ثم قال: اللهم اهده ثلاثاً، سل عمّا شئت يا بني، فقلت ان أبي وأُمي على النصرانية وأهل بيتي، وأُمي مكفوفة البصر فأكون معهم وآكل في آنيتهم؟ فقال: يأكلون الخنزير؟ فقلت: لاولا يمسونه، فقال لا بأس فانظر امك فبرّ فاذا ماتت فلا تكلها إلى غيرك، كن أنت، الذي تقوم بشأنها ولا تخبرنّ أحداً أنّك أتيتني حتى تأتيني بمنىً ان شاء الله، قال: فأتيته بمنىً والناس حوله كأنّه معلم صبيان هذا يسأله وهذا يسأله.

فلما قدمتُ الكوفة ألطفتُ لأُمي وكنتُ اطعمها وافلّي ثوبها ورأسها واخدمها فقالت لي: يا بني ما كنتَ تصنع بي هذا وانت على ديني فما الذي أرى منك منذ هاجرت فدخلت في الحنيفية؟ فقلت: رجلٌ من ولد نبينا أمرني بهذا فقالت: هذا الرجل هو نبي؟ فقلت: لا ولكنه ابنُ نبيٍّ، فقالت: يا بني ان هذا نبيٌ، ان هذه وصايا الأنبياء، فقلت: يا اُمّه انّه ليس يكون بعد نبينا نبيّ ولكنه ابنه فقالت: يا بني دينك خيرُ دينٍ اعرضه عليَّ فعرضته عليها فدخلت في الاسلام وعلّمتها فصلّت الظهر والعصر والمغرب والآخرة، ثم عرض لها عارضٌ في الليل فقالت: يا بني أعد ما علّمتني فأعدته عليها فأقرّت به وماتت.

---

١ ـ الوسائل: ٢١: ٤٩١.

فلّما اصبحت كان المسلمون الذين غسّلوها وكنت أنا الذي صـلّيت عـليها ونزلت في قبرها[١].

وعن جابر الجعفي قال: سمعت رجلاً يقول لأبي عبدالله (عليه السلام) انّ لي ابوين مخالفين، فقال: برّهما كما تبرّ المسلمين ممن يتولانا[٢].

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) انّه قال:

ان العبد ليكون بارّاً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضي عـنهما ديـنهما، ولا يستغفر لهما، فيكتبه الله عزوجل عاقّاً، وانّه ليكون عاقّاً لهما في حياتهما غير بارّ بهما فاذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عزوجل بارّاً[٣].

ويروي صاحب كتاب الامالي عن الامام الصادق (عليه السلام) انّه قال: **بينا موسى بن عمران يناجي ربّه عزوجل إذ راى رجلاً تحت ظلّ عرش الله عزوجل فقال: يا ربّ مَـنْ هذا الذي قد اظلّه عرشك؟ فقال: هذا كان باراً بوالديه ولم يمش بالنميمة.**

وعن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

«من احبَّ ان يخفّف الله عزوجل عنه سكرات الموت فليكن لقرابته وصولاً وبوالديه باراً فاذا كان كذلك هوَّن الله عليه سكرات الموت ولم يصبه في حياته فقرٌ ابداً».

عن حجر المذري قال: قدمتُ مكة وبها أبوذر جندب بن جنادة، وقدم في ذلك العام عمر بن الخطاب حاجاً ومعه طائفة من المهاجرين والأنصار فيهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) فبينا انا في المسجد الحرام مع أبي‌ذر جالسٌ اذ مرَّ بنا عـلي ووقف يصلّي بازائنا فرماه أبوذر ببصره فقلت: رحمك الله يا أباذر إنك تنظر إلى علي (عليه السلام) فما تقلع عنه، قال: أني افعل ذلك فقد سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:

---

١ ـ البحار: ٧٤ / ٥٣.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ البحار: ٧٤ / ٥٩.

النظر إلى علي بن أبي طالب عبادة، والنظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة والنظر في الصحيفة ـ صحيفة القرآن ـ عبادة، والنظر إلى الكعبة عبادة.

عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال: سأل رجلٌ رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«ما حقّ الوالد على ولده؟ قال(صلى الله عليه وآله): لا يسمّيه باسمه، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس قبله، ولا يستسب له»[1].

وقال الصادق (عليه السلام):

«يجب للوالدين على الولد ثلاثة أشياء: شكرهما على كلّ حال، وطاعتهما فيما يأمرانه وينهيانه عنه في غير معصية الله، ونصيحتهما في السرّ والعلانية»[2].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«يقال للعاقّ: اعمل ما شئت فاني لا اغفر لك»[3].

وعنه (صلى الله عليه وآله):

«اثنان يعجّلهما الله في الدنيا، البغي وعقوق الوالدين»[4].

وعنه (صلى الله عليه وآله) أيضاً:

«من احزن والديه فقد عقّهما»[5].

وقال جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

«من العقوق ان ينظر الرجل إلى والديه فيحدّ النظر اليهما».

جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله: ما من قبيح الاّ قد عملتهُ فهل لي من توبة؟ فقال له: رسول الله (صلى الله عليه وآله): فهل من والديك أحدٌ حيٌّ؟: قال: ابي،

---

١ ـ البحار: ٧٤: ٤٥.

٢ ـ تحف العقول: ٢٣٨.

٣ ـ البحار: ٧٤: ٦١ ـ ٧٤.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ نفس المصدر.

قال: فاذهب فبرّه، فلما ولّى، قال رسول الله (ﷺ) لو كانت امه[1].

وقد طلب موسى (ﷺ) من ربّه ان يوصيه فاوصاه مرتين بأُمه ومرة بأبيه[2].

وقال الباقر (ﷺ):

«ثلاث لم يجعل الله عزوجل لأحد فيهنّ رخصة: اداء الامانة إلى البر والفاجر والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر. وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين»[3].

الشيخ الانصاري وامه

وكان الشيخ الاعظم والفقيه الجليل خاتم المجتهدين الشيخ الانصاري يحمل امه على ظهره ويأخذها للحمام ثم يسلّمها لامرأةٍ في الحمام وينتظرها حتى تفرغ ويعيدها إلى البيت، وكان يستأذنها عندما يخرج صباحاً من البيت ولما يعود في المساء يقبّل يديها، وبعد وفاتها كان يبكي بشدة ويقول انما بكائي لأنني حرمتُ من نعمة عظيمة وهي خدمة الأم. وكان يصلي عن والدته رغم مشاغله وازدحام دروسه والمراجعات. مع ان امه كانت من أكثر النساء تديناً.

عاق الام

وروي أن رسول الله (ﷺ) حضر شابا عند وفاته فقال له: قل لا إله إلاّ الله فاعتقل لسانه مراراً فقال لامرأة عند رأسه: هل لهذا ام؟ قالت، نعم أنا أمه قال: افساخطة أنت عليه؟ قالت نعم ما كلمته منذ ست حجج قال لها: إرضي عنه قالت: رضى الله عنه برضاك يا رسول الله.

١ـ البحار: ٨٢/٧٤.

٢ـ البحار: ٣٣٠/١٣.

٣ـ الوسائل: ٤٩٠/٢١.

فقال رسول الله: قل لا إله إلاّ الله فقالها[١].

عن السجاد (عليه السلام):

«اما حق امك فانك تعلم انها حملتك حيث لا يحتمل احدٌ احداً، واعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحدٌ احداً، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحى وتظلّك، وتهجر النوم لأجلك. وقتك الحر والبرد، لتكون لها، فإنك لا تطيق شكرها الاّ بعون الله وتوفيقه»[٢].

عن الحكم قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) ان والدي تصدّق عليّ بدار ثم بدا له ان يرجع فيها ـ إلى ان قال: فقال: بئس ما صنع والدك فان أنت خاصمته فلا ترفع عليه صوتك وان رفع صوته فاخفض انت صوتك[٣].

١ـ منازل الآخرة: ٢٣.

٢ـ البحار: ٦/٧٤.

٣ـ الوسائل: ٢٢٤/١٨.

﴿مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾

البقرة / ٢١٥

٢٧

مسؤولية الزوجين أزاء الأقربين

الأهل والأقارب

ان لكلٍّ من الزوج والزوجة أقارب واتباع لا يجوز لهما تناسيهم في الجوانب التي يقرّها الشرع المقدس، ولا يحق لأيٍ منهما منع الآخر من التزاور معهم وأداء ما لهم من حقوق.

ان لكلٍّ من الزوج والزوجة أبٌ وأمٌ، واخوة واخوات، أعمام وأخوال، عمّاتٌ وخالات وأبناء اخوة وأبناء أخوات أبناء عمومة وأبناء خوال، ولهم اجدادٌ وجدّات وعددٌ من الأقارب النسبيين.

ان التزاور معهم يعدُّ من العبادات ومن الحسنات، والتردد عليهم يعتبر عملاً حسناً، وحل مشكلاتهم يمثل فعلاً يستحق الأجر والثواب.

على الزوجة ان لا تتبرّم حيال أقرباء زوجها وتمتنع عن الترحيب بهم إذا ما قدموا إلى بيت زوجها، أو يكفهر ووجهها في وجوههم حين تقابلهم وتعكّر الأجواء، أو تمارس اسوء من ذلك كلّه إذ تصد زوجها عن التزاور معهم وحل مشكلاتهم.

ان البيت ملك الزوج وقد أناط الله سبحانه وتعالى بالرجل مهمة التصرف بأمواله، وطاعة الزوجة لزوجها من الواجبات الشرعية، وايذاء الزوجة لزوجها يعدُّ من المحرّمات، ومنعها اياه من التزاور مع ابويه واخوته واخواته وسائر اقاربه أمرٌ منافٍ للاخلاق والفطرة والقيم الانسانية، وكذا منع الزوج زوجته من التزاور مع ابويها واقاربها وارحامها يعدُّ عملاً منافياً للمحبة والعواطف الانسانية.

وإذا ما أصبح المرأة والولد حائلاً دون القيام بأعمال الخير والاحسان والتعبد والتزاور مع الاقارب ومديد العون اليهم فإنّهم ـ وكما يعبّر القرآن الكريم ـ يعتبرون عدواً للانسان، ليس بمعنى العدو الذي يطفح قلبه بالضغينة، بل العدو الذي لا يود ان يربى الانسان سعيداً وهانئاً في الدنيا والآخرة، وعلى ربّ الأُسرة أن لا يستسلم للنزعات الخاطئة التي تتملك الزوجة والولد إذا ما رام القيام باعمال الخير وحل مشكلات الناس والتزاور مع الارحام ودعوتهم إلى بيته، وابداء المساعدة لابويه واخوته واخواته.

وبطبيعة الحال فان المؤمنات من النساء، اللواتي آمنّ بالله واليوم الآخر وتوفر لديهنّ الشعور بالمسؤولية والرغبة في اعمار آخرتهنّ وادركن ان اداء حق الزوج يعتبر واجباً شرعياً، وتأبن بالأخلاق الالهية، فإنّهنّ على اتفاق مع ازواجهنّ في جميع شؤون الحياة والامور الأخلاقية وايتاء الصالحات، بل انّهنّ إذا ما لمسن من ازواجهنّ تهاوناً على هذا الصعيد بادرن إلى حثّهم وترغيبهم إلى الصالح من الأعمال والتزاور مع الاقارب ومساعدتهم.

أما اللواتي يخالفن ارادة الحق تعالى في التوجهات، أو الأولاد الذين تخالف مآربهم ارادته جلّت قدرته، فهم ممّن عدّهم القرآن الكريم في عداد الاعداء، وهنا يوجه الباري تعالى في كتابه الاوامر الانسان فيما يخص هذا الجانب، وهذه الاوامر لها صبغة اخلاقية وعاطفية وانسانية فقط، يقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

ولا فائدة من الاصطدام مع مثل هؤلاء الزوجات والاولاد، ولا داعي

---

١ ـ التغابن: ١٤.

للجدال والصراع معهم ولا ضرورة تستدعي الغضب والتشاحن، ليبقوا على اصرارهم، وما عليكم الاّ الثبات في طريق طاعة الله سبحانه والانفاق والجهاد في سبيله وفعل الصالحات على كافة الاصعدة.

وفي الحقيقة فان بعض النساء متزمتات في هذا الجانب، فهنّ قد حُرمنَ رحمة الله ويحاولن حرمان الآخرين منها وكذلك فان بعض الرجال متشددون ايضاً ازاء زوجاتهم في هذا المجال، وتشدوهم هذا لا مبر له ولا فائدة منه سوى الحرمان من رحمة الله وفضله.

فما السبب الذي يدفع بالبعض من النساء الى الوقوف بوجه ازواجهنّ ومنع اقربائه من دخول بيته وان لا يذهب هو لزيارتهم أو ان يمتنع عن اعانتهم مالياً وبالمقابل يتردد اقرباء الزوجة على البيت ـ الذي هو ملك الزوج ويخضع لتصرفه، ولا بد من ان يكون تردد الآخرين على هذه الدار باذنه ـ وتجري الامور وفقاً لما تشتهيه الزوجة وتمضي اشهر وسنوات والرجل يعيش حسرة عدم دخول ابويه أو اخوته واخواته إلى داره فيما ينثال اقرباء المرأة على الدار طيلة هذه الاشهر والسنين.

ألا يمثل ذلك ظلماً بحق الزوج وأقاربه؟ انّه الظلم، تلك الحالة النفسية الخطرة التي من ابتُليَ بها لعنه الله وأبعده عن رحمته وساءت عاقبته في الآخرة.

وهل من الأخلاق ان يمنع بعض الازواج زوجاتهم من الذهاب إلى بيوت آبائهنّ أو اخوانهن واخواتهن ويتعاملون معهنّ كالأسير المرتهن؟

لا شك بأنّها اخلاقٌ شيطانية يرفضها الحق تعالى وتؤدي بالتالي إلى حرمان المرء من رحمة الله عزوجل.

لقد تطرق القرآن الكريم بما يقرب من ثلاث وثلاثين مرة إلى اقارب الانسان واوصى بهم، عدا الآيات المتعلقة بصلة الرحم.

ونظراً إلى ان المؤمن مأمور بالاقتداء بسيرة رسول الله (ﷺ) والتأسي به في جميع المجالات، فإنّ أحد واجباته يتمثل في هداية اقاربه وانذارهم إذا كانوا بحاجة للهداية والانذار، والإنسان بحاجة إلى ذلك حتى آخره عمره. قال تعالى:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1].

ما اجمله من عملٍ إذ يقوم الانسان بين الفينة والأُخرى - إذا كان قادراً - بجمع أقاربه وأقارب زوجته في بيته وتقديم المواعظ لهم وتعريفهم مسائل الحلال والحرام وتحذيرهم عواقب الطالح من الأعمال والأخلاق وتعليمهم المسائل الفقية والشرعية؟

ان هداية الناس إلى المعارف الالهية عملٌ يناظرُ عمل الأنبياء والأئمة وفيه من الاجر والثواب ما يدهش العقول.

يروى أن العلاّمة المجلسي (رحمه الله) كان مواظباً على هذا العمل فيجمع زوجته وأولاده وأقاربه في ليالي الجمعة، ويراه واجباً عليه، لان انفاق العلم كانفاق المال عملٌ حسنٌ يحظى بقبول الحق تعالى.

وقد قرن تعالى في كتابه الاحسان إلى القربى إلى جانب طاعة الله والاحسان إلى الوالدين، وبذلك يبين عظمة الاحسان إلى الاقارب:

﴿ ... لَاتَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[2].

ان الانسان مجبولٌ على حبِّ المال والثروة، ولولا حبّ المال لما توجه أحدٌ نحو العمل والفن والصناعة والتجارة والزراعة، والمال الذي يأتي عن طريق الكد يصبح معشوق الانسان.

والقرآن الكريم يدعو المؤمن إلى التخلّي عن هذا المعشوق من أجل حلٍّ

١ـ الشعراء: ٢١٤.

٢ـ البقرة: ٨٣.

مشكلات ذوي القربى وتسيير حياتهم، وينفق ماله لاقاربه وارحامه رغم حبّه له، إذن أن بذل المال لذوي القربى يعدّ من علامات الصادقين: ﴿...وَآتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1].

من الضروري ان يحصل القربى سواء من النسب أو الحسب وكلٌّ حسب موقعه وقربه على جزءٍ من إرث المرء، وهنا تأمّلوا هذه الآية التي تعدُّ وثيقةً تدعم جميع الحقائق: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُولُوا ٱلْقُرْبَىٰ...﴾[2].

ان اداء حق القربى والمحافظة على كرماتهم من الأهمية لدى الله تعالى إلى الحد الذي يأمر به الانسان ان يلتزم العدالة في القول ازاء القربى فيقول تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[3].

فاحتقارهم والاستخفاف بهم بالقول والفعل يعتبر عملاً مخالفاً للشرع المقدس ومنافياً للاخلاق وتجاوزاً على الكرامة.

ان الله سبحانه وتعالى يأمر بالتزام العدل وبذل الاحسان وفي هذا المجال فهو يخص بالذكر ذوي القربى إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ...﴾[4].

إن تقصير الاغنياء وذوي الثروة عن الانفاق على اقربائهم والعطاء لهم هو مما يرفضه الحق تعالى ويأنفه الشرع المقدس والعقل والمنطق والأخلاق والفطرة، يقول تعالى:

﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي ٱلْقُرْبَىٰ...﴾[5].

١ـ البقرة: ١٧٧.
٢ـ النساء: ٨.
٣ـ الانعام: ١٥٢.
٤ـ النحل: ٩٠.
٥ـ النور: ٢٢.

وإذا ما شهدتم في المحاكم فعليكم الشهادة بالعدل وتجنب كتمانها وان كان ذلك يعود بالضرر عليكم أو على الوالدين والاقربين، يقول تعالى:

﴿... كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[1].

ويجب عدم الاستغفار للقربى إذا كانوا من المشركين ومبتعدين عن الله سبحانه صادقين عن دينه، يقول تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾[2].

وفي القرآن الكريم ورد الأمر بعدم التوادد مع الآباء والامهات والاولاد والأقارب إذا كانوا اعداء لله ورسوله[3].

وماخلا هذين الموردين، أي عدم الاستغفار للمشركين من القربى وعدم محبتهم، فإن أقرباء المرء هم لحمه ودمه، ولا يحقّ للزوج أو الزوجة ان يمنع احدهما الآخر عن التزاور مع أقربائه ومواصلتهم، لا سيما المرأة فلا يحق لها حرمان زوجها من هذا الفيض الوفير والخير العظيم الذي يوازي بالاجر طاعة الحق تعالى.

ان وصيتي إلى الازواج هي ان يتعاملوا مع اولي القربى على ضوء ما جاء في الآيات الثلاث والعشرين من كتاب الله باحترام اقرباء بعضهم البعض والتزاور والتواصل معهم واعانتهم بما يستطيعون من المال إذا كانوا بحاجة لذلك.

وعلى الزوجة التزام الحذر من اثارة غضب الرجل لان غضبه وغيضه ـ استناداً إلى ما جاء في الروايات ـ بمثابة غضب الربّ وغيضه، والمرأة التي لا

---

١ ـ النساء: ١٣٥.

٢ ـ التوبة: ١١٣.

٣ ـ المجادلة: ٢٢.

يرضى عنها زوجها لا يُقبل منها عملٌ واجبٌ كان أو مستحب[١].

قال الامام الصادق (عليه السلام):

«**ملعونة ملعونةٌ امرأةٌ تؤذي زوجها وتغمُّهُ**»[٢].

ان جانباً من ايذاء الزوج يرتبط بالموقف ازاء اقاربه، إذ تعاند الزوجة زوجها بلا مبرر منطقي أو شرعي، وبذلك تحرم نفسها من رحمة الله عزوجل.

---

١ ـ البحار: ١٠٠/٢٤٤.

٢ ـ نفس المصدر: ص ٢٥٣.

﴿ ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾

الرعد / ٢١

٢٨

صلة الرحم

القرآن وصلة الرحم

صلة الرحم: من صالح الأعمال وارضاها التي أكّد عليها البـاري عـز وجل والأنبياء والأئمة (عليهم السلام).

وقد فسَّر العلامة النحرير والمحدِّث الكبير والفيلسوف الجليل والعارف الملا محسن فيض الذي امضى عمره مع القرآن والأحاديث الشريفة، صـلة الرحـم، بزيارة الارحام وقضاء حوائجهم وحلِّ مشكلاتهم المادية واعانتهم على صـعيد العمل والتكسب وتزويج ابنائهم وبناتهم، وإذا ما جرى التـمعن بآيـات القـرآن الكريم والاحاديث فإنّ المعنى ذاته يستفاد من موضوع صلة الرحم.

وقد تركزت سيرة الأنبياء وأخلاق أئمة الشيعة في صلة أرحامهم على القيام بهذه الأعمال، والقرآن بدوره يوصي بصلة الرحم معتبراً إياها من افـعال الذيـن يعقلون، ومعتبراً قطيعة الرحم فسقاً ومرتكبها فاسقاً.

وفي سورة النساء يأمر تعالى بتقوى الله والارحام، وانّه لمـن المـدهش ان يذكر تعالى الارحام بعد ذكره جلّ اسمه فيقول: ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾(1).

وفي سورة الرعد يذكر تعالى خـصالاً يـعدها مـن خـصال اولي الالبـاب يستحقون أن تتلقاهم الملائكة في المحشر يسلِّمون عليهم ولهم نعم العاقبة، ومن

1ـ النساء: 1.

بين هذه الخصال صلة الرحم، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ...﴾(١).

وفي سورة البقرة يقول تعالى بشأن قطع الرحم: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٢).

نعم، قطيعة الرحم خسرانٌ ليس بالهيِّن.

وفي سورة الرعد ثمة آية قاصمة للظهر، إذ يقول تعالى: ﴿...وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(٣).

ويقول تعالى في سورة محمد (ﷺ): ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾(٤).

فايُّ اهمية تحظى بها صلة الرحم بحيث ان صاحبها تستقبله الملائكة يوم القيامة وتسلّم عليه وتحسنُ عاقبته، ونصيب قاطع الرحم اللعنة وسوء الدار والهلاك.

ان سدّ ما يعاني منه الارحام من عوزٍ مادي من خلال الانفاق عليهم بما يحفظ كرامتهم وشخصيتهم له من الفوائد ما لا يُحصى، يقول تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٥).

ويقول تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ

١ـ الرعد: ٢١.
٢ـ البقرة: ٢٧.
٣ـ الرعد: ٢٥.
٤ـ محمد: ٢٢.
٥ـ البقرة: ٢٦٥.

خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُم مِن سَيِّآتِكُم وَٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٢].

مشروعٌ شاملٌ وبديع

لنبحث عن اقاربنا ـ نسباً وحسباً ـ غنيهم وفقيرهم ثم ندعو الاغنياء منهم ونتلو عليهم ما ورد من آيات وأحاديث بشأن صلة الرحم ونوضحها لهم ثم نطلب من كلِّ واحدٍ منهم ان يودع كل شهر أو سنوياً ـ بما تسمح به ثروته وأمواله ـ مبلغاً من المال لدى احد وجهاء القوم وكبارهم ومن ثم ايداعه في أحد صناديق التسليف ومنحه كقرضٍ أو مساعدة للفقير من الارحام إذا ما داهمه طارىءٌ ليتسنى له شراء دارٍ إذا احتاج لذلك أو سدٌ ما ينقصه من اثاث البيت أو اعداد جهاز لابنته أو تزويج ابنه.

انّه عملٌ يسيرٌ مرضيٌ لدى الله، حلالٌ للمشاكل، مزيلٌ للآلام وقد جرى التنويه إلى جزائه بالاجمال خلال الآيات الآنفة.

لنحاول توضيح هذا المشروع لجميع الناس ونحثهم على تطبيقه، فاذا ما طُبق في جميع انحاء البلاد حينها سيرفع وزرٌ ثقيل عن كاهل الدولة والخيرين ويصيب الاغنياء الاجر العظيم جرّاء اعانتهم لاولي القربى.

وفي آيات الانفاق قدَّم القرآن الكريم الانفاق على الاقربين على غيرهم ثم ذكر اليتيم والمسكين والفقير وابن السبيل والسائلين، وعلى سبيل المثال تأملوا هذه الآية الكريمة:

---

١ ـ البقرة: ٢٧١.

٢ ـ البقرة: ٢٧٤.

﴿وَآتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّائِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾[١].

قصة مدهشة

يروى الصدوق بسند معتبر عن الامام الصادق (ع): ... لما صادت السمكة في البحر الذي فيه قارون سمع قارون صوتا لم يسمعه فقال للملك الموكل به: ما هذا الصوت؟ قال: هو يونس النبي (ع) في بطن الحوت. قال: فتأذن لي ان اكلّمه؟ قال: نعم، قال: يا يونس ما فعل هارون؟ قال: مات، فبكى قارون، قال ما فعل موسى؟ قال مات، فبكى قارون، فاوحى الله تعالى جلّت عظمته الى الملك الموكل به: ان خفف العذاب على قارون لرقته على قرابته[٢].

روايات في صلة الرحم

قال رسول الله (ص):

«صِل رحمك ولو بشربةٍ من ماء وافضل ما يوصل به الرحم كفُّ الاذى عنها»[٣].

فالارحام أشدما يؤذيهم روحيا الاحتقار والتوهين والصاق التهم والتكبر، وأفضل درجات صلة الرحم كفّ الاذى عنهم.

وقال (ص):

«صلُوا ارحامكم في الدنيا ولو بسلام»[٤].

---

١ ـ البقرة: ١٧٧.

٢ ـ سفينة البحار ج ١٨٣/١. بحار الأنوار ج ٣٩١/١٤ ح ١١.

٣ ـ البحار: ١٠٣/٧٤.

٤ ـ البحار: ١٠٤/٧٤.

وروي عن رسول الله (ﷺ):

«يسرْ سنةً صِلْ رَحِمَكَ»[١].

وروي عنه (ﷺ) أيضاً:

«أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم ومَنْ في اصلاب الرجال وارحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم وان كانت منه على مسيرة سنة فإن ذلك من الدين»[٢].

وفي الروايات الواردة على مدى الصفحات ١١١ ـ ١٢٦ من الجـزء الرابـع والسبعين من كتاب بحار الانوار تتجلى فائدة صلة الرحم، وهنا ننقل طائفة من تلك الروايات:

قال الباقر (ع):

«صلة الارحام تُزكّي الأعمال، وتُنمي الاموال، وتدفعُ البلوى وتنسيءُ من الاجل».

وقال أبو عبدالله الصادق (ع):

«ان صلة الرحم والبرّ ليهوّنان الحساب ويعصمان من الذنوب، فصلوا ارحـامكم، وبرُّوا باخوانكم ولو بحُسنِ السلام وردِّ الجواب».

وقال رسول الله (ﷺ):

«صلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر».

«صلة الرحم تعمُر الديار وتزيد في الاعمار وان كان اهلها غير أخيار».

«من مشى إلى ذي قرابةٍ بنفسه وماله ليصل رحمه اعـطاه الله عـزوجل اجـر مـئة شهيد، وله بكلِّ خطوةٍ اربعون الف حسنةٍ ويُمحى عنه أربعون الف سيئة ويُرفع له من الدرجات مثلُ ذلك وكأنما عبدالله مئة سنة صابراً محتسباً».

وعنه (ﷺ) انّه قال:

---

١ ـ البحار: ١٠٣/٧٤ ـ ١٠٥.

٢ ـ نفس المصدر.

«ان في الجنة درجةً لا يبلغها الا امامٌ عادل أو ذو رحم وصول أو ذو عيالٍ صبور».

وقال (ﷺ) لأبي ذر: «صل قرابتك وان قطعوك».

ان رجلاً أتى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله، اهلُ بيتي أبَوا إلاّ توثباً عليَّ وقطيعة لي وشتيمة، فارفضهم؟ قال (ﷺ): إذن يرفضكم الله جميعاً، قال: فكيف اصنعُ؟ قال: تصلُ مَنْ قطعك وتُعطي مَنْ حرمك وتعفو عمَّن ظلمك، فإنّك إذا فعلتَ ذلك كان لك من الله عليهم ظهيرٌ.

روايات في قطيعة الرحم

وعن الجهم بن حميد قال: قلت لأبي عبدالله (ع) «يكون لي القرابةُ على غير أمري، أَلَهُم عليَّ حقٌ؟ قال نعم، حقُ الرحم لا يقطعه شيءٌ وإذا كانوا على امرك كان لهم حقّان، حق الرُّحم وحقُّ الاسلام»[١].

عن أبي جعفر الباقر (ع) أنّه قال: في كتاب رسول الله (ﷺ):

«إذا قطعوا الارحام جُعلتِ الاموال في ايدي الاشرار»[٢].

وقال رسول الله (ﷺ):

«ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مدمنُ خمرٍ، ومؤمنُ سحرٍ، وقاطع رحمٍ»[٣].

وقال أمير المؤمنين (ع) في خطبة «اعوذ بالله من الذنوب التي تعجّل الفناء فقام اليه عبدالله بن الكوّاء اليشكري فقال: يا أمير المؤمنين أو تكونُ ذنوب تعجِّل الفناء؟ فقال: نعم ويلك قطيعة الرحم»[٤].

١ـ البحار: ١٣١/٧٤.

٢ـ البحار: ٣٦٩/٧٤.

٣ـ البحار: ٩٠/٧٤.

٤ـ البحار: ١٣٧/٧٤.

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«اقبحُ المعاصي قطيعة الرحم والعقوق»[١].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«ان الرحمة لا تنزلُ على قومٍ فيهم قاطع رحمٍ»[٢].

وعنه (صلى الله عليه وآله) ايضاً:

«ان الملائكة لا تنزل على قومٍ فيهم قاطعُ رحم»[٣].

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٨٩/٤.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر.

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

التغابن / ١٦

٢٩

بواعث سعادة الأسرة وشقائها

السعادة والشقاء

ان السعادة والشقاء يمثّلان افرازاً لافعال الانسان واخلاقه وعقائده، فالعقائد السليمة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة تورث السعادة، أما العقائد الخاطئة والأخلاق القبيحة والأعمال الطالحة فهي تورث الشقاء.

والسعادة تعني حسن الحظ في الدنيا والآخرة، أما الشقاء فهو يعني التعاسة وسوء الحظ في الدنيا والآخرة.

والسعادة مصداقها رضوان الله وجنان الخلد، أما الشقاء فمصداقه غضب الله والخلود في العذاب الاليم.

ومن الحري بالاسر المسلمة المؤمنة الاهتمام بهاتين المفردتين، أي السعادة والشقاء، فعلى الزوجين العمل منذ بداية حياتهما الزوجية على توفير أسباب السعادة والتخلص من عوامل الشقاء وذلك من خلال اعانة بعضهما البعض كي تصفو لهما أجواء الدار وتصبح بيئة صالحة لأولادهما.

على الأُسرة العمل منذ انطلاق الحياة الزوجية على توفير دواعي بلوغ رضى الحق تعالى ودخول جنانه من خلال التحلّي بالايمان والقيام بصالح الأعمال والتزام الأخلاق.

وقد جرى التطرق إلى السعادة والشقاء في آيات الكتاب العزيز والأحاديث وجرى بيان اسبابهما بالتفصيل وجرى تحذير الناس جميعاً من ان يحرموا انفسهم السعادة ويوقعوها في الشقاء.

ونظراً إلى ان الحديث يتركز حول نظام الأُسرة وما يتوجب على أهـل الدار من التزام بعض القواعد ازاء بعضهم البعض الآخر والاحتراز عـن أُمـورٍ اخـرى حيث تتوقف سعادتهم على ذلك، فانني اشير إلى محاسن الأخلاق ومساوئها فقط لحاجة الأُسر إلى ذلك، واحيل الحديث عن الايمان والعـمل إلى الكـتب التـي تتناولهما بالتفصيل.

ان عوائلنا لا سيما في ايران تتمتع إلى حدٍ ما بالايمان بـالله واليـوم الآخـر والأنبياء والأئمة وتؤدي الفرائض مثل الصلاة والصوم والحج والحقوق الشرعية وتتورع عن ارتكاب المحرمات كأكل الحرام واللجوء ألى الغرائز التـي تـتنافي وانسانية الانسان، وتراعي ما فُرض بخصوص المحارم، الاّ ان اغلب ما تـعانيه العوائل من ضعف هو عدم التزام الجوانب الأخلاقية وعدم الابتعاد عن المساويء الروحية، حيث اكتفي هنا بتوضيح هذين الجانبين بالقدر اللازم.

الانصاف

وهو يعني العدل وتقديم الخدمة للآخرين، وان يحب المرء لغيره ما يـحب لنفسه ويبغض لهم ما يبغض لها، وينبغي ان تسود هذه الخصلة على تـصرفات الزوجين فيما بينهما وعلى تصرفاتهما ازاء أولادهما وعلى تصرفات الاولاد ازاء والديهم، فكلّ فردٍ في المجتمع مأمورٌ بأن ينصف الآخرين وان يراعي الناس في كل عمل يقوم به.

قال الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«أعدل الناس من رضي للناس ما يرضى لنفسه وكره لهم ما يكره لنفسه»[1].

---

١ ـ البحار ٧٢: ٢٥.

وقال (ﷺ):

«مَنْ واسى الفقير وانصفَ الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً»[١].

وقال (ﷺ) لأمير المؤمنين:

«الانفاق من الاقتار، وانصاف الناس من نفسك، وبذلُ العلم للمتعلّم»[٢].

وقال رجلٌ لرسول الله (ﷺ): **«علمني عملاً لا يحال بينه وبين الجنة قال: لا تغضب، ولا تسأل الناس شيئاً، وارض للناس ما ترضى لنفسك»**[٣].

وقال أمير المؤمنين (ﷺ):

«الا إنّه مَنْ يُنصف الناس من نفسه لم يزده الله الاّ عزّاً»[٤].

ما اجملها من حياةٍ واحلاها حين يتوسم الزوج الانصاف أزاء زوجته، والزوجة ازاء زوجها، وكلاهما حيال أولادهما، والأولاد حيال أبويهم، ويحبُّ كلٌّ منهم للآخر ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها.

فلا تكن الراحة من نصيب رب الأُسرة وأولاده فيما تتحمل الأُم اعباء البيت ومشاقه، أو يشقى الابوان فيما يصب الاولاد همهم على الأكل والنوم فقط بل يمنّون على أبويهم كذلك، على الجميع ان يُنصف بعضهم البعض ويخدمه ويعدل بحقه، وان يعين بعضهم بعضاً في انجاز اعمال البيت كي يتوفر جانبٌ من سعادتهم وينجون من الشقاء.

١ ـ البحار: ٢٥/٧٢ ـ ٢٨.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ البحار: ج ١٥٠/٩٦ ح ٢، وج ٧٨/٨٦ ح ١.

٤ ـ البحار: ٣٣/٧٢.

المداراة والرفق

ان التحلّي بالرفق واللين والانسجام، والتعايش استناداً إلى الأخلاق الفاضلة يُعدُّ نوعاً من العبادة تورث الثواب الجزيل والمنافع المهمة للغاية، بالاضافة إلى كونها فرضاً مبرماً يفرضه الاسلام العزيز.

قال رسول الله (ﷺ):

«الرفق يمنٌ، والخرقُ شُؤمٌ»(١).

وقال (ﷺ) أيضاً:

«ألا أُخبركم بمن تحرمُ عليه النار غداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الهيِّنُ القريبُ الليّن السَّهلُ»(٢).

ونادى موسى (ﷺ) ربّه: **«الهي ما جزاء مَنْ كفَّ أذاه عن الناس وبذلَ معروفه لهم؟: قال: يا موسى تُناديه النارُ يوم القيامة: لا سبيل لي عليك»**(٣).

وسُئل رسول الله (ﷺ): **«من سَلِمَ المسلمون مِنْ يدهِ ولسانه»**(٤).

وقال رسول الله (ﷺ):

«ما مِنْ عملٍ احبَّ إلى الله تعالى ورسوله من الايمان بالله والرفق بعباده، وما من عملٍ ابغض إلى الله تعالى من الاشراك بالله تعالى والعنفِ على عباده»(٥).

ان الواجب الالهي يحتّم على الزوج والزوجة وأولادهما التحلّي بالرفق والمداراة والليّن والتوقير والتساهل ازاء بعضهم البعض وازاء الآخرين.

---

١ ـ البحار: ٥١/٧٢ ـ ٥٢.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر

٤ ـ البحار: ٥٣/٧٢ ـ ٥٤.

٥ ـ نفس المصدر.

النصيحة

ويترتب عليها منافع دنيوية واخروية، أما قبول النصيحة فيورث تنوّر القلب والبصيرة، وعلى كلّ فردٍ تقديم النصح وحبّ الخير لغيره بما تسمح بـه قـابليته ووسعه، والحري بمن نُصح الاستماع للنصيحة والموعظة والاستجابة لها.

واثناء تقديم النصح ينبغي التخلي عن الخجل والحياء لانتفائهما فـي هـذا الموقف، ولابد من ترك الكبر والغرور عن تقبل النصح، لان الحياء ـ وكما صرح بذلك النبي الأكرم (ﷺ) ـ يحول دون تقديم النصيحة، والكبر يمنع من قبولها وهو من الخصال الشيطانية.

ربما يتطلب الأمر ان يبادر رب الأُسرة إلى تقديم النصح والموعظة لعـياله ويوجههم إلى واجباتهم، وتارة قد يستوجب الموقف ان تبادر الزوجة إلى نصح زوجها، وتارة اخرى قد يتوجب على الاولاد نصيحة والديهم، وعلى كلٍّ منهم الاستماع إلى نصيحة الطرف والمقابل والابتعاد عن التكبر والغرور.

يقول الامام الصادق (عليه السلام):

«مَنْ رأى أخاه على أمرٍ يكرهه فلم يردّه عنه وهو قادرٌ عليه فقد خانه»[1].

الأدب

ان الاتزان والتحلّي بالوقار والتزام الآداب ومداراة الآخرين أثـناء التـعامل والمحافظة على الشخصية في جميع الاحوال وامام جميع الناس، والتكلم عند الضرورة، واحترام الناس، وما شابه ذلك، كلها تعتبر من مراتب التأدب.

---

١ ـ البحار ٧٢/٦٥.

على الزوج، ان يتحلّي بالأدب ازاء زوجته، وعلى الزوجة ان تكون مؤدبةً قبال زوجها، وعليهما ان يلتزما حيال أولادهما، وعلى الاولاد التحلّي بالآداب ازاء أبويهم.

ان التأدب يرفع الانسان ويصون شخصيته وعزته، ويزيدُ في المحبة، ويُنمّي الاصحاب، ويسمو بالمرء سواء داخل الأُسرة أو خارجها، وبالاضافة إلى كل ذلك فإن الأدب مدعاة لنزول الرحمة الالهية ومراعاته تعتبر ضرباً من العبادة.

قال أمير المؤمنين (ﷺ):

«لا حسب ابلغ من الادب»[1].

ومن كلام له (ﷺ):

«... وكفى بك ادباً لنفسك تركك ما كرهته لغيرك»[2].

وفي حديث له (ﷺ) قال:

«حُسن الادب ينوبُ عن الحسب»[3].

المحافظة على الأسرة من التهمة

ان السلوك والتصرف والمعاشرة ومصاحبة الآخرين يجب أن تكون ـ في نظر الاسلام ـ بنحوٍ لا يعرّض الأُسرة أو الفرد للتهمة، إذ ان التهمة تطيح بصرح الأُسرة وتثير المتاعب والمنغصات وتعكّر صفو الحياة.

فربما يواجه المرء موقفاً أو فعلاً أو شخصاً يرى عدم وجود مانعٍ من التعامل معه، غير أن الآخرين ونظراً لجهلهم بواقع الأمر وعدم امساكهم لألسنتهم عن

١ ـ البحار: ٦٧/٧٢.
٢ ـ نفس المصدر.
٣ ـ البحار: ٦٨/٧٢.

تقييم الامور فإنّهم يشيعون ما يحصل بين الناس بصورة مغايرة وحينها نظرة الناس لا سيما الجيران حول الشخص، وبذلك توجه ضربة ما حقة بحيثية الأُسرة وكرامتها، وتلحق خسارة فادحة بمستقبل الأُسرة وابنائها. فاذا ما اراد الدخول بعملية تجارية أو حاول اقامة علاقات مع اصدقاء له. أو اراد تزويج ابنه أو بنته، فان ذلك يحول دون انجاز هذه الأعمال البناءة نتيجة تلك التهمة التي وقعت بلا مبرر الاّ ان الانسان تسبب بها نتيجة لغفلته.

قال الامام الصادق (عليه السلام):

«يا بنيَّ مَنْ يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم»[1].

ويقول النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله):

«أولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة»[2].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«مَنْ وقف نفسه موقف التهمة فلا يلومنَّ من أساء الظنّ به»[3].

وفي رواية عجيبة قال الامام الصادق (عليه السلام):

«اتّقوا مواضع الرِّيب، ولا يقفنَّ احدكم مع امه في الطريق، فإنّه ليس كلُّ أحدٍ يعرفها»[4].

نعم، فربما اشاع جاهل بين الناس ان فلاناً قد غازل امرأة غريبة وهو مشهورٌ بين الناس بعدم صلاحه. فعلى الناس ان يتبينوا أمره لئلا ينال من نواميس

---

١ ـ البحار: ٩٠/٧٢.
٢ ـ نفس المصدر.
٣ ـ نفس المصدر.
٤ ـ البحار: ٩١/٧٢.

الآخرين.

يتعين على رب الأُسرة وزوجته وأولادهما الابتعاد عن مواطن التهمة وان لا يضعوا انفسهم فيما ينال من كرامتهم، إذ ان الاسلام كثيراً يهذا الشأن.

الوفاء بالعهد

ان الوفاء بالعهد يعدُّ واجباً فقهياً وشرعياً، ونقضه من المحرمات.

ان العقد بين الرجل والمرأة يعتبر عهداً الهياً على الجانبين المحافظة عليه والوفاء به، ان الوعد الذي يعطيه الزوج لزوجته والزوجة لزوجها، ويعطيه الاثنان لأولادهما يعدُّ نوعاً من العهد يجب الوفاء به إذا لم يكن هنالك مانعٌ شرعيٌ عنه، ويحرم نقضه.

قال تعالى:

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾[1]

والامانة والوفاء بالعهد من علامات المؤمن، يقول تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾[2]

قول الحق، والحكم بالعدل، والوفاء بالعهد[3].

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

«اداء الامانة إلى البرِّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرِّ والفاجر، وبرُّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين»[4].

١ ـ الاسراء: ٣٤.

٢ ـ المؤمنون: ٨.

٣ ـ البحار: ٧٢ ٩٢

٤ ـ نفس المصدر.

وقال رسول الله (ﷺ):

«لا دين لمن لا عهد له».

وقال الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام):

«إنا أهل بيت نرى ما وعدنا علينا ديناً كما صنع رسول الله (ﷺ)»[1].

التشاور

يجب ان لا تكون الدار مركزاً استبدادياً ينفرد بحكمه شخصٌ واحدٌ يفرضُ ما تمليه أفكاره ورغباته.

ان للمشاورة فوائد جمّة، فاذا ما تشاور الزوجان حول شؤون الأُسرة، واستشارا البالغين من أولادهما، أو كبار السن الذين خبروا الحياة وذاقوا حلاوتها ومرارتها فإنّ ذلك يصب في صالحهما وربما نفعهما في الدنيا والآخرة.

عليكم المواظبة على المشاورة فلا تتشبثوا بالمحورية، ولا تهملوا آراء الآخرين أو تردوها، ولا تنظروا إلى انفسكم على انكم اعلم من سواكم، مهّدوا أرضية التشاور لجميع افراد الأُسرة، إذ ان التشاور يعتبر عاملاً مساعداً وربما منقذاً من المهالك.

لقد اهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بالتشاور وذلك ما هو بارزٌ في الآية ١٥٩ من سورة آل عمران والآيات ٣٦ ـ ٣٨ من سورة الشورى، والتشاور يعتبر في الحقيقة اتباعاً للقرآن وحلالاً للمشاكل وحصناً منيعاً في وجه المخاطر.

قال الصادق (عليه السلام):

«شاورْ في أمرك الذين يخشون الله عزوجل»[2].

---

١ ـ البحار: ٩٧/٧٢.

٢ ـ البحار: ٩٨/٧٢.

وقال (ﷺ) أيضاً:

«رجلٌ استكثر عمله ونسيَ ذنوبه وأُعجبَ برأيه»[١].

وقال أمير المؤمنين (ﷺ):

«خاطر بنفسه من استغنى برأيه»[٢].

وعلى مَنْ استشير ان يلتزم الحق في الاجابة وتوجيه من طلب المشورة إلى افضل السبل، فالخيانة في المشورة من أعظم الذنوب.

قال الامام الصادق (ﷺ):

«من غشّ مسلماً في مشورةٍ فقد برئتُ منه»[٣].

التواضع

وهو ميزة اخلاقية وانسانية واسلامية، وثمرة طيبة لمعرفة النفس.

ان الذي يرى نفسه عبداً لله تعالى، وان كلَّ ما لديه من نعمٍ انما هي منه جلّ اسمه، وينظر إلى الآخرين جميعاً على أنهم افضل منه، والخلق جميعاً عباد الله، ولا يرى لنفسه شيئاً على امتداد هذه الارض الفسيحة، فإنّه يغرق في بحرٍ من التواضع.

ان الرجل الذي يرى المرأة عبداً لله والاولاد ملكاً له جلّت قدرته، ويعتبر نفسه خادماً لهم، وانهم جميعاً أمانة في يديه لن يتعامل معهم إلا بتواضعٍ وانبساط.

ومن الطبيعي ان تتواضع المرأة لزوجها واسرتها إذا ما تنزهت عنِ التكبر ولم تُعر حسبها ونسبها ومكانتها أية أهمية في تعاملها مع زوجها، ولا تعدُّ علمها شيئاً

---

١ ـ نفس المصدر.

٢ ـ البحار: ٧٢/٩٨ـ٩٩.

٣ ـ نفس المصدر.

ولا تنظر لما تحمل من شهادة علمية على أنها مبعث عزّة لها.

ولا يتحلّى العقلاء من الأولاد إلاّ بالتواضع والخضوع قبال أبويهم.

ان التواضع يمنح العزة والشرف والعظمة، ويجلب الرفعة والشموخ، ويضفي على الدار الانسجام والصفاء والمحبة ويرسخ التلاحم الاسري.

على المتكبر ان يعلم بعدم وجود من يذعن لتكبره حتى زوجته وولده ،وان نفوسهم ترفض التكبر وتُسقط المتكبر من أعينهم.

قال الامام الحسن العسكري (عليه السلام):

«... ومن تواضع في الدنيا لاخوانه فهو عندالله من الصديقين ومن شيعة علي بن أبي طالب(عليه السلام) حقاً»[1].

وعن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام):

«ان من التواضع أن يرضى الرجل بالمجلس دون المجلس، وان يُسلّم على مَنْ يلقى، وان يترك المراء وان كان مُحقاً ولا يحبُّ أن يُحمد على التقوى»[2].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) قبيل شهادته:

«عليك بالتواضع فإنّه من اعظم العبادة»[3].

العطف على الصغير واحترام الكبير

ان أوامر الاسلام الموجهة للرجال والنساء كافة تركز على العطف على الصغير واحترام الكبير.

ينبغي ان تتحول الأُسرة إلى محلٍّ تطبق فيه الاحكام الالهية وتعاليم الأنبياء

---

١ ـ البحار: ١١٧/٧٢.

٢ ـ البحار: ١١٨/٧٢ ـ ١١٩.

٣ ـ نفس المصدر.

والأئمة (عليهم السلام) كي ترى السعادة في الدنيا والآخرة.

ان الغضب على الصغير والصراخ بوجهه واحتقاره واهماله وعدم الوفاء بالوعد ازاءه كل ذلك يعتبر من المعاصي، كما أن عدم احترام الكبير والنظر اليه نظرة غضبٍ وعدم الاستماع إلى مطاليبه واظهار الملل والتعب منه يعتبر ذنباً ومعصيةً.

اننا الوسيلة التي من خلالها خُلق الصغار، وعلينا ايلاؤهم المزيد من المحبّة كي يشعروا بالاطمئنان، ونحنُ حصيلة الكبار، إذن فلهم دينٌ عظيم في رقابنا ومن الواجب المحتمّ علينا احترامهم.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) قبيل شهادته:

«وارحم من اهلك الصغير ووقّر منهم الكبير»[1].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«بجّلوا المشايخ فإن من اجلال الله تبجيل المشايخ»[2].

وقال (صلى الله عليه وآله):

«ليس منا مَن لم يرحم صغيرنا ولم يوقّر كبيرنا»[3].

حسن الضيافة

هنالك من العوائل مَنْ يمسكون عن الضيافة واقراء الضيف، وهذا الامساك إما دليلٌ على العجز والكسل أو البخل، وكل ذلك قبيحٌ بايٍّ نحو كان، وعلى افراد الأُسرة زوجٌ وزوجةٌ وأولاد ان يستقبلوا الضيوف بكل بشاشة وجه، لان ذلك

١ ـ البحار: ١٣٦/٧٢.
٢ ـ نفس المصدر.
٣ ـ البحار: ١٣٧/٧٢.

تجسيدٌ لأخلاق الأنبياء وسببٌ لرضى الحق تعالى والسعة في الرزق، ومـدعاة لنزول الرحمة الالهية ودفع البلاء والأخطار عن أهل الدار.

إن الضيافة من الأهمية بحيث ورد في النصوص الاسلامية ان الضيف رزقه معه، وصاحب الدار ضيفٌ على ضيفه، وان الحث على هذا الأمر والترغيب به من الأعمال المرضية ومن أسباب ترسيخ القيم الأخلاقية، والصدود عن هذه الخصلة الحميدة يتنافى مع الأخلاق الانسانية.

قال أبو عبدالله الصادق (عليه السلام):

«المكارم عشرٌ فإن استطعت ان تكون فيك فلتكن، احدها اقراء الضيف»[1].

وعنه (عليه السلام):

«... انّهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك، وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك»[2].

وقال الباقر (عليه السلام):

«شِبَعُ اربعٍ من المسلمين يعدلُ عتقَ رقبةٍ منْ ولد اسماعيل»[3].

بناء على ذلك، فان الانصاف، والمداراة والرفق، والادب، واجتناب مواضع التهمة، والوفاء بالعهد، والتشاور، والتواضع، والعطف على الصغير واحترام الكبير، واقراء الضيف، انما هي من دعائم العظمة ومن موجبات السعادة دنيوياً واخروياً.

١ـ البحار: ٧٢/٤٥٩ـ ٤٦٠.

٢ـ نفس المصدر.

٣ـ نفس المصدر.

بواعث الشقاء والتعاسة

يجب ان تُنزّه الأُسرة من الجفاء وتباعد وتبادل الاتهامات والافتراء، والتشاجر بالالفاظ، والتنقيب عن العيوب، والغيبة والنميمة، والمكر والاحتيال والغش، والسخرية بالآخرين والاسراف، والكبر، والحسد، والبخل، واطاعة الآخرين في ما يُعصى به الله تعالى، والتحامل على الغير، والعداوة والضغينة، ولكلٍّ واحد من ذلك آياته الخاصة في القرآن الكريم وبابه المستقل في الروايات ـ وان يتطهر الدار واهلها من هذه الخصال الذميمة، لانّ كلاً منها في عداد المعاصي، وبعضها من الكبائر التي تستوجب العذاب يوم القيامة، وكلٌّ منها بمثابة المعول الذي يضرب شجرة الأُسرة من الجذور، وسببٌ في حلول الشقاء والتعاسة.

واحليكم إلى تفاصيل هذه المواضيع في القرآن الكريم ومن ثم إلى التصانيف كالجزء الثاني من الكافي والجزء الحادي عشر من الوسائل، والشافي للفيض، والمحجة البيضاء وجامع السعادات لنراقي، وسائر الكتب الأخلاقية والروائية إذ ان بيان تفاصيلها مما لا يستوعبه الحديث ويحتاج إلى المزيد من الوقت والعديد من الجلسات.

«... وما من شيءٍ ابغض إلى الله عزوجل من الطلاق»

الوسائل: ٢٢/٧

٣٠

الطلاق والارث

قبح الطلاق

ان الطلاق بنفسه ليس بالامر المستحسن، وفعلٌ قبيحٌ ومذموم، يبغضه الله سبحانه وانبياؤه وائمة الهدى (عليهم السلام) الا ان يكون لسبب مشروع يرتضيه العرف.

ان الطلاق نزولاً عند رغبات الرجل أو المرأة ونزواتهما يعتبر فعلاً منافياً لتعاليم الحق تعالى ومبادىء الانسانية، وتلاعباً باحكام الشرع، وتجاوزاً على شخصية أحد الطرفين.

وفي البداية اشير ألى الروايات الوارد بشأن الطلاق، ومن ثم اتطرق إلى آيات الكتاب العزيز وضوابط الطلاق على ضوء ما جاء في كتاب الله.

يروي الحكيم الجليل السبزواري في شرح المثنوي.

ما خلق الله شيئاً على وجه الارض أحبَّ من العتاق، ولا خلقَ شيئاً على وجه الارض ابغضُ من الطلاق.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«ما احلَّ الله شيئاً ابغض اليه من الطلاق»[1].

وعنه (صلى الله عليه وآله):

«ان الله لا يحب الذوّاقين والذواقات»[2].

وقال أبو جعفر الباقر (عليه السلام):

---

١ ـ الوسائل: ٢٨٠/١٥.

٢ ـ ميزان الحكمة: ٥٤٦/٥.

«ان الله عزوجل يُبغض كلّ مطلاقٍ ذواق»[١].

وقال الصادق (عليه السلام):

«ان الله عزوجلّ يحبُّ البيت الذي فيه العرس، ويُبغضُ البيت الذي فيه الطلاق»[٢].

مقدمات الطلاق

عندما يبرز من الرجل ما يؤدي إلى استحالة حياة الزوجة معه، أو يظهر من المرأة ما يجعل من استمرار بقاء الزوج معها أمراً صعباً ومعتذراً، ويعتذر ازالة اسباب ذلك وتتوفر الاجواء لوقوع الطلاق حينها يصبح الطلاق مشروعاً لا مانع دونه.

وفي هذه الحالة على الزوجين واسرتيهما عدم التشدد وتجنب الكلام اللاذع بحقّ كلٍّ من الزوج والزوجة أو اسرة كلٍّ منهما.

وإذا ماكان للخلاف بين الزوج وزوجته سبب مشروع ينبغي ان لا يؤدي بأن يرتكب الآخرون أو الزوجان الذنوب كالغيبة والافتراء والتحقير والتأنيب والاستهزاء، لان من شأن ذلك اضرام جذوة الحقد لدى الرجل والمرأة واسرتيهما فيما بينهم، وهو عاملٌ في ان ينال الانسان العذاب الأُخروي.

ومما يبعث على الاسف ان باب الغيبة والافتراء والضغينة تفتح على مصاريعها عند وقوع الطلاق، ويقع الكثير من أفراد الأُسرة في هذه الذنوب الكبيرة ويتجرعون الشقاء.

إذا لم تعد المرأة صالحة للعيش مع الرجل، وتعذّر على الرجل تحمّلها، أو ان الرجل لم يعد ذلك الرجل الذي تتوفر فيه الشروط التي تضمنها عقد الزواج ولم

١ـ الوسائل: ٢٢ /٨، طبعة مؤسسة آل البيت.

٢ـ الوسائل: ٢٢ /٧.

توضع تلك الشروط موضع التنفيذ، حينها يحق للزوجة ان تطلب الطلاق، أو بالعكس، آنذاك ينبغي ان يتم الطلاق بكل هدوء ويسرٍ بعيداً عن التورط بالمعاصي، لا أن ينتهي الأمر إلى الفوضى والصراخ والمشاجرة ودخول كلتا الاسرتين في النزاع وتحصل المعصية بكل معانيها وتذهب كرامة اسرتين كريمتين.

ولا مناص هنا من التطرق إلى اثنتين من المعاصي التي تحيق باسرتي الطرفين حين اللجوء إلى الطلاق، وليتورع الجميع عن المعاصي والذنوب من خلال الالتزام التعاليم الالهية.

الغيبة

قال تعالى في كتابه الحكيم:

﴿لاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1].

وقال رسول الله (ﷺ):

«الغيبة اسرعُ في دينِ الرجل من الاكلة في جوفه»[2].

وعنه (ﷺ):

«اياكم والغيبة فان الغيبة اشدُّ من الزنا»[3].

وقال (ﷺ):

«مررتُ ليلة أُسري بي على قومٍ يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلتُ: يا جبرئيل

---

١ ـ الحجرات: ١٢.

٢ ـ الوسائل: ١٥٢/١٢.

٣ ـ البحار: ٢٢٢/٥.

مَنْ هؤلاء؟، قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس»[١].

وعنه (ﷺ) أيضاً:

«ان الله حرَّم الغيبة ما حرَّم المال والدم»[٢].

وقال أمير المؤمنين (ع):

«الغيبة آيةُ المنافق»[٣].

وقال (ع) أيضاً:

«من اقبح اللؤم غيبة الأخيار»[٤].

وقال الامام موسى بن جعفر الكاظم (ع):

«ملعونٌ من اغتاب اخاه»[٥].

وقال الحسين بن علي (ع) لمغتاب:

«يا هذا كفَّ عن الغيبة فإنّها إدام كلاب النار[٦].

نعم لا غيبة للضال وصاحب البدعة والحاكم الظالم والمتجاهر بـالفسق[٧] وقال أمير المؤمنين عن مستمع الغيبة:

«السامع للغيبة كالمغتاب»[٨].

وفي رواية عن رسول الله (ﷺ) في ردِّ الغيبة وعدم الاستماع لها والذبّ عن عرض المؤمنين، انّه قال:

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٧/٣٣٢ ـ ٣٣٣.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ نفس المصدر.

٥ ـ البحار: ٧٧/٣٣٣.

٦ ـ البحار: ٧٨/١١٧.

٧ ـ البحار: ٧٥/٢٥٣.

٨ ـ ميزان الحكمة: ٧/٣٥٢.

«من ذبَّ عن عرضِ اخيه بالغيبة كان حقاً على الله ان يعتقه من النار»[١].

بناءً على ذلك، فان ما ينبغي طرحه في عملية الطلاق، هو الطلاق فحسب، إذ ان التفوه بما يخرج عن اطار الحق والانصاف والعدل لا يعدو كونه ذنباً، ودخولاً إلى نار جهنم بالنسبة للآخرين.

التهمة والافتراء

ربما يلجأ الزوج إلى اتهام زوجته وتلطيخ سمعتها بين الناس لتبرير طلاقها، وقد تلجا الزوجة إلى ذلك أيضاً، كما ان اسرة الزوج قد تبادر إلى اتهام اسرة الزوجة وبالعكس، وهذا ما لا مثيل له في القبح والدناءة وما لا يقاس عذابه في الآخرة.

يروي الامام الصادق (عليه السلام) عن حكيم:

«البهتانُ على البريء اثقلُ من الجبال الراسيات»[٢].

ويروي الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن ابائه (عليهم السلام):

«مَنْ بهتَ مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ماليسَ فيه اقامه الله يوم القيامة على تلٍّ من نارٍ حتى يخرجُ مما قال فيه»[٣].

درسٌ فيه عبرةٌ

قيل لرجلٍ: لماذا تريد طلاق امرأتك؟ قال: انها امرأتي وتحرمُ غيبتها، وبعد ان طلقها وتزوجت، سُئل عن سبب طلاقه إياها، فقال: لا يجوز غيبة امرأة رجلٍ آخر.

١ ـ ميزان الحكمة: ٣٥٣/٧.
٢ ـ الوسائل: ٢٨٨/١٢.
٣ ـ نفس المصدر.

الطلاق في القرآن

إذا استطاع الزوجان حلَّ ما بينهما من المشكلات وازالة عوامل الطلاق دون تدخل الآخرين فبها ونعمت وإلاّ فيجب ان يُبعث رجلٌ من اهله ورجلٌ من اهلها يتحلّى كلٌّ منهما بالوقار والتحمل والتدين والفطنة ليتداولا المسألة لئلا ينجرَّ الامر إلى الطلاق. يقول تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ ٱللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ﴾(١).

ويقول تعالى:

﴿ ٱلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾(٢).

ويقول تعالى:

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ ٱللهِ هُزُواً وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِنَ ٱلْكِتَابِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَٱتَّقُوا ٱللهَ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣).

---

١ ـ النساء: ٣٥.

٢ ـ البقرة: ٢٢٩.

٣ ـ البقرة: ٢٣١.

تلاحظون ان الله سبحانه وتعالى إلى جانب لقضية الطلاق فهو يذكّر الانسان بنعمته وكتابه وحكمته وعلمه اللامتناهي بغية مراعاة الانصاف والعدل في هذه المسألة وبكل جوانبها.

من المسلّم به ان الاسر إذا كانت راسخة الايمان بالله واليوم الآخر، وتتمتع بالأخلاق الفاضلة والعمل الصالح، لن يطرأ فيها ما يسمى بالطلاق، ويحيا الزوجان معاً بسلامٍ ووئامٍ حتى النهاية، وسينعم أولادهما بحياة ملؤها الوئام والصفاء والمحبة.

ان الخمول والعجز والكسل والاعتياد والفشل في الدراسة وفساد الكثير من ابناء الامة الاسلامية انما منشؤه الاختلاف بين الوالدين وطلاقهما.

على الرجل الاحتراز عن الظلم والاجحاف، واداء حقوق زوجته، والالتزام بتعهداته، واتباع الاصول الانسانية والاسلامية في التعامل مع عياله، وعلى المرأة ان تكون زوجةً وأُمّاً كما ينبغي تلافياً لوقوع الطلاق هذه العملية التي يبغضها الله سبحانه وهذا الغول الموحش، والنار الملتهبة التي تحرق صرح الأُسرة، إذ ان المتسبب بوقوع الطلاق سيحاسب حساباً عسيراً يوم يقوم الناس لرب العالمين.

لنعمل على ان يصل معدل الطلاق إلى ادنى مستواه، ولنقلع عن المغازلات وارتكاب المعاصي وظلم بعضنا البعض كي ينتفي الطلاق فيما بيننا.

ينبغي لمحاكم البلاد اعداد كراسٍ يتضمن فضائل الأخلاق وقبح الطلاق وعرضه على المراجعين لمطالعته، كي لا يعاودوا المراجعة ويقيموا حياةً هانئةً من جديد، ولئلا يدخل المطلقون والمطلقات معترك الحياة فيستغلهم ضعاف الايمان ويجرونهم نحو الفساد وبذلك يضاف رقم جديدٌ إلى عدد المنحرفين والغاوين.

خاتمة الحياة

الموت هو منتهى الدنيا المليئة بالنشاط والفعالية، ومعترك الحياة المفعمة بالحركة والآمال والطموحات، إذ ينتقل الانسان إلى عالم الآخرة، ليرى نتائج اعماله في الحياة الدنيا وثمار معتقداته واعماله واخلاقه.

ان القرآن الكريم يدعو كلاً من الرجل والمرأة إلى التفكير بعاقبتهما ونتيجة اعمالهما وآخرتهما ما داما على قيد الحياة، وينظرا ما اعدا لآخرتهما من زادٍ ومتاع.

يقول تعالى:

﴿...دَّمَتْ لِغَدٍ﴾[1].

١ ـ الحشرة: ١٨.

«الوصية حقٌ على كلِّ مسلم»[١].

وقال (عليه السلام)

«ما ينبغي لامرىءٍ مسلمٍ ان يبيت ليلةً الاّ ووصيته تحت راسه»[٢].

وعنه (عليه السلام) أيضاً:

«مَن مات على وصيةٍ مات على سبيلٍ وسنّةٍ ومات على تقىً وشهادة، ومات مغفوراً له»[٣].

في عصرنا هذا حيث نادراً ما تُنفذ الوصايا وحيث القوانين ترهق الوصي وتُعيي الورثة، أليس من الحري بالمرء ان يكون وصيَّ نفسه، فيعمل بما يريد أن يُعمل نيابة عنه بعد موته ؟

فإذا كان ثرياً عليه انفاق امواله وثروته في سبيل الله من قبيل توفير الارضية اللازمة لترويج ابناء المسلمين وبناتهم، والانفاق على الايتام، وبناء المدارس والمساجد، وشق الطرق، واسكان المستضعفين، ليتلقى أجر ذلك بعد موته.

وقد اوصى أميرالمؤمنين (عليه السلام) الانسان بذلك فقال:

«يا بني آدم كُنْ وصيَّ نفسك في مالك واعمل فيه ما تُؤثر ان يعمل فيه من بعدك»[٤].

على اية حالٍ، اعملوا على ان يكون ما تتركون من مالٍ حلالاً طيباً لان الحرام لا يورَّث، ولا ينبغي لكم الوصية بثلثه لعدم نفاذ الوصية، وعليكم الوصية بالثلثين الباقيين على ضوء ما ورد في القرآن الكريم تلافياً لوقوع الظلم بين

---

١ ـ ميزان الحكمة: ١٠/٤٩٤ـ٤٩٥.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ نفس المصدر.

٤ ـ نهج البلاغة: الحكمة ٢٥٤.

الورثة.

وعلى الوصي والورثة العمل بما في الوصية المدونة وفقاً لتعاليم القرآن الكريم، إذ ان تنفيذها عبادةٌ توجب الاجر العظيم للميت ولمن ينفذها.

وقبل تقسيم الارث يتعين على الورثة اداء ما على الميت من ديون وحقوق شرعية وكذلك مهر زوجته، أو اداء الحج نيابة عنه إذا كان بذمته، إذ يحرم على الورثة التصرف بالاموال التي تتعلق بها حقوق الله والناس ويترتب على ذلك عقابٌ من الله سبحانه.

ويجب دفع حصة زوجة الميت ووالديه وأولاده طبقاً لما جاء في كتاب الله، وإذا ما أُجري غير ذلك فإنّه تعدٍ لحدود الله عاقبته عذاب جهنم.

عليكم الرجوع إلى الرسائل العملية أو العالم المختص حين تقسيم الارث كي تجري العملية وفقاً للاحكام الالهية ويُسَّر الميت بعملكم.

ايها الورثة عليكم ان تُدركوا ان الميت قد عانى كثيراً في حياته من أجل تدبير شؤونكم وتحمل المشقات بأنواعها، ولعلّه قد ارتكب بعض المعاصي في هذا السبيل، فلا تُسقطوه من الحسبان، فعليكم الصلاة والصوم والتصدق ورد المظالم والقيام بصالح الأعمال نيابة عنه، وخلاصة القول، أن تذكروه بكلِّ ما من شأنه غفران ذنوبه وسرور روحه لا سيما في ليالي الجمعة والاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان، كي يذكركم أولادكم بعد موتكم، وكذلك زيارة قبره حيث ان الله سبحانه يؤنس روحه بوجودكم وذلك مما يدفعه إلى الدعاء لكم وهو في البرزخ.

قال لي أحد اصدقائي: كان لي صديق عندما تعترضه مشكلة يتوجه مباشرة

من طهران إلى قم فيجلس ساعةً عند قبر والديه ويقرأ سورة الفاتحة ويتوجه بالدعاء ويتصدق ويطلب منهما الدعاء له ثم يعود إلى طهران وقد جرّب ذلك إذ انّه ما ان يعود تحلُّ معضلته قبل غروب الشمس.

ليس من الصواب ان يبذل الوالدان عصارة جهودهما من أجل حياة أولادهما وسعادتهم، ثم لا يُذكران بعد موتهما ولا يُصار إلى عملٍ من شأنه غفران ذنوبهما.

المحتويات

مقدمة الناشر ٥

مقدّمة المؤلّف ٧

سنّة التزاوج في النظام الكوني ١١

الاتحاد والتزاوج عند الجمادات ١٣

نظام التعايش بين النباتات ١٧

التزاوج والتكاثر والتناسل عند الحيوانات ١٩

الانسان والزواج ٢١

لا تتشددوا في الزواج ٢٢

أهمية الزواج في الروايات ٢٦

التقوى في الأسرة والمجتمع ٢٩

حقيقة التقوى ٣١

التقوى ومراتبها ٣٢

الحاج السبزواري والقناعة ٣٣

البهرجة والاسراف ٣٤

تواصوا بالتقوى ٣٧

سيماء المتقين ٣٩

الازواج المتقون ٤٠
الكاسب المثالي ٤٢
أهداف الزواج في الاسلام ٤٥
البيت الطاهر ٤٧
شر الناس ٤٩
تفتح القابليات ٥٠
السعي من أجل العيال عبادة ٥٢
ليكن هدفكم من الزواج هدفاً سامياً ٥٣
نظام الأُسرة في الغرب ٥٦
مكانة المرأة في التاريخ الاسلامي والبشري ٥٩
الانحراف الفكري تجاه المرأة ٦١
ردّ الاسلام على الانحرافات الفكرية تجاه المرأة ٦٣
نظرة اخرى لحياة المرأة ومكانتها في التاريخ ٧٢
استقلال الرجل والمرأة في الاسلام ٧٧
استقلال الانسان وحريته ٧٩
قصة عن الحرية ٨٠
اشارة مهمة ٨٢
زوجة صالحة وكريمة ٨٣
استقلالية الرجل والمرأة في الزواج ٨٨
منزلة المرأة في القرآن ٩١
دين الله ٩٣
توسل الانبياء بربوبية الله ورحمته ٩٥

مقام العبادة والعبودية ٩٧
المرأة في المنطق القرآني ٩٩
العقل والشهوة ملاك السعادة والشقاوة ١٠٠
حديث المعراج بشأن النساء ١٠٢
مشاكل الزواج ومعوقاته ١٠٥
التزمت في أمر الزواج ١٠٧
اجعلوا انفسكم ميزاناً بينكم وبين غيركم ١٠٩
التكبر من خصال ابليس ١١٢
قصة عن التسامح في امر الزواج ١١٥
التقليد عمل شيطاني ١١٨
المهور الغالية ١٢٠
القرآن، المهر الحقيقي للزواج ١٢١
شروط الزواج في الاسلام ١٢٣
الدين والتدين ١٢٥
الكفو ١٢٧
رأي الامام السجاد(عليه السلام) بشأن الكفو ١٣٠
لا تُزوجوا هؤلاء ١٣٢
لا تتزوجوا من هذه النساء ١٣٤
طريقة اختيار الزواج ١٣٧
الناقص مطرود من رحمة الله ١٣٩
سبيل الكمال ١٤١
طريقة اختيار الزوج في الاسلام ١٤٣

قصة مدهشة ١٤٥
ضوابط اختيار الزوجة ١٤٦
سنن التزويج في الاسلام ١٥٣
التباحث حول الزواج ١٥٥
وجوب دفع المهر ١٥٧
جهاز العروس ١٥٩
المثل الالهي في جهاز العروس ١٦٠
الدعاء عند الزفاف ١٦٢
آداب الزواج واوقاته ١٦٣
آداب الزفاف ١٦٦
الصحة في الاسرة ١٧١
أهمية الصحة والنظافة في الاسلام ١٧٣
صحة الفم والاسنان ١٧٨
التنظيم والالتزام والصحة في الأكل ١٨١
اضرار كثرة الأكل ١٨٣
قصة فيها عبرة ١٨٤
الاخلاق الاسلامية في الاسرة ١٨٧
أهمية مكارم الاخلاق ١٨٩
المودة والتعبير عنها ١٩١
الانصاف في الآمال ١٩٤
الحلم والعفو ١٩٧
التغافل أو التناسي ٢٠٠

الغضب والحدّة ٢٠٢
التفاخر ٢٠٤
السلوك ٢٠٦
المنطق ٢٠٧
الحجاب وطهارة المرأة ٢١١
فوائد الحجاب ٢١٣
واقعةٌ مدهشة ٢١٩
آراء مفكري الغرب حول اوضاع المجتمع الغربي ٢٢٠
درس من واقعة الحسين(ﷺ) ٢٢٢
الحجاب ونظرة السوء في القرآن ٢٢٣
محارم المرأة في نظر القرآن ٢٢٥
الامن في الحياة ٢٢٧
الحسنات والسيئات ٢٢٩
الجهل ٢٣٠
العلم والمعرفة ٢٣١
القلب مصدر الحقائق ٢٣٤
العذاب في عرصات القيامة ٢٣٨
الآباء الصالحون ٢٤٠
تجليات الفضيلة في الاسرة ٢٤٣
اخلاص النية ٢٤٥
ذروة اخلاص النيّة ٢٤٥
اخلاص عجيب ٢٤٦

التقوى والعبادة........................ ٢٤٩
وجوهٌ فاضلة ٢٥٣
[redacted] ذات عبرة........................ ٢٥٥
واقعة عجيبة ٢٥٦
الإسلام والجوانب المادية للأسرة. ٢٥٩
خير المال وشرّه........................ ٢٦١
الحلال والحرام ٢٦٤
لا تحرموا انفسكم من الحلال ٢٦٥
انفقوا على عيالكم من الحلال ٢٦٦
النبيﷺ ولقمة الحلال ٢٦٧
موجبات سعة الرزق ٢٦٨
المال الحرام........................ ٢٧٠
التائب حبيب الله ٢٧٢
المرتكزات المعنوية للاسرة. ٢٧٥
النعم المعنوية........................ ٢٧٧
العقل........................ ٢٧٧
القرآن ٢٨١
الأنبياء........................ ٢٨٤
الأئمة ٢٨٥
العلماء........................ ٢٨٥
الصلاة........................ ٢٨٧
مسؤولية رب الاسرة ٢٩١

قوا انفسكم وأهليكم نار يوم القيامة........ ٢٩٢
جنّة المأوى........ ٢٩٦
أربع واجبات مهمّة........ ٢٩٧
١ ـ بدعائهم الى طاعة الله........ ٢٩٨
٢ ـ وتعاليمهم الفرائض........ ٢٩٨
٣ ـ ونهيهم عن القبائح........ ٢٩٩
٤ ـ وحثّهم على أفعال الخير........ ٢٩٩
حقوق الزوج والزوجة في الاسلام........ ٣٠١
صورة عن الحقوق الاسرية........ ٣٠٢
حقوق الزوجة على الزوج........ ٣٠٣
١ ـ توفير مستلزمات الحياة........ ٣٠٣
٢ ـ المباشرة........ ٣٠٤
٣ ـ التوسعة في الحياة........ ٣٠٤
٤ ـ احترام الزوجة........ ٣٠٥
٥ ـ التزيّن والنظافة........ ٣٠٦
٦ ـ المرونة في الحديث والمداراة........ ٣٠٧
٧ ـ حافظوا على ارادتكم........ ٣٠٧
حقوق الزوج على الزوجة........ ٣٠٨
١ ـ الطاعة........ ٣١٠
٢ ـ التمكين........ ٣١١
٣ ـ الخروج من الدار........ ٣١٢
٤ ـ تجنب ايذاء الزوج وسوء الخلق وبذاءة اللسان........ ٣١٣

٥ ـ العمل داخل المنزل ٣١٤
٦ ـ احترام الرجل ومداراته........................ ٣١٥
٧ ـ عدم التزين لغير الزوج........................ ٣١٦
٨ ـ عدم التصرف باموال الرجل دون اذنه ٣١٧
الحمل، والرضاعة، والتسمية ٣١٩
ما يجب القيام به اثناء فترة الحمل ٣٢٤
الولادة........................ ٣٢٧
لباس الوليد ٣٢٨
اول طعام الوليد ٣٢٨
الأذان والاقامة ٣٢٩
عليكم بهذه الآداب بعد الولاة ٣٣٠
حليب الام........................ ٣٣١
التسمية ٣٣٤
الانجاب في الاسلام........................ ٣٣٧
منزلة الولد وأهميته........................ ٣٣٩
حبُّ الاولاد ٣٤٢
تقبيل الاولاد ٣٤٣
عظمة البنت في الاسلام........................ ٣٤٧
مشيئة الله في الأولاد........................ ٣٤٩
روايات مهمة حول البنات........................ ٣٥١
دور الأم في التربية ٣٥٧
الولد ثمرة فؤاد الأُم ٣٥٩

الثمرة الطيبة........................ ٣٦٢
أمّي سببٌ شقائي........................ ٣٦٣
قد يخبو نور العبادة........................ ٣٦٤
زواج نوراني........................ ٣٦٥
والدة الشيخ الشوشتري........................ ٣٦٥
مثال الطهارة الباطنية والظاهرية........................ ٣٦٥
دور الأب في تكامل الولد........................ ٣٦٧
اهتموا باربع حقائق........................ ٣٦٩
أميرالمؤمنين(ﷺ) يبكي........................ ٣٧٠
أهل النار........................ ٣٧١
لحمة من حياة الشهيد الشيخ فضل الله النوري........................ ٣٧٢
ايّها الشباب احذروا........................ ٣٧٤
الآباء الضالون ومسؤولية الابناء........................ ٣٧٥
والدٌ فاضل........................ ٣٧٦
الآباء الطالحون والابناء الصالحون........................ ٣٧٧
والدٌ كريم........................ ٣٧٨
آكل الحرام لا يربّي علي الأكبر........................ ٣٧٩
حق الولد على والديه........................ ٣٨١
طريق الخير........................ ٣٨٣
حق الولد على والديه........................ ٣٨٤
آثار الحلال والحرام........................ ٣٨٥
الشيخ الزاهد........................ ٣٨٧

ذكرى طيبة ٣٨٨
إلى الآباء والامهات ٣٩٠
حقوق الوالدين على الاولاد ٣٩٣
ملاحظة مهمة ٣٩٧
روايات في حقوق الوالدين ٣٩٧
اسلام زكريا بن ابراهيم وخدمته لوالديه ٣٩٨
الشيخ الانصاري وامه ٤٠١
عاق الام ٤٠١
مسؤولية الزوجين أزاء الأقربين ٤٠٣
الأهل والأقارب ٤٠٥
صلة الرحم ٤١٣
القرآن وصلة الرحم ٤١٥
مشروعٌ شاملٌ وبديع ٤١٧
قصة مدهشة ٤١٨
روايات في صلة الرحم ٤١٨
روايات في قطيعة الرحم ٤٢٠
بواعث سعادة الأسرة وشقائها ٤٢٣
السعادة والشقاء ٤٢٥
الانصاف ٤٢٦
المداراة والرفق ٤٢٨
النصيحة ٤٢٩
الأدب ٤٢٩

المحافظة على الأُسرة من التهمة ٤٣٠
الوفاء بالعهد ٤٣٢
التشاور ٤٣٣
التواضع ٤٣٤
العطف على الصغير واحترام الكبير ٤٣٥
حسن الضيافة ٤٣٦
بواعث الشقاء والتعاسة ٤٣٨
الطلاق والارث ٤٣٩
قبح الطلاق ٤٤١
مقدمات الطلاق ٤٤٢
الغيبة ٤٤٣
التهمة والافتراء ٤٤٥
درسٌ فيه عبرةٌ ٤٤٥
الطلاق في القرآن ٤٤٦
خاتمة الحياة ٤٤٨